بسم الله الرحمن الرحيم

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

قسم اللغة العربية وآدابها

رسالة ماجستير بعنوان

حركة النثر العربي في العهد الفاطمي في المغرب العربي

(٢٦٠هـ-٣٧٠هـ) (٨٧٣م-٩٨٠م)

Arabic Prose Movement in the Fatimid Period at Maghreb

260- 370 Hijri (873-980 AD)

إعداد

صفاء فرحان سعيد السرحان

الرقم الجامعي: ١١٢٠٣٠١٠٠٦

المشرف

د. عبدالرحمن الهويدي

الفصل الدراسي الثاني

٢٠١٦/٢٠١٥

تفويض

أنـا **صـفاء فرحـان سـعيد السـرحان**، أفـوض جامعـة آل البيـت بتزويـد المكتبـات، أو المؤسسـات، أو الهيئـات، أو الأشـخاص بنسـخ مـن رسـالتي عنـد طلـبهم، بمـا يتوافـق والتعليمـات النافذة في الجامعة.

التوقيع:

التاريخ:

إقرار والتزام بقوانين جامعة آل البيت وأنظمتها وتعليماتها

أنا الطالبة: صفاء فرحان سعيد السرحان **الرقم الجامعي:** ١١٢٠٣٠١٠٠٦

التخصص: الآداب والعلوم الإنسانية **الكلية:** اللغة العربية وآدابها

أقر بأنني قد التزمت بقوانين جامعة آل البيت وأنظمتها وتعليماتها وقراراتها النافذة المتعلقة بإعداد رسائل ماجستير والدكتوراه عندما قمت شخصياً بإعداد رسالتي الموسومة بـ:

حركة النثر العربي في العهد الفاطمي في المغرب العربي (٢٦٠هـ-٣٧٠هـ) (٨٧٣م-٩٨٠م)

وذلك بما ينسجم مع الأمانة العلمية المتعارف عليها في كتابة الرسائل والأطروحات العملية. كما أنني أعلن بأن رسالتي هذه غير منقولة أو مستلة من أية رسائل أو أطروحات أو كتب أو أبحاث أو أي منشورات علمية تم نشرها أو تخزينها في أي وسيلة إعلامية، وتأسيساً على ما تقدم؛ فإنني أتحمل المسؤولية بأنواعها كافة فيما لو تبين غير ذلك بما فيه حق مجلس العمداء في جامعة آل البيت بإلغاء قرار منحي الدرجة العلمية التي حصلت عليها، وسحب شهادة التخرج مني بعد صدورها، من غير أن يكون لي أي حق في التظلم أو الاعتراض أو الطعن في القرار الصادر عن مجلس العمداء بهذا الصدد، بأية صورة كانت.

توقيع الطالبة:..... **التاريخ:** / /

قرار لجنة المناقشة

"حركة النثر العربي في العهد الفاطمي في المغرب العربي "

(٢٦٠هـ-٣٧٠هـ)(٨٧٣م-٩٨٠م)

"Arabic prose movement in the Fatimid period At Maghreb"

(260-370 Hajri)(873-980 AD)

إعداد

صفاء فرحان سعيد السرحان

الرقم الجامعي

١١٢٠٣٠١٠٠٦

اشراف

الدكتور : عبدالرحمن الهويدي

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
الدكتور عبدالرحمن الهويدي (مشرفا ورئيسا)	.....
الدكتور محمد العبسي(عضوا)	.....
الدكتورة مها مبيضين(عضوا)	.....
الدكتورة خوله شخاترة(عضوا خارجيا)	.....

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير
في اللغة العربية وآدابها
في جامعة ال البيت
نوقشت واوصى بإجازتها/تعديلها /رفضها/بتاريخ :١٨/٥/٢٠١٦م

الإهداء

أهدي جهدي هذا إلى من زرعوا الورد في دربي...

إلى والدي الحبيب الذي أوصلني إلى ما أنا عليه الآن...

إلى والدتي الحبيبة الحنونة بفضل دعائها المتواصل والصادق كان التوفيق والنجاح حليفي.

وإلى من حصد الأشواك من دربي ومهد لي الطريق وواصل مسيرة أهلي وشجعني...إلى زوجي الحبيب.

وإلى فلذة كبدي وقرة عيني ابني "نشمي".

الشكر والتقدير

أشكر الله تعالى على فضله لإنجاز هذا البحث وأشكر أستاذي المشرف الدكتور عبدالرحمن الهويدي لسعة صدره واحتماله لي طيلة فترة البحث وأشكر لجنة المناقشة لتفضلهم بقبول مناقشة رسالتي.

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
تفويض	ب
إقرار والتزام بقوانين جامعة آل البيت وأنظمتها وتعليماتها	ج
قرار لجنة المناقشة	د
الإهداء	هـ
الشكر والتقدير	و
فهرس المحتويات	ز
الملخص باللغة العربية	ي
المقدّمة	١
حدود الدراسة	٢
أهمية الدراسة	٢
مسوغات الدراسة	٣
فرضيات الدراسة	٣
أهداف الدراسة	٤
الفصل الأول:	٧
تمهيد	٧
قيام الدولة	٧
مفهوم التشيع	٨
بداية الدولة الفاطمية	١٠
الحياة السياسيّة	١٠
الحياة الاجتماعية	٢٠

الموضوع	الصفحة
الحياة الثقافية	٣٢
الفصل الثاني: الفنون النثرية العربيّة في العهد الفاطمي في المغرب العربي: الخطابة، الرسائل، المذكرات، السير،	٤٥
التمهيد	٤٥
المبحث الأول: الخطابة	٤٧
الخطابة لغة واصطلاحاً	٤٧
أولاً: الخطابة السياسية	٤٩
أولاً: خطب الإصلاح والطاعة والتوجيه	٤٩
ثانياً: خطب التحريض واستنهاض الهمم	٥٣
ثالثاً: خطب التقريع	٥٦
ثانياً: الخطابة الدينية	٥٩
أولاً: خطب العيدين	٦٠
ثانياً: خطب الجمعة	٦٤
ثالثاً: خطب الحج	٦٧
ثالثاً: الخطابة الاجتماعية	٧٠
أولاً: خطب التراحم والولاء والإصلاح بين الناس	٧١
ثانياً: خطب التهنئة والتكريم	٧٣
ثالثاً: خطب الشكر	٧٥
المبحث الثاني: الرسائل	٨٠
التمهيد	٨٠
الرسائل لغة واصطلاحاً	٨١
أولاً: الرسائل الديوانية	٨٣
أولاً: رسائل الحض على الجهاد والدعوة إلى الطاعة	٨٤
ثانياً: رسالة انتقال الخلافة	٨٩
ثالثاً: رسائل العهود والمواثيق	٩٣
رابعاً: رسائل أخبار الفتوح ووصف المعارك	٩٤
ثانياً: الرسائل الإخوانية	٩٥
أولاً: رسائل العتاب والشكوى	٩٦
ثانياً: رسائل الشكر والمنح	٩٨
ثالثاً: رسائل التعزية	٩٩
المبحث الثالث: السير	١٠٠

الموضوع	الصفحة
المبحث الرابع: المذكرات	١٠٩
الفصل الثالث: الخصائص الفنية للفنون النثرية في العهد الفاطمي في المغرب العربي.	١١٥
تمهيد	١١٦
أولاً: البناء الفني	١١٦
التمهيد	١١٦
أولاً: الخطابة	١١٧
ثانياً: الرسالة	١٢٠
ثالثاً: السيرة	١٢٣
رابعاً: المذكرات	١٢٧
ثانياً: اللغة والأسلوب	١٣٠
تمهيد	١٣٠
ثالثاً: الصنعة	١٤٣
تمهيد	١٤٣
أولاً: السجع	١٤٣
ثانياً: الجناس	١٤٦
ثالثاً: الطباق	١٤٩
رابعاً: الموازنة	١٥١
خامساً: التشبيه	١٥٢
سادساً: الكناية	١٥٥
سابعاً: الاستعارة	١٥٦
الخاتمة	١٦٠
المصادر والمراجع	١٦٧
أولاً: المصادر	١٦٧
ثانياً: المراجع	١٧٦
Abstract	١٨٤

ملخص الدراسة

حركة النثر العربي في العهد الفاطمي في المغرب العربي

(٢٦٠هـ-٣٧٠هـ) (٨٧٣م-٩٨٠م)

إعداد

صفاء فرحان سعيد السرحان

المشرف

د. عبدالرحمن الهويدي

هدفت الدراسة إلى حركة النشر العربي في العهد الفاطمي في المغرب العربي في الفترة (٢٦٠هـ-٣٧٠)، وتقديم دراسة تحليلية وفنية للفنون النثرية (الخطابة، الرسائل، السير، المذكرات) في العهد الفاطمي ومعرفة أنواعها ومضامينها.

واتباع المنهج الاستقرائي للنماذج النثرية في ذلك العهد، والمنهج التاريخي لتتبع حركة النثر الفني وتطوره، والتحليلي لدراسة وتحليل الموضوعات والمضامين النثرية في تلك الفترة، والمنهج الفني للوقوف على الجانب الفني والإبداع للفنون النثرية وقد توصلت الدراسة إلى النتائج الآتية: واكب النثر الفني مختلف جوانب الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية وكشف عن صورة ذلك العصر في تلك الفترة في مختلف النواحي السياسية والثقافية والاجتماعية، أما الفنون النثرية (الخطابة، الرسائل، السير، المذكرات) في العهد الفاطمي في المغرب العربي فقد شملت موضوعات

ومضامين شتى، ويمكننا القول: إن الخطابة بأنواعها قد تداخلت في بعضها، وأن الفاطميين اتخذوا من الخطابة منبراً لدعايتهم المذهبية وإثبات حقيقتهم في الخلافة، وقد صدرت معظم الخطب باختلاف أنواعها ومضامينها في ذلك العهد عن الخلفاء والولاة الفاطميين، أما الرسائل فقد تعددت أشكالها ومضامينها وشملت نوعين: إخوانية وديوانية، وأما السير فقط نشط التأليف فيها من خلال متابعة الخلفاء أنفسهم للتأليف، أما المذكرات فلم تصل بأصلها وكمالها وذلك يعود لأساليب ذكرتها المصادر التاريخية.

زاوج الفاطميون في العهد الفاطمي في المغرب العربي في أساليبهم بين الخبر والإنشاء، واهتموا في ذلك العهد باستخدام صور البلاغة وتوظيفها في كتاباتهم ولم تستخدم للزركشة أو التزويق بل عكست مشاعر كاتبها، فضلاً عن ذلك تنوعت المحسنات البديعية بين السجع والطباق والجناس واستخدمت بعيداً عن التكلف والتصنع.

المقدّمة

حاولت هذه الدراسة تقديم صورة شاملة عن حركة النثر العربي في العهد الفاطمي في المغرب العربي في

المدة الزمنية التي تناولتها الدراسة؛ لذلك تناولت الباحثة بالدرس والتحليل مدى مساهمة الفاطميين في إحداث التغييرات السياسية والاجتماعية والثقافية وأثرها على الفنون النثرية في تلك الفترة، وكذلك الوقوف على مضامين الفنون النثرية العربية وموضوعاته في ذلك العهد وهي: الخطابة، الرسائل، السير، المذكرات، والعمل على تحليلها ودراستها دراسة فنية للوقوف على بنائها الفني وخصائصها الأسلوبية وقيمها الجمالية.

أما سبب اختيار المدة الزمنية (٢٦٠هـ-٣٧٠هـ) فهذا يعزى إلى ازدهار النثر العربي في العهد الفاطمي في تلك الفترة وارتباطه بالحياة السياسية والثقافية والاجتماعية وتعبيره عن مظاهرها بشكل يمكن من خلاله الكشف عن مضامين وألوان الفنون النثرية وتسليط الضوء على الجوانب الإبداعية والجمالية لتلك الفترة.

ولأن النثر في هذه الفترة لم يحظ بدراسة مستقلة شاملة فقد أطالت الباحثة الاستقصاء والبحث في مصادر التراث الأدبي والعربي للتوصل إلى النتائج التي قامت من أجلها هذه الدراسة.

حدود الدراسة

من خلال تتبع الباحثة لهذه الدراسة وجدت أنها تنتقل في حدود زمانية ومكانية وموضوعية وفنية واضحة، أما بالنسبة لحدودها الزمانية فتمتد هذه الفترة تقريباً مع منتصف القرن الثالث وتستمر الفترة تقريباً مع منتصف القرن الثالث وتستمر الدراسة إلى نهاية القرن الرابع تقريباً، أي أن الدراسة تغطي قرابة قرنين من الزمان، وقد اختير هذا العصر كونه غنياً بالفنون النثرية التي لم تدرس بشكل مفصل واقتضت أهداف الدراسة الوقوف على الحالة الدينية ثم السياسية والاجتماعية؛ لأنها أثرت على مسيرة حركة النثر في هذا العصر.

أما حدود الدراسة المكانية فهي متعلقة بجغرافية الدولة الفاطمية في بلاد المغرب العربي وأفريقية لكنها لم تتعد إلى مصر؛ لأن الدراسة ركزت على حركة النثر في بلاد المغرب العربي، ولم تصل إلى مصر التي أصبحت فيما بعد مركز الخلافة الفاطمية.

أما حدود الدراسة الموضوعية فهي تتناول ألوان النثر التعبيري الأدبي الذي نشأ واستوطن في هذا العصر من خطب ورسائل وسير ومذكرات.

أهمية الدراسة

تكمن أهمية هذه الدراسة في ازدهار النثر العربي في العصر الفاطمي واتساع فنونه في المدة التي تناولتها هذه الدراسة وارتبط هذا اللون في النثر بالحياة الفكرية والاجتماعية والسياسية وتعبيره عن مظاهرها، فضلاً عن ذلك يمثل عن النثر انعكاساً مباشراً للمذاهب الإسماعيلي الذي انتشر في تلك الفترة، وكان المذهب الرسمي للدولة الفاطمية، فقد وجدت الباحثة في هذا الموضوع ما يلي حاجة ملحة في نفسها للاستجلاء صورة ذلك العصر وأدبه، وكذلك لعدم وجود دراسة جامعية مستقلة وشاملة اختصت بدراسة هذا اللون ولبروز عدد من الفنون النثرية من مثل

الخطابة التي شكلت جزءاً من نظام الحكم، فقد كان الخليفة يصدر أوامره من خلال هذه الخطب، وكذلك الرسائل التي ساهمت في شكل كبير بتأسيس الدولة الفاطمية فقد تبادل الدعاة والخلفاء الفاطميين الرسائل لإصدار التعليمات والاتفاقات العسكرية والسياسية السرية والعلنية.

مسوغات الدراسة

لأهمية النثر العربي ودلالاته على العصر الذي نشأ فيه، فالنثر يمثل ملامح سير الخلفاء والوزراء والكتاب وغيرهم، وهو يتضمن ملامح سياسية واجتماعية وفكرية، فضلاً عن ذلك تطور حركة النثر في المدة التي اهتمت بها الدراسة، وهي فترة العهد الفاطمي في المغرب ولكن مبدأ التقية حال دور ظهور الكثير من الكتابات النثرية إلا أن بعض هذه الكتابات ظهرت وشكلت ظاهرة أدبية لها أسبابها وملامحها الجديرة بالدراسة وكذلك لأن الخطابة شكلت أهم ملامح المذهب الإسماعيلي الذي كان أساس الدولة الفاطمية في المغرب وكذلك ظهور الكثير من الرسائل في هذا العهد وتميزها ببعض الملامح التي اختلفت عن العصور السابقة بالإضافة إلى ذلك أن المعاصرين لم يعطوا الموضوع حقه من الدراسة فقد كانت نظرتهم سريعة وسطحية، ولم يحظ هذا الموضوع ببحث مستقل.

فرضيات الدراسة

تنطلق هذه الدراسة من مجموعة من الفرضيات التي سعت الباحثة إلى محاولة إثباتها أو نفيها في البحث في ضوء دراسة النتاج النثري (الخطابة، الرسائل، السير، المذكرات) والذي يقع ضمن دائرة البحث، وهذه الفرضيات هي:

إنّ الفنون النثرية في العهد الفاطمي في المغرب تأثرت بالمذهب الإسماعيلي وشكلت جزءاً من المبادئ الإسماعيلية وكذلك شهدت تطوراً إنّ الفنون النثرية شهدت تطوراً كبيراً بسبب فهم

الفاطميين لدور الحضارة في تطور الدولة وإيمانهم بدور الفنون النثرية في التعبير عن التطور وكذلك شهدت تطوراً شهدت تطوراً كبيراً بسبب فهم الفاطميين لدور الحضارة في تطور الدولة وإيمانهم بدور الفنون النثرية في التعبير عن التطور، فضلاً عن ذلك حافظت بعض الأنواع النثرية على شكلها الفني ولكن بعضها تميّز وتغير بسبب تغير المبادئ الأساسية التي دعت لها متطلبات هذه الفترة، وشهدت غنىً وثراءً في المادة، وتنوعاً وتلوناً في الأساليب، واحتلت هذه الفنون منزلة عالية وجعلت لها مضامينها الخاصة وفنياتها المختلفة.

أهداف الدراسة

تقديم دراسة تحليلية للفنون النثرية (الخطابة، الرسائل، السير، المذكرات) في العهد الفاطمي ومعرفة أنواعها ومضامينها وتقديم دراسة فنية للفنون النثرية (الخطابة، الرسائل، السير، المذكرات) في العهد الفاطمي، وسارت الدراسة على الخطوات المنهجية الآتية استقراء النماذج النثرية (الخطابة، الرسائل، السير، المذكرات) والتي تحدثت عن مدة الدراسة استقراءً شاملاً، وتطلب البحث عنها من مصادرها دقة وتعباً في استخراجها وجمع أجزائها لإكمال الموضوع بأفضل صورة، واتباع المنهج التاريخي والمقام على أساس تتبع الفنون النثرية (الخطابة، الرسائل، السير، المذكرات) تتبعاً تاريخياً والربط بين حركة النثر الفني وتطوره وبين بيئته السياسية والاجتماعية والثقافية وكذلك تحليل المضامين والموضوعات وذلك من خلال دراسة وتحليل الموضوعات والمضامين النثرية في تلك الفترة، ودراسة فنية للفنون النثرية في تلك الفترة، حيث مكنني هذا المنهج من الوقوف على الجانب الإبداعي والفني للفنون النثرية وما تقتضيه هذه الفنون من النظر في البناء الفني ولغته وصورته الأدبية والبيانية والبديعية والموسيقية وذلك

للوقوف على القيم الجمالية للفنون النثرية لهذه الفترة فضلاً عن ذلك رصد ما توصلت إليه الدراسة من نتائج.

وهكذا جاءت الدراسة لتتناول حركة النثر العربي في العهد الفاطمي في المغرب العربي وكانت رؤية الباحثة أن تقوم الدراسة على مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة.

أما الفصل الأول فجاء للحديث عن "المؤثرات العامة في النثر الفني الفاطمي في المغرب العربي"، ووقفت فيه الباحثة على الفترة المدروسة للاطلاع على ما اعتراها من أحداث تاريخية انطلاقاً من معطياتها السياسية والاجتماعية والثقافية، وقد حاولت الباحثة من خلال هذا الفصل أن تبيّن أهم العوامل السياسية والاجتماعية والثقافية التي أثرت في الفنون النثرية لتلك الفترة والتي ساهمت في تكوينه.

أما الفصل الثاني فأفرد للحديث عن "الفنون النثرية العربية في العهد الفاطمي في المغرب العربي: الخطابة، الرسائل، السير، المذكرات" للوقوف على الموضوعات والمضامين التي عالجتها الفنون النثرية في عهد الفاطميين بالمغرب العربي أما الخطابة فقد قسمتها الباحثة إلى ثلاثة أقسام وهي الخطابة السياسية والخطابة الدينية والخطابة الاجتماعية وقد شملت موضوعات ومضامين شتى، تبعاً للظروف والمناسبات الداعية لها. أما الرسائل فقد حصرتها الباحثة في رسائل ديوانية وإخوانية وتناولت من خلالهما الموضوعات والمضامين التي تناولتها هذه الرسائل. أما السير فقد قسمتها الباحثة إلى سير ذاتية وغيرية، وعرضت الباحثة نماذج لهذه السير وتتناول موضوعاتها ومضامينها. أما المذكرات فقد عرضت الباحثة نماذج لهذه المذكرات وبينت موضوعاتها ومضامينها.

أما الفصل الثالث فجاء للحديث عن الخصائص الفنية للفنون النثرية العربية في العهد الفاطمي في المغرب العربي: البناء الفني، اللغة والأسلوب، ظاهرة الصنعة وستقف الباحثة خلال

هذا الفصل على البناء الفني لهذه الفنون وتتحدّث عن عناصر بنائها الفني وتحدد هذه العناصر في كل من هذه الفنون، وتتناول أهم سمات أسلوبهم في كتابة فنونهم النثرية، ومدى تمكنهم من أدوات الكتابة وأهمها اللغة، وكذلك كيفية استخدامهم للصور البلاغية والمحسنات البديعية وتوظيفها في كتاباتهم، ورصدها وتحليلها ودراستها دراسة فنية تظهر القيم الجمالية لنثر هذه الفترة.

تقدّمت هذه الفصول مقدمة وتلتها خاتمة تضمنت أهم نتائج البحث، وأفادت الباحثة في دراستها من أمات المصادر العربية التراثية على سبيل المثال لا الحصر دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، والبيان والتبيين للجاحظ، ونزهة المشتاق في اختراق الآفاق للإدريسي، والبيان المغرب في أخبار الأندلس، والمغرب لابن عذاري، ومعجم الأدباء لياقوت الحموي، والجمان في التعريف بقبائل عرب زمان للقلقشندي، وأساس البلاغة للزمخشري وغيرهم، فضلاً عن المراجع الحديثة المتخصصة بهذا النوع من الدراسة. ومع ذلك فإن ثمة صعوبات واجهتها الباحثة وأهمها قلة المراجع التي أفردت للحديث عن حركة النثر العربي في العهد الفاطمي في المغرب العربي (٢٦٠هـ-٣٧٠هـ) وضياع العديد من المصادر التاريخية وذلك يعود إلى ما آلت إليه المكتبات الفاطميّة، ولكن بتوفيق الله وبالإرادة والعزم وبتوجيهات أستاذي المشرف تمّ تذليل هذه الصعوبات لإتمام الدراسة على الصورة التي هي عليها الآن.

الفصل الأول

تمهيد

قيام الدولة

يحفل تاريخ الأمة بالإنجازات، ولقد ظهرت دول إسلامية متعاقبة واجهت كل واحدة منها أحداثاً زمنية فرضت نفسها على ساحاتها، حتى جاءت مرحلة الخلافة العباسيّة بعهودها المتتالية بأرض المشرق، فأقيمت حينها دول إسلامية تحت غطاء الخلافة كان بعضها موالياً لها، بينما ناهضتها دويلات أخرى على السلطة منها الدولة الفاطمية. وقد مهّد الفاطميون لقيام دولتهم في بلاد المغرب العربي وكان ذلك ضمن مرحلتين:

١. نشر الدعوة، وقد لقيت تلك الدعوة نجاحاً كبيراً في بلاد المغرب نظراً لجهود الداعين لنشر تعاليم الشيعة بين أهالي المغرب من جهة ولبعدها عن مركز الخلافة العباسية من جهة ثانية.

٢. محاولة القضاء على الدول التي كانت قائمة في المغرب لقيام الدولة الفاطمية والتي اتخذت من التشيّع مذهباً رسمياً لها.

مفهوم التشيع

والتشيّع كما ذكره الشهرستاني مبدأ "يقوم على الاعتقاد باستمرار القيادة الإسلامية في قالب الوصاية لعلي وعترته"[١].

أمّا ابن خلدون فيرى بأن "الشيعة لغة هم الصحب والأتباع، ويطلق في عرف الفقهاء والمتكلمين من الخلف والسلف على أتباع علي وبنيه رضي الله عنهم[٢]، أما الفئة التي والت علياً وناصرته فسميت بالشيعة "وأصبحت الولاية والإمامة من أكثر المسائل الخلافية بين المسلمين"[٣]. وتحولت الخلافات النظرية بينهم إلى خلافات دموية مسلحة زادت في تعميق الصراع بينهم.

ويرى ابن خلدون "أن الشيعة انقسمت إلى فرقتين؛ فرقة تقول بإمامة موسى الكاظم بن جعفر الصادق، وتعتقد أنّ إمامها الإثنى عشر غائب في سرداب، وتنتظر قيامه من غيبته، وفرقة ترى إمامة إسماعيل بن جعفر الصادق وهي الفرقة التي سميت بالإسماعيلية وإليها ينسب الخلفاء الفاطميون الذين قاموا بالمغرب الإسلامي[٤].

---

(١) الشهرستاني، أبو الفتح بن عبدالكريم، **الملل والنحل**، تحقيق محمد الكيلاني، الجزء الأول، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٠، ص٢٧٨.

(٢) ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد، **مقدمة ابن خلدون**، دارالفكر للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠١، ص٣٨.

(٣) المرجع نفسه، ابن خلدون، ص٧٠٥-٧٠٦.

(٤) المرجع نفسه، ابن خلدون ص٦٩٧.

انتشر التشيّع في بلاد المغرب على يد الإمام إدريس بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الذي فرّ من أيدي العباسيين بعد موقعة فخ[١] في عهد الخليفة الهادي سنة (١٦٩هـ)، وبعدها أصبحت بلاد المغرب أرضاً صالحة للدعوة الإسماعيلية، فلما ذهب "أبو عبدالله الشيعي"[٢] إلى المغرب في أوائل سنة (٢٨٠هـ) وجد الأمور ممهدة له، وازداد التفاف المغاربة عليه بسبب ما كان يخبرهم به من أنه البشير بالمهدي (عبيدالله المهدي) [٣].

ولم يكتف أبو عبدالله الشيعي بنشر الدعوة الفاطمية في بلاد المغرب، بل أخذ يعمل بدءاً من سنة (٢٨٩هـ) على بسط نفوذهم في شمال إفريقيا، وامتد نفوذهم في ذلك الوقت إلى أكثر أجزاء بلاد المغرب "حتى أصبحوا أصحاب السلطان المطلق في جميع الجهات الواقعة إلى الغرب من مدينة "القيروان"[٤][٥]

---

(١) موقعة أو معركة فخ دارت في عام ١٦٩هـ/٧٨٦م بين قوات الدولة العباسيّة بقيادة سليمان بن أبو جعفر من أبناء الخليفة المنصور والعلويين في مكة بقيادة الحسين حفيد الحسن بن علي وتمكن الجيش العباسي من سحق تمرد العلويين عند وادي فخ بالقرب من مكة وأعدم الحسين بن علي بن أبي طالب برفقة الكثير من العلويين راجع الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين، ط١، دار الأميرة، ٢٠١، ص٤٦٠.

(٢) هو الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا الشيعي من أهل صنعاء اليمن، ولي الحسبة في بغداد، ثم سار إلى ابن حوشب باليمن فوجد أنه الشخصيّة المناسبة للقيام بالدعوة الشيعية، راجع المقريزي، **إتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء**، الطبعة الثانية، الجزء الأول، ص٤١، ٥٥.

(٣) الإمام عبيدالله الملقب بالمهدي (٢٦٠-٣٢٢هـ)، هو مؤسس الدولة الإسماعيلية في المغرب، ولد بسلمية التي هي بلدة بالشام عام (٢٦٠هـ) ودعى له بالخلافة على منابر: رقادة، والقيروان سنة (٢٨٩هـ)، فخرجت بلاد المغرب عن ولاية بني العباس، راجع جعفر السبحاني، **الملل والنحل "في الإسماعيلية وفرق: الفطحية، الواقفية، القرامطة، الدروز، والنصيرية"**، مؤسسة الإمام الصادق، طهران، ٢٠٠٩، ص١٠٧.

(٤) "القيروان": يعود تاريخ القيروان إلى عام (٨٠هـ/٦٧٠م)، أنشأها عقبة بن نافع، عاصمة الأغالبة والفاطميين راجع الحموي، ياقوت بن عبدالله، معجم البلدان، الجزء الرابع، دار الفكر بيروت، ص٣٩٠.

(٥) حسن إبراهيم حسن، **تاريخ الدولة الفاطمية**، الطبعة الثالثة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٤، ص٥٠-٥١.

بداية الدولة الفاطمية

ظهرت الدولة الفاطمية في بقعة كانت تسودها الاضطرابات وعدم الاستقرار، فانتشرت هذه الدولة في كيان المجتمع الإسلامي انتشاراً واسعاً، وامتدت قاعدة دعوتها الشيعية من المغرب إلى المشرق، فحمل خلفاؤها الفاطميون اللواء وأفنوا أرواحهم في سبيل نشر دعوتهم وإقامة دولتهم بين خلافتين إسلاميتين؛ الخلافة الأموية في الأندلس والخلافة العباسية في بغداد، ونظراً لأن لكل تكوين تنظيمي مرحلة تمهيدية تتبعها مرحلة أخرى، فقد سعت الدولة الفاطمية خلال مراحل تكوينها لمواكبة الأحداث الداخلية والخارجية، فاتخذ الخلفاء العقيدة المذهبية هدفاً أساسياً لدعوتهم، وتمّ تأسيس الخلافة بأنظمة واكبت الأحداث بأساليب متعددة، استحدثت لمواجهة الظروف المستجدة، وتطورت فيما بعد لتنسجم مع طبيعة الأحداث والأحوال التي كانت سائدة آنذاك[1].ونظراً لأنّ مدة وجود الفاطميين في المغرب العربي تركت آثاراً بارزة في النواحي السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية. ونظراً لأن هذه الدراسة سترصد مدى مساهمة الفاطميين في إحداث التغييرات السياسية والاجتماعية والثقافية في المغرب العربي في الفترة (٢٦٠هـ-٣٧٠هـ) (٨٧٣م-٩٨٠م) وما ترتب عليها من نتائج.

الحياة السياسيّة

إنّ نجاح الإسماعيلية بزعامة عبدالله المهدي في تكوين دولة في المغرب حدث مهم في التاريخ الإسلامي "فقيام الدولة الفاطمية في المغرب أدى إلى قطع علاقة المغرب بالمشرق وبالخلافة العباسية ببغداد"[2].

---

(1) حسن إبراهيم حسن، **تاريخ الدولة الفاطمية**، الطبعة الثالثة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٤، ص٥٠-٥١.

(2) سعد زغلول عبدالحميد، فترة حاسمة من تاريخ المغرب، مجلة كلية الآداب والتربية، المجلد الأول، بنغازي، ١٩٥٨، ص١٠٨-١٠٩.

أمّا زعيم الدولة الإسماعيلية عبيدالله المهدي فلم يكتف بإعلان الخلافة لنفسه والتربع على عرش الدولة، بل نال السلطة الدينيّة الملازمة لمنصب الخلافة بالإضافة إلى السلطة الزمنية المستمدة من الله؛ وذلك لتركيز السلطات جميعها في يده، علماً بأن الأمير المستقل عن الخلافة العباسية لا يستطيع أن يتلقب بالخليفة في ذلك الوقت؛ لأن العقلية الإسلامية تأبى تعدد الخلفاء حفظاً لهيبة الخلافة.

ومن الجدير بالذكر أن أمراء الأمويين الذين لجأوا إلى الأندلس وكونوا فيها إمارة مستقلة، لم يأخذوا لقب خليفة "ولكن الفاطميين منذ عبيدالله تلقبوا بالخلفاء لاعتقادهم بأن الإمامة لا تخرج من أولاد علي وإن خرجت فبظلم"[١].

أمّا نظام خلافة أئمة الفاطميين منذ ظهور هذه الدولة فيقوم على قواعد ضبطها المذهب الإسماعيلي؛ ذلك أنّ النظرية المنصوص عليها في الكتب الإسماعيلية تنسب إلى الله تعالى وحده، لا إلى خلقه في تعيين المرشدين الأكابر والأئمة المعصومين الذين ليسوا فحسب خلفاء الرسول صلى الله عليه وسلم، بل هم أيضاً على وجه الخصوص ورثة رسالته الإلهية، ولذا فإنهم أئمة المؤمنين وخلفاء الرسول الشرعيين وكذلك خلفاء الله في الأرض ويجب أن يكونوا من ذرية فاطمة ابنة رسول الله، حسبما نصت عليها الشريعة الإلهية، فالإمامة تنتقل حينئذٍ أباً عن جد في أسرة الوريث الشرعي للرسول، أي في عائلة علي الذي عهد الله إليه بالولاية بمقتضى تأويل الشيعة للسيرة النبوية[٢].

---

(١) الشهرستاني، أبو الفتح بن عبدالكريم، **الملل والنحل**، تحقيق محمد الكيلاني، الجزء الأول، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٠، ص١٠٨-١٠٩.

(٢) القاضي النعمان، أبو حنيفة بن محمد بن حيون، **دعائم الإسلام**، الطبعة الأولى، الجزء الثاني، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٠، ص١٧، ١٥، ٢٦.

ففي اليوم الثامن عشر من ذي الحجة سنة (١٠هـ) وعند عودة الرسول عليه السلام ﷺ من حجة الوداع، أنزل الله عليه الآية الكريمة (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا) [١] وعندئذٍ قال رسول الله: "من كنت مولاه فعليٌ مولاه" وهي المقولة التي رآها أشياع علي بمثابة البيعة التي تقر حقه في خلافة الرسول عدوها تكملة لآخر الفرائض أي الولاية[٢].

فالإمام يختار خلفه دون سواه بمقتضى "النص" الذي يعبر عن إرادة الله أو الإمام الحاكم بوصفه المستودع الوحيد لعلم الله هو المؤهل دون غير للتعيين خلفه أي الخليفة الذي اختاره الله ليحكم البشر في الحياة الدنيا فلا يستطيع أي مخلوق سواه المساهمة في هذا التعيين المنبثق من قرار إلهي وبعدها يعين الإمام خلفه وحجته لا ينبغي أن يبوح باسمه إلاّ لمستودعه" وأمين سره، ولا يظهر إلاّ في الوقت المناسب، وقد ورث الخليفة الفاطمي الأول المهدي الإمامة وطبق السنة التي جرت عليها تقاليد الإمامة[٣].

لقد تقبل الناس في المغرب العربي خلافة عبيدالله المهدي على أنه من ذرية فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم علماً بأنّ كثيراً من المصادر التاريخية شككت بنسبه

---

(١) سورة المائدة، الآية رقم (٣).

(٢) القاضي النعمان، أبو حنيفة بن محمد بن حيون، **المجالس والمسايرات**، تحقيق الحبيب الفقي، الجامعة التونسية، تونس، ١٩٧٨، ص٣٢٧.

(٣) فرحات الدشراوي، **الخلافة الفاطمية في المغرب**، ترجمة حمادي الساحلي، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٤، ص٤٣٣.

الفاطمي ومن الذين ارتابوا في نسبه وزعموا أنه محتال: "ابن خلكان"[١]، و"ابن عذاري"[٢]، و"السيوطي"[٣]، ومن أشهر القائلين بصحة نسبه الفاطمي "ابن الأثير"[٤]، و"ابن خلدون"[٥]، و"المقريزي"[٦].

إنّ تصور السلطة في بيت الملك الفاطمي، المنبثق من عقيدة الإمامة ذاتها، يفرض قيام نظام حكم يشرف عليه ويراقبه الخليفة دون سواه؛ وتبعاً لذلك، فإنّ النظام الإداري الذي أقيم في مستهل عهد المهدي، يبدو ممركزاً إلى أبعد حدّ، وممثلاً فيه، ويمثل قصر الخليفة محور النشاط السياسي بأسره، وفي إطار مثل هذا النظام يكون أصحاب مختلف المناصب الإدارية تابعين مباشرة لرئيس الدولة في اضطلاعهم بمهامهم، ومطالبين بالامتثال إلى أوامره بكل دقة، وينتمي هؤلاء الموظفون الذين يمثلون "رجال المملكة" إلى الفئات العرقية الثلاث التي يتكون منها المجتمع الفاطمي في أفريقيا والمغرب أي العرب والبربر والصقالية[٧].

---

(١) ابن خلكان، شمس الدين أبو العباس، **وفيات الأعيان وأنباء وأبناء الزمان**، الجزء الأول، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧، ص٤٨٧.

(٢) ابن عذاري، أبو العباس بن أحمد، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، الجزء الأول، دار الثقافة، لبنان، ١٩٨٠، ص١٥٠، ١٥٧-١٥٨.

(٣) السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر، **تاريخ الخلفاء**، تحقيق حمدي الدمرداش، الطبعة الأولى، دار ابن حزم، بيروت، ٢٠٠٣، ص٢١٤.

(٤) ابن الأثير، علي بن محمد، **الكامل في التاريخ**، الطبعة الأولى، الجزء الثامن، دار صادر، ١٩٨٧، ص١٧-٢٠.

(٥) ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد، **مقدمة ابن خلدون**، دارالفكر للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠١، الجزء الرابع، ص٣١.

(٦) المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، الجزء الثاني، مكتبة إحياء العلوم، ص٣٤٨.

(٧) القاضي النعمان، أبو حنيفة بن محمد بن حيون، **المجالس والمسايرات**، تحقيق الحبيب الفقي، الجامعة التونسية، تونس، ١٩٧٨، ص٢٥٠، ٤٧٤، ٢٦٣.

وفي مثل هذا النظام الذي يشرف عليه الخليفة بنفسه لا يقوم كبار الموظفين إلاّ بدور المنفذين، علماً بأن الدعوة الفاطمية المرتكزة على الاصطلاحات السياسية والدينية التي أجراها الداعية أبو عبدالله الشيعي في المجتمع الكتامي البربري قد تركت لأتباعها نصيباً لا بأس به من حرية التصرف فقد قسم أبو عبدالله كتامة[١] أسباعاً، وجعل لكل سبع منها عسكراً قدم عليه مقدماً، وأطلق بكل موضع داعياً وسمى المقدمين والدعاة المشايخ- وإن كان فيهم مَنْ لم يبلغ السن- وأبقى أعمال المؤمنين وما أفاء الله من المغانم على ولي المسلمين (أي الإمام) في أيدي المشايخ، لم يكن يقبض من ذلك شيئاً ولا يصل إليه ولا يأتيه ولا يراه، وكان في أيديهم إلى أن قدم المهدي فدفعوه إليه [٢].

حرصت الدعوة الفاطمية على الدعوة لمذهبها والإلحاح في الإقناع واجتذاب الناس إليه، مصطنعة في هذه الدعوى كل وسيلة ومتخذة كل أسلوب، وكذلك جعلت الإقرار لهذا المذهب والخضوع له جزءاً من الولاء له، لكن الأمر لم يكن هيناً فقد لقوا في أول أمرهم صعوبات عديدة، فالمغرب الأقصى كان يخضع لدولة علوية عرفت بالأدارسة واتخذت فاس[٣] عاصمة لها، والمغرب الأوسط كان يخضع لدولة خارجية عرفت بالرستمية[٤] واتخذت تاهرت[١] عاصمة لها،

---

(١) "كتامة": أحد أهم وأقوى بطون القبائل الموجودة في الشمال الإفريقي، راجع القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي، **نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب**، تحقيق إبراهيم الأبياري، الطبعة الثانية، دار الكتاب اللبنانيين، بيروت، ٢٠١٠، ص١٣٣.

(٢) القاضي النعمان، أبو حنيفة بن محمد بن حيون، **رسالة افتتاح الدعوة**، تحقيق فرحات الدشرواي، الشركة التونسية، تونس، ص١٢٤.

(٣) القاضي النعمان، أبو حنيفة بن محمد بن حيون، **رسالة افتتاح الدعوة**، تحقيق فرحات الدشرواي، الشركة التونسية، تونس، ص٢٦٦.

(٤) ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبدالله، **معجم البلدان**، تحقيق فريد عبدالعزيز، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠، ص٣٥٤.

لها، وحتى في جنوب المغرب ظهرت دولة خارجية اتخذت سجلماسة[٢] مركزاً لها، بالإضافة إلى وجود قبائل بربرية، عرفت بقساوتها وتتمتع بحريتها مثل: زناته في أقصى المغرب، ومصمودة حول جبال درن[٣] وهي الأطلس والطوارق أو صنهاجة أو المثلمون في الجنوب قرب السودان ووراء كل هؤلاء توجد الخلافة الأموية في الأندلس، والتي لها قواعد على ساحل المغرب المقابل للأندلس[٤]، وهي تساعد هذه الدول والقبائل كلما دعت الحاجة؛ وذلك لحماية مصالحها التجارية والمالية، فمن الطبيعي أن نراهم يحاولون حماية هذه المناطق، ويبدو أن لهذا السبب أيضاً كان المغرب الأوسط من أهم الساحات بالنسبة للفاطميين، وربما تكون حروب المغرب الأوسط بصورة غير مباشرة تعبيراً عن التنافس الاقتصادي والتجاري بين الفاطميين والأمويين، وما تلك التحالفات التي كانت تعقد وتفك إلاّ مظهراً من مظاهر هذا التنافس وليس مجرد أحقاد وقبلية بين المجموعات البربرية[٥].

وفي إفريقيا أو تونس ذاتها– التي ظهر فيها التشييع الإسماعيلي– أيضاً لقي الفاطميون صعوبات من أقرب أتباعهم، فقد نسبت رواية ابن عذاري المبادرة بتدبير المؤامرة إلى أبي عبدالله الذي تشاور مع مشائخ كتامة للإطاحة بالمهدي وأبدى شكوكاً حول صحة إمامته[٦].

---

(١) ياقوت الحموي، شهاب الدين عبدالله، **معجم البلدان**، تحقيق فريد عبدالعزيز، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠، ص٣٢٩.

(٢) المرجع نفسه، ص٣٥٧.

(٣) المرجع نفسه، ص٣٥٦.

(٤) المرجع نفسه، ص٥٥.

(٥) المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، الجزء الثاني، مكتبة إحياء العلوم، ص٧٤–٧٥.

(٦) ابن عذاري، أبو العباس بن أحمد، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، الجزء الأول، دار الثقافة، لبنان، ١٩٨٠، ص١٦٣.

"ولكن تمكن عبيدالله المهدي من هزيمتهم في سنة (٢٩٨هـ/٩١٠-٩١١م)" [١] وقامت غيرها فتن وثورات كثيرة ويقال إنّ المهدي لم ينم طيلة عشر سنوات إلاّ على صهوة جواده خوفاً من أعدائه ولذلك أنشأ عاصمة حصينة سماها باسمه "المهدية"[٢].

وبعد وفاة عبيدالله المهدي سنة (٣٢٢هـ/٩٣٤م) [٣] كانت حالة المغرب تتطلب جهداً كبيراً من ابنه أبي القاسم الذي آلت إليه الخلافة، ولقب القائم بأمر الله، فقد ثار في عهده "أبو يزيد مخلد بن كيداد[٤] وهو من قبيلة زناتة التي خرجت على عبيدالله المهدي، وكانت هذه القبيلة ناقمة على الفاطميين لإيثارهم الكتاميين بالمناصب لذلك عمدوا إلى مناهضتهم في المغرب الأوسط واستفتحل سلطانهم في البلاد[٥].

ولما توفى الخليفة القائم كتم ابنه وولي عهده إسماعيل الذي تلقب بالمنصور موته خوفاً من طمع أبي يزيد (مخلد بن كيداد)، "فلم يتلقب بالخليفة ولم يغير السكة ولا الخطبة ولا البنود حتى قضى على أبي يزيد سنة (٣٢٦هـ) [٦].

---

(١) ابن الأثير، علي بن محمد، **الكامل، في التاريخ**، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، ١٩٨٧، ص١٣٥.

(٢) ياقوت الحموي، شهاب الدين عبدالله، **معجم البلدان**، تحقيق فريد عبدالعزيز، ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠، الجزء الثامن، ص٢٠٥.

(٣) حسن إبراهيم وطه شرف، **عبيدالله المهدي**، الطبعة الأولى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٤٧، ص١٩٨.

(٤) مخلد بن كيداد بن سعد الله بن مغيث الزناتي النكاري، أبو يزيد ثائر من زعماء الإباضية وأئمتهم، بربري الأصل راجع ابن عذاري، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، ج١، ص٢١٦.

(٥) محمد جمال الدين سرور، **الدولة الفاطمية في مصر**، الطبعة الأولى، المجلد الأول، دار الفكر العربي، ص٥٧.

(٦) المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، **اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء**، الطبعة الثانية، الجزء الأول، لجنة إحياء التراث، القاهرة، ١٩٩٦، ص١٢٣-١٣٥.

وبناءً عليه أخذ المنصور يعيد تنظيم هذه البلاد، ويعمل على إنعاش مواردها؛ ليعوض ما ضاع من أموال في إخماد الثورات "كذلك شرع المنصور في إنشاء أسطول كبير، كما أسس سنة (٣٣٧هـ) مدينة في الموضع الذي دارت فيه الواقعة بينه وبين أبي يزيد على مقربة من القيروان وسماها "المنصورية"[١].

ولما توفي المنصور آلت الخلافة إلى ابنه المعز الذي كان صغير السن، حيث لم يتجاوز البلغ إلاّ منذ عهد قريب وحسب رواية القاضي النعمان، تمّ تعيين المعز ولياً للعهد في حياة جده القائم ووفقاً للتقاليد الإسماعيلية[٢].

أما سياسته فقد أوضحها في خطبة ألقاها على رؤساء كتامة بمدينة المنصورية فقال: "إنه شُغل بكتب ترد عليه من المشرق والمغرب، يجيب عنها بنفسه، كما بين أنه سيوجه عنايته إلى صيانه أرواح رعاياه، وتعمير بلاده وقمع الفتن والثورات، حتى يسود الأمن والطمأنينة بين ربوع دولته، وختم خطبته بقوله: "إنكم إذا لزمتم ما آمركم به، رجوت أن يقرب الله علينا المشرق، كما قرب المغرب"[٣].

---

(١) "المنصورية": واتخذها حاضرة دولته، وكان لهذه المدينة خمسة أبواب، الباب القبلي والباب الشرقي، وباب زويلة، وباب كتامة، وباب الفتوح، وكانت جيوش الفاطميين تخرج من هذا الباب الأخير، راجع البكري، أبو عبيدالله بن عبدالعزيز، **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب**، الجزء الثاني، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ١٩٩٢، ص٢٥.

(٢) القاضي النعمان، أبو حنيفة بن محمد بن حيون، **المجالس والمسايرات**، تحقيق الحبيب الفقي، الجامعة التونسية، تونس، ١٩٧٨، ص٤٦٨-٤٦٩.

(٣) المقرمزي، نقي الدين أحمد بن علي، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، الطبعة الثانية، الجزء الأول ص ١٣٧-١٣٨.

وقد حرص الخلفاء الفاطميون على اختلافهم بتقيدهم بمراسم وطقوس معقدة ومضخمة تدل على سيادتهم ووجوب تعظيمهم، فعلى من يمثل بين يدي الإمام "لتقبيل الأرض ويجب عليه أن ينطق العبارة التالية: "السلام عليكم يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته" وأن يقف أمام الإمام ليمكنه من مشاهدته، فإن كان على مسافة تسمح له بأن يسمع جواب الإمام على سلامه يجب عليه عندئذٍ أن لا يسجد إلاّ بعد أن ينتهي الإمام من السلام. وحالما يقبل الأرض، يجب عليه أن ينهض لتقديم طلب الاقتضاء"[١].

ومن أهم إشارات الملك عند الفاطميين "التاج" وهو عبارة عن إكليل مرصع بالحجارة الكريمة ومركب من شريط دائري تعلوه ثلاث ورقات في شكل مثلث، ويبدو أن هذا النموذج الذي تدل على وجوده رخامة منحوتة، اكتشف في المهدية"[٢]، يختلف عن تيجان ملوك النصارى.

ويعتبر الخاتم أيضاً عند الخلفاء الفاطميين "شعاراً خصوصياً من خصائص سلطتهم، رغم استعماله في العادة كشارة أساسية من شارات الملك؛ وحرصاً على التميز بلقب ملائم لمذهبهم، كانوا ينقشون على خاتمهم المذهب عبارات في شكل شعار يشير إلى انتصار قضيتهم، فقد نقش المهدي خاتمه "بالنصر الدائم ينتصر الإمام أبو القاسم"[٣].

---

(١) القاضي النعمان، أبو حنيفة بن محمد بن حيون، **الهمة في آداب اتباع الأئمة**، تحقيق محمد كامل حسين، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٧، ص٣٨-٤١.

(٢) القاضي النعمان، أبو حنيفة بن محمد بن حيون، **المجالس والمسايرات**، تحقيق الحبيب الفقي، الجامعة التونسية، تونس، ١٩٧٨، ص٣٩٧-٣٩٨.

(٣) المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، **اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء**، الطبعة الثانية، الجزء الأول، لجنة إحياء التراث، القاهرة، ١٩٩٦، ص١٣٦-١٣٧.

وهناك شعاران آخران من شعارات السيادة ويعتبران من العلامات الخصوصية للخلفاء الفاطميين وهما "الطبل والمذبة، وترجع عادة المذبة المعروفة لدى الأشوريين والفرس إلى عهد المهدي الذي استعملها منذ وصوله إلى المغرب، وهي ناشئة لا شك عن تأثير أهل الشام"[١].

أما العلامة الأخرى التي يختص بها الخليفة الفاطمي فهي المظلة المعدة لوقايته من وهج الشمس، "لذلك ينبغي أن يرفعها على رأسه أحد الخدم المكلفين بخدمته، ويطلق عليه اسم "صاحب المظلة"، وهي شبه ورقة من رأس رمح، محكمة الصنعة، رائقة المنظر، مرصعة كلها بالجواهر والأحجار الكريمة التي تبهر الناظرين"[٢].

وهكذا فرض الفاطميون أنفسهم في بلاد المغرب العربي وطبعوا الحياة بطابعهم لتحقيق أهدافهم السياسية والمذهبية.

---

(١) فرحات الدشراوي، **الخلافة الفاطمية بالمغرب**، ترجمة حمادي الساحلي، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٤، ص٤٣١.

(٢) القاضي النعمان، أبو حنيفة بن محمد بن حيون، **المجالس والمسايرات**، تحقيق الحبيب الفقي، الجامعة التونسية، تونس، ١٩٧٨، ص٣٥٧.

الحياة الاجتماعية

للحديث عن الحياة الاجتماعية في بلاد المغرب في عهد الدولة الفاطمية لابدّ من الرجوع إلى البدايات الأولى، والتي بدأت حلقاتها الأولى ببلاد كتامة.

فقد حرص أبو عبدالله الشيعي منذ بداية دعوته على أن ينشر بين المجموعة البربرية الشيعية مبادئ أخلاقية متشددة تقوم على أساس الورع الذي لا تشوبه شائبة، وتطبيق الشريعة الإسلامية تطبيقاً صارماً، وكذلك أجبر السكان الجبليين على العيش والعمل وفق التعاليم الدينية، معاقباً المخالفين بلا شفقة ولا رحمة ومسلطاً عليهم عقوبات رادعة؛ لذلك فقد شهد ذلك المجتمع الشيعي الكتامي علاوة على التزمت، استقامة أخلاقية وكان أبو عبدالله الشيعي يمثل القدوة الحسنة بالنسبة لهم، لما أظهره من أخلاق سامية وحسن معاملة، مما جعل الناس على اختلاف طبقاتهم الاجتماعية ينضوون في دعوته، "وفشت دعوة أبي عبدالله، وأجابه، ودخل أمره طبقات من الناس"[١].

وقد أشارت العديد من المصادر التاريخية أن أبا "عبدالله الشيعي" حارب العديد من السلوكيات الاجتماعية القبيحة، والتي كانت سائدة عند بعض أهالي المغرب، ونظّم المجتمع الشيعي، يقول في ذلك القاضي النعمان "لم ير الناس ولا انتهى إليهم أنّ قوماً كانوا من صلاح الحال والاستقامة على مثل ما كان عليه أصحاب أبي عبدالله" فكانت "دار الهجرة" هي النواة الأولى للدولة التي جاهد أبو عبدالله الشيعي في سبيل إنشائها، وأرادها أن تكون كالمدينة الفاضلة

---

(١) القاضي النعمان، أبو حنيفة بن محمد بن حيون، **رسالة افتتاح الدعوة**، تحقيق فرحات الدشرواي، الشركة التونسية، تونس، ص١١٧.

التي طمع في ظهورها الفلاسفة القدماء، لذا اهتمّ بالتنظيم الاجتماعي، وجعل الدين أساساً للتنظيم، وقد أراد أبو عبدالله لمجتمعه الشيعي الجديد أن يكون ذلك الأساس الذي يقيم الفاطميون عليه دولتهم التي أملوا بها[١].

عُرف المجتمع المغربي "بتنوع قبائله وتباين أطيافه وعصبياته"[٢] فكان لابدّ أن يصطدم المجتمع الشيعي بالقبائل التي تريد الاحتفاظ بنظمها القبلية القديمة. لاسيما عند قيام الدولة الفاطمية، "وتولية الكتاميين أعمال أفريقية"[٣].

فيبدو أنّ تفضيل الفاطميين لقبيلة كتامة دون غيرها بالمكانة الاجتماعية المرموقة، وتمكينها من المناصب العليا قد أحيا الصراع القبلي بين باقي القبائل الأخرى، وخاصة بين كتامة وزناته.

واستغلت السلطة الفاطمية هذا الصراع لتبقي على مصالحها السياسية في الدولة، متخذة كافة السبل لتحقيق أهدافها فكانت تلجأ أحياناً إلى زرع بذور الخلاف بين قبيلة وأخرى سواء بالمناصب أو الامتيازات أو إقصاء بعض القبائل المقاومة للسلطة الفاطمية كقبيلة زناتة وقد اعتبرها ابن خلدون "من القبائل الضاعنة الراحلة، تقوم حياتها على الفلح والرعي، والاقتصار

---

(١) القاضي النعمان، أبو حنيفة بن محمد بن حيون، **رسالة افتتاح الدعوة**، تحقيق فرحات الدشرواي، الشركة التونسية، تونس، ص١١٧.

(٢) ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد، **جمهرة أنساب العرب**، الطبعة الرابعة، المجلد الأول، دار المعارف، ١٩٧٧، ص٤٦١.

(٣) **افتتاح الدعوة**، مصدر سابق، ص٢٣٢.

على الضروري من الأقوات، والملابس والمساكن وسائر الأحوال"[١] فضلاً عن ذلك تعد منطقة "زناته"[٢] مركز اتصال مستمر بين البدو والرحل وسكان المدن والقرى، وهو الأمر الذي شجع على ازدهار الحركة التجارية بها "ولأهميتها الاستراتيجية أراد الفاطميون السيطرة عليها وقد وجدوا في قبيلة كتامة المجاورة لمضاربها حليفاً استراتيجياً كتنفيذ خطتهم التوسعية"[٣].

لقد نجح الفاطميون إلى درجة كبيرة في توطيد سلطانهم ببلاد المغرب، عن طريق خلق تكتلات سياسية في إطار القبيلة، والتي تحميها مصالح مشتركة مادية ومعنوية، ولذلك فإنّ الحديث عن تحقيق عدالة اجتماعية تتساوى فيها جميع الفئات الاجتماعية والأطياف السياسية، تصبح مسألة مستحيلة في ضوء سياسة الفاطميين القائمة على التفرقة بين القبائل.

أما القيروان فكان معظم أهلها من السنة الذين ظلوا معارضين لسياسة الدولة الفاطمية المذهبية والاجتماعية، فما كان له أثرٌ عميقٌ في حياة المجتمع، ويرى بعض المؤرخين أن أهل تلك البلاد في شمال أفريقية كانوا لا يدينون بالولاء للعقيدة الفاطمية، فكثير منهم كانوا من السنة المتعصبين للإمام مالك، وقد اضطر هؤلاء إلى عدم الجهر بعدائهم للشيعة تحت ضغط القهر

---

(١) ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد، **مقدمة ابن خلدون**، دارالفكر للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠١، ص١٢١.

(٢) "زناتة": في ناحية طرابلس، ووسط سهول إفريقية وجبال الأوراس في الجزائر، راجع القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي، **قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب زمان**، تحقيق إبراهيم الأبياري، الطبعة الثانية، الجزء الأول، ١٩٨٢، ص١٧٦.

(٣) حسين مؤنس، **تاريخ المغرب وحضارته**، الطبعة الأولى، العصر الحديث للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٢، ص٥٠٩.

من الأئمة الفاطميين في أثناء وجودهم بالمهدية[١]، والقيروان، والمنصورية، فلما خرج المعز إلى مصر، تحرر أهل البلاد من الكبت، فجاهروا بعدائهم للشيعة والانتصار للمذهب المالكي- وقيل إن أهل السنة ثاروا على الشيعة بالقيروان في أول ولاية "المعز بن باديس"[٢]، فقتلوا نساءهم وأولادهم وقال صاحب المؤنس بهذا الصدد﴾ والمعز هذا هو الذي طهر الله تعالى على يده إفريقية من مذهب الشيعة- وإن كان من عمالهم- يعني الفاطميين- إلاّ أنه كان يتمذهب بغير مذاهبهم. وحمل الناس في أيامه على مذهب الإمام مالك ﷺ، وقطع ما عداه، ولما اشتدت سلطته خرج على طاعة بني عبيد، وخطب لبني العباس سنة (٤٣٥هـ) وقطّع خطبة المستنصر سنة (٤٤٠هـ)، وقطّع بنودهم وأحرقها [٣].

كذلك ظلت المعارضة في نظر الفاطميين لا ترقى إلى المستوى الاجتماعي المطلوب ومثل ذلك ما جاء في خطبة القائم بأمر الله، التي نعى فيها والده عبيدالله المهدي، حيث وصف مَنْ عارضوه بأنهم "أرجاس، أنجاس، أولى الذل...أشقياء، أخزياء، ملعونين في الأرض والسماء"[٤].

---

(١) "المهدية": تقع على شاطئ البحر المتوسط وهي من تأسيس عبيدالله المهدي أول خلفاء العبيديين وإليه تنسب بداية بنائه لها كان سنة (٣٠٣هـ/٩١٥م) وقد جعلها دار مملكته.

(٢) المعز بن باديس بن منصور بن بلكين بن مناد الحميري، الصنهاجي، المغربي، شرف الدولة ابن أمير المغرب، راجع الذهبي، شمس الدين بن أحمد بن عثمان، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق شعيب الأرناؤوط، الجزء الثامن عشر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٢، ص١٤٠.

(٣) ابن أبي دينار، محمد بن أبي القاسم الرعيني، **المؤنس في أخبار تونس**، المكتبة العتيقة، تونس، ١٩٦٧، ص٨٢.

(٤) الجوذري، أبو علي منصور العزيزي، **سيرة الأستاذ جوذر**، تحقيق محمد كامل حسين ومحمد عبدالهادي شعيره، دار الفكر العربي، مصر، ص٥٧.

بينما حظيت طبقة العبيد بمنزلة لم تحظ بها في أي دولة أخرى، "فقد احتلوا مناصب عليا في الدولة الفاطمية سواء في الإدارة أو الجيش، لاستخدامهم في القصور لمرافقة الخلفاء والأمراء في المواكب الرسمية أو كحراس في تنقلاتهم، ويقال أن الخليفة المهدي اتخذ اثني عشر ألف مملوكاً ما بين رومي وحبشي [١].

ومن الأمور اللافتة بهذا الشأن "أن المعز قضى بجواز توريث العبيد شرط بقائهم على الولاية"[٢]. ويبدو أن الخلفاء الفاطميين منحوا العبيد هذه الحقوق لدمجهم مع سائر الطبقات الاجتماعية الأخرى.

أما بالنسبة لأوضاع أهل الذمة (اليهود والنصارى) في ظلّ حكم الفاطميين في المغرب الإسلامي، فقد شكلوا جاليات قريبة من بيوت المسلمين، وقد كانت الدولة تقوم بحمايتهم "فالمسلمون والذميون في نظر الإسلام رعية واحدة" لدولة واحدة، تتمتع بحقوق واحدة، وتنتفع بمصالح الدولة العامة"[٣].

وقد فرض الفاطميون ضريبة على أهل الذمة مقابل السماح لهم بممارسة نشاطهم، وحرية الانتقال بين المدن المغربية، أما أهل الذمة الذين بقوا على دينهم فقد التزموا بدفع الجزية،

---

(١) أحمد بن أبي الضياف، **إتحاف أهل الزمان في أخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، وزارة الثقافة، تونس، ١٩٩٩، ص١٥٦.

(٢) القاضي النعمان، أبو حنيفة بن محمد بن حيون، **رسالة افتتاح الدعوة**، تحقيق فرحات الدشرواي، الشركة التونسية، تونس، ص١٦٨.

(٣) صبحي الصالح، **النظم الإسلامية**، الطبعة الأولى، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٥، ص٣٦٣.

لبيت المال الفاطمي، أما مقدار القيمة التي يدفعونها فتكون حسب حالتهم المادية "أما ما يتعلق بأحكام دفع هذه القيمة المالية فتكون بحسب حال الذمي من غنى وفقر[١].

لقد عرف المجتمع المغربي في عهد الفاطميين تبايناً بين طبقاته الاجتماعية، فالخليفة هو الإمام المعصوم، لا يحق للناس معارضته، كما أنه لا حق لهم في اختياره أو بيعته فهو موصى إليه بالإمامة على الناس والقيام بأمر دينهم، وهم مجبرون على الطاعة له، "فمنذ دخول عبيدالله المهدي بلاد إفريقية أظهر للناس وللخاصة من رجاله أنه الذي تجب طاعته، ويهاب جانبه"[٢].

وقد بالغ الفاطميون كذلك في إظهار البذخ والترف "بأن كسوا دوابهم المنسوجات الحريرية المطرزة بالذهب والفضة والحلي أيضاً، وخاصة في أيام الأعياد والمواسم[٣] أما عامة سكان المغرب الإسلامي فقد كان لباسهم من الصوف، فلبسوا "البرنس"[٤]. "أما سكان الصحراء فقد التزموا اللثام ويبدأ وأن ذلك بسبب الطبيعة القاسية، أما المرأة فكان لباسها "المربعة" وهي خرقة تتخذ عادة من الصوف الناعم، تشدها على الرأس كالعمامة"[٥].

---

(١) ابن عذاري، أبو العباس بن أحمد بن محمد، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، الجزء الأول، دار الثقافة، لبنان، ١٩٨٠، ص١٤١.

(٢) المرجع نفسه، ص١٥٠.

(٣) "البرنس": وهولباس يستعمل شتاءً للوقاية من الأمطار، راجع ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي الموصلي، **صورة الأرض**، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٢، ص٩٩.

وكذلك بنى الفاطميون لأنفسهم القصور الفاخرة ومن بينها قصر المنارة الذي بناه الخليفة عبيدالله المهدي لولي عهده القائم بأمر الله بالمهدية في مقابل البحر ويقال: "إن حفريات حديثة كشفت عن سطوح مغشاة بالفسيفساء العربية، ذات لونين، أما الصور التي تغشاها، فهي عبارة عن باقات من الزهور في غاية الروعة والجمال"[١].

مما سلف يتوضح حياة الترف والبذخ التي عاشها هؤلاء الخلفاء وأهل الحكم على حساب معاناة الرعية والطبقة الكادحة لتبقى بذلك الفروق الاجتماعية بين الأغنياء والفقراء. فضلاً عن ذلك ثقل الضرائب التي فرضها الفاطميون على الفلاحين، وصغار التجار، والفقراء وخاصة في عهد عبيدالله المهدي، والتي كانت سبباً في تدهور أحوالهم الاجتماعية والاقتصادية والصحية.

لقد أفرزت الطبقية في المجتمع الفاطمي ظهور مستويين اجتماعيين فهناك فئة مرفهة تعيش في بذخ وترف، وتمتلك الثروات والأموال الطائلة من الخلفاء والأمراء والقضاء وكبار التجار وأحياناً الجند، وهناك فئة مسحوقة تعاني الفقر والحرمان من الفلاحين وصغار التجار والحرفيين والفقراء، وهذه الأخيرة ساءت أحوالها في ظل الخلافة الفاطمية في المغرب وقد وصفها الخليفة المعز لدين الله بأنها "وقد ابتلانا الله برعي الحمير الجهال، فإنا لم نزل نتلطف في هدايتهم ومسايرة أحوالهم، إلى أن يختم الله لنا بالحسنى، والخروج من بين أظهرهم على أحمد حال"[٢].

وتبدو هذه النظرة من خليفة إسلامي وهذا التفاوت بين الطبقات غريباً في دولة إسلامية أمر دينها بالعدل والبساطة والتواضع، فقد ابتعدوا عن سيرة الرسول عليه السلام، وخلفائه

---

(١) حسن حسني بن صالح بن عبدالوهاب، **ورقات من الحضارة العربية بإفريقية التونسية**، تحقيق محمد العروسي، وبشير العكوش، الجزء الثالث، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٠، ص٣٦٤.

(٢) القاضي النعمان، أبو حنيفة بن محمد بن حيون، **المجالس والمسايرات**، تحقيق الحبيب الفقي، الجامعة التونسية، تونس، ١٩٧٨، ص٢٣٢.

الراشدين، واتجهوا إلى تقليد قياصرة الروم وأكاسرة الفرس، ودليل ذلك حرصهم على مظاهر الهيبة والتقديس التي تقترب من الإجلال والتعظيم لله وليس للبشر.

أما الأعياد والاحتفالات فقد اهتم بها الفاطميون اهتماماً بالغاً، وبالغوا في إضفاء مظاهر الترف والبذخ وأسرفوا في العطايا والهبات، وإقامة المآدب وعمل المواكب والزينات، وفيما جاء في ذلك "أنّ المنصور بالله حينما ضرب السكة بمدينة المنصورية، بعث منها ألف دينار إلى جوذر الصقلي"[١] فضلاً عن ذلك تقدم بهدايا قيمة إلى زعيم صنهاجة وكذلك إلى قائد أنجاده زيرى بن مناد، "كان من جملتها خيول مسرجة، ولجم محلاة بالذهب والفضة[٢].

وينتهز الفاطميون هذه المناسبة السعيدة لتوزيع الهبات والعطايا، فلم يرد هؤلاء الخلفاء أن يحرموا الناس من التمتع في الأعياد والمناسبات، حتى يغفلوا عن مطالبتهم بما ينبغي فعله اتجاه رعاية أمورهم ومصالحهم، وقد يوظفوا هذه الأعياد للتقرب ممن يخالفونهم في المذهب، فيرسلون إليهم الأضاحي "فقد ذكر أن سعدون بن أحمد الخولاني كان يقبل الأضاحي التي كان يرسلها إلى السلطان، ثم يقوم بدوره في تفريقها على الضعفاء والمحتاجين من الناس"[٣].

أما الاحتفالات في المناسبات الأخرى كالزواج والذي يعتبر نظاماً اجتماعياً لتكوين الأسرة، فلم تخرج عما تعورف عليه في المجتمعات الإسلامية الأخرى.

---

(١) الجوذري، أبو علي منصور العزيزي، **سيرة الأستاذ جوذر**، تحقيق محمد كامل حسين ومحمد عبدالهادي شعيره، دار الفكر العربي، مصر، ص٤٧.

(٢) ابن حماد، محمد بن علي، **أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم**، تحقيق التهامي نقرة، وعبدالحليم عويس، دار الصحوة، القاهرة، ص٢٩.

(٣) المالكي، أبو بكر عبدالله بن محمد، **رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية**، تحقيق بشير البكوش، ومحمد العروسي، الجزء الثاني، دار الغرب، بيروت، ص٢٦٠.

ومن مظاهر الحياة الاجتماعية السائدة في المغرب الإسلامي، ختان الأولاد، وقد تميزت هذه الاحتفالات عند الفاطميين بأنها كانت جماعية، وكان الخليفة في ذلك الزمان يشرف على ختان الأولاد في مملكته، وذلك يتم في حفل بهيج، ومن مثل ذلك: "أنه في سنة (٣٣٠هـ/٩٤١م)، ختن إسماعيل المنصورة أولاده، وختن معهم ألف صبي من أبناء القيروان، وكساهم وأعطاهم ما ينفقون وأمر كتامة أن يختنوا أولادهم"[١].

أما تعدد الزوجات فقد كان سائداً بالنسبة للخلفاء الفاطميين على الرغم من أن المعز اكتفى بزوجة واحدة، وكان يحث رعاياه على ذلك[٢].

وفي ذلك الزمان انتشر التسري واتخاذ الجواري في القصر الفاطمي، وكان بين زوجات الخلفاء الأجنبيات والعربيات "كما أن غالبيتهن من الجواري والحظايا، لذلك تجد معظم أمهات الخلفاء أمهات أولاد[٣].

أما العادات والتقاليد في المغرب الإسلامي في ظل الحكم الفاطمي فقد كان بعضها نابعاً من العقيدة الإسلامية "فذكر أن بعض حجاج كتامة الذين صحبهم الشيعي أبو عبدالله، اشتروا شاة، وهيأوا له طعاماً ثم أتوه به فقال: ما هذا؟ قالوا هذا سنتنا في الضيف، وأنت ضيف فينا"[٤].

---

(١) ابن حماد، محمد بن علي، **أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم**، تحقيق التهامي نقرة، وعبدالحليم عويس، دار الصحوة، القاهرة، ص٤٧.

(٢) عبدالمنعم ماجد، **تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ٢٠١٠، ص٤٩٧.

(٣) عبدالمنعم ماجد، **تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ٢٠١٠، ص٢٠.

(٤) القاضي النعمان، أبو حنيفة بن محمد بن حيون، **رسالة افتتاح الدعوة**، تحقيق فرحات الدشرواي، الجزء الأول، الشركة التونسية، تونس، ص٣٥.

ومن المظاهر الاجتماعية التي حرصوا عليها والتزموا بها حسن الجوار، وعدم الاعتداء على الجار أو إيذائه، وصد العدوان عنه ومن ذلك "أنه حين أرسل صاحب ميله إلى بني سكتان من كتامة يطلب إليهم تسليم أبي عبدالله الشيعي، قالوا: "ما كنا ممن يسلمه أو يخذله، ولا يدع أحداً تمتد يده إليه وهو ضيفنا، وبين أظهرنا [1] وكان للمذهب الفاطمي آثاره على الحياة العامة وعقائد الناس وعاداتهم، فظهرت بعض المظاهر الاجتماعية مثل الاعتقاد بفكرة ظهور المهدي المنتظر"[2].

وبأنه المخلص الذي سينشر العدل بين الناس في الأرض بعد أن امتلأت ظلماً، ومثل هذا الاعتقاد نجد له صدى كبيراً في الأوساط الكادحة الفقيرة التي تعاني المرض والجهل والتخلف، ومن العادات الغريبة التي كانت منتشرة بشكل واسع في المغرب في العهد الفاطمي قراءة الكف، وقد اشتهرت بها قبيلة "زناته" "حتى إن من زناته بعلم الكف"[3]. فضلاً عن ذلك ذكرت كتب التاريخ عن شيوع بعض العادات السيئة في تلك الفترة من مثل ظاهرة السرقة، التي ظهرت كمحصلة طبيعية لانتشار البطالة في المجتمع وتحت تأثير الفقر وارتفاع الضرائب والأوضاع الاجتماعية السيئة، فظهرت عصابات لاعتراض التجار وغيرهم وسلبهم أموالهم ومما

---

(1) القاضي النعمان، أبو حنيفة بن محمد بن حيون، **رسالة افتتاح الدعوة**، تحقيق فرحات الدشرواي، الجزء الأول، الشركة التونسية، تونس، ص٣٨.

(2) ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد، **مقدمة ابن خلدون**، دارالفكر للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠١، ص٨٩٥.

(3) الإدريسي، محمد بن محمد بن عبدالله، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ٢٠٠٢، ص١١٢.

قيل في هذا الصدد: "إنه في سنة ٣٠٥هـ/٩١٧م اعترض بعض اللصوص طريق الفقيه أبي العباس بن إبراهيم الأزدي الصائغ، فأخذوا ماله، ثم قتلوه [١].

تعرض مجتمع المغرب الإسلامي أثناء وجود الفاطميين إلى العديد من الأزمات والمحن، ونظراً لسوء الأوضاع السياسية والاجتماعية فقد برزت ظاهرة الهجرة سواء الداخلية أو الخارجية "ففي سنة (٣٠٥هـ/٩١٧م) فرّ قوم يعرفون بـ بني صالح إلى بلاد الأندلس، بعد تعرض مدينتهم نكور إلى حملة عسكرية عنيفة، قادها مصالة بن حبوس ضدهم، لأنهم رفضوا طواعية الإذعان لسلطة الفاطميين فقتل رئيسهم"[٢] ونتيجة للحروب والفتن اضطر الكثير من الأهالي لهجرة أوطانهم "هاجر الكثير من أهالي المهدية إلى مناطق بعيدة مثل: جزيرة صقلية، ومصر، وبلاد الروم بعد أن أنهكهم طول الحصار الذي فرض عليهم من طرف جيش أبي يزيد مخلد بن كيداد الزناتي[٣] وكذلك اشتد الصراع بين القبائل الزناتية والصنهاجية حول سيادة المغرب الأوسط مما أدى إلى هجرة داخلية هرباً من القتل والاضطهاد [٤].

---

(١) حسن علي حسن، **الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس**، مكتبة الخانجي، مصر، ١٩٨٠، ص٤٦٣.

(٢) ابن عذاري، أبو العباس بن أحمد بن محمد، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، الجزء الأول، دار الثقافة، ١٩٨٠، ص٧٣.

(٣) النويري، شهاب الدين بن عبدالوهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب، الطبعة الأولى، الجزء الرابع والعشرين، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٤، ص١٦١.

(٤) النويري، شهاب الدين بن عبدالوهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب، الطبعة الأولى، الجزء الرابع والعشرين، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٤، ص١٦١.

ومن الجدير بالذكر أن من أسباب سوء الأوضاع الاجتماعية أيضاً تدهور الأوضاع الصحية، وانتشار الأوبئة كالطاعون والجذري وقد قيل في هذا الصدد أن الطاعون الذي عمّ البلاد في سنة (٣٠٧هـ/٩١٩م) بلغ مصر[١].

ونظراً لسوء الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الإسلامي في ظل حكم الدولة الفاطمية فقد عمل عدد كبير من أهل المغرب في الجيش الفاطمي، لاسيما أنهم دفعوا لهم رواتب مجزية، وكذلك منحوا الجند أراضي قريبة من قصورهم، وبها كل المرافق الضرورية من أسواق، وفنادق، وحمامات، وقد ذكر ياقوت الحموي أن هذا التخطيط العمرانيس بارزاً في أغلب المدن التي أنشأها الفاطميون في بلاد المغرب الإسلامي"[٢].

أما طبقة التجار الأغنياء فقد احتلت مكانة رفيعة المستوى في المجتمع المغربي نظراً لاهتمام الفاطميين بالنشاط التجاري، فهو مورد هام لجباية الأموال، وقد تمتع التجار بحرية كبيرة مما شجع الأجانب على التجارة في المغرب وخصوصاً اليهود، وبخاصة بعد أن أحكموا سيطرتهم على أهم تجارتين في تلك الفترة ويتعلق الأمر بتجارتي الذهب والرقيق [٣].

أما التجار الصغار (تجار البوادي والأرياف) وفئة الفلاحين فقد كانت أوضاعهم سيئة من جراء الضرائب المفروضة عليهم[٤].

---

(١) ابن عذاري، أبو العباس بن أحمد بن محمد، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، الجزء الأول، دار الثقافة، ١٩٨٠، ص١٨١.

(٢) ياقوت الحموي، أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله، **معجم البلدان**، الطبعة الثانية، الجزء الثالث، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥، ص١٦٠.

(٣) ابن خردذابة، أبو القاسم عبيدالله بن عبدالله، **المسالك والممالك**، دار صادر، بيروت، ١٩٨٩، ص٢٠.

(٤) القاضي النعمان، أبو حنيفة بن محمد بن حيون، **المجالس والمسايرات**، تحقيق الحبيب الفقي، الجامعة التونسية، تونس، ١٩٧٨، ص٣٣٧.

ومهما يكن من أمر فهذه هي صور الحياة في المجتمع المغربي الإسلامي في ظل الحكم الفاطمي.

الحياة الثقافية

إن الدعوة الإسماعيلية بذلت جهودها في كل المجالات لنشر آرائها، وتحقيق أهدافها، وكان لها آثارها السياسية والعقائدية، وآثارها الاجتماعية والثقافية، فقد اهتم الفاطميون منذ استقرار سلطانهم في المغرب الإسلامي بالعمل على نشر الثقافة العلمية والأدبية فضلاً عن الثقافة المذهبية التي تتصل بالدعوة الإسماعيلية كالفقه والتفسير.

" الإسماعيلية أنشط فرق الشيعة في المجالات السياسية، وأسبقها في حقل المعرفة، حيث تبنت تراث الشيعة بصفة عامة، وحمته وأضافت عليه"[١].

لقد اهتم الخلفاء الفاطميون بالثقافة اهتماماً بالغاً فلم يكن ينقص القائم ولا المهدي الولوع بالثقافة، فلما غادر هذا الأخير سلمية على عجل في اتجاه المغرب، أخرج معه كتباً كثيرة تحتوي على شتى العلوم، وكان كذلك المنصور "الكاتب والشاعر والخطيب المصقع، مولعاً بالكتب والعلم، فقد كانت كتبه وكتب آبائه الأئمة تعدّ من أنفس المصنفات"[٢].

أما المعز ففي عهده تقدمت الثقافة تقدماً باهراً ونبغ في عهده دعاة وشعراء وأدباء، وشارك المعز نفسه في هذه النهضة بنصيب كبير، فالمعز كان يعتقد أن النهضة العلمية يجب

---

(١) ابن عذاري، أبو العباس بن أحمد، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، الجزء الأول، دار الثقافة، لبنان، ١٩٨٠، ص١٥٢.

(٢) الجوذري، أبو علي منصور العزيزي، **سيرة الأستاذ جوذر**، تحقيق كامل حسين، ومحمد عبدالهادي شعيره، دار الفكر العربي، مصر، ص١٧.

أن تكون على أيدي بيت رسول الله، وكانت مكتبة المعز في المنصورية ثم في القاهرة زاخرة بالكتب[١].

وبلغ من شغفه بهذه المكتبة أنه كان يعرف مواضع ما فيها من الكتب وما تحويه من معلومات، وقيل أن المعز أمر خازن كتبه أن يحضر كتاباً، فلم يحضره على الفور، فقام المعز وبحث عن هذا الكتاب، ثم قرأه كما قرأ غيره من الكتب، واستهواه الاطلاع حتى صرف معظم الليلة في القراءة وهو واقف على قدميه ولا عجب فقد كان يقول: "والله ما تلذذت بشيء كتلذّذي بالعلم والحكمة"[٢].

وكان المعز يعقد المجالس العلمية فيحضرها كبار رجال الدولة ومشايخها وأدباؤها وعلماؤها، فيظهر مقدرته الفائقة في الفلسفة وعلم التأويل والحديث والفقه. "ويقال إن المعز لدين الله برع في كل علم وفن، أما علم الباطن فهو بحره الذي لا تخاض لجته، ولا يدرك آخره، وأما القول في التوحيد وتثبيت الدين والرد على أهل البدع والملحدين والغلاة فهو واحدة وعلمه ومناره وعمدته، وأما الفقه والحلال والحرام ومسائل الفتياء والأحكام فذلك مجاله وميدانه وصنعته وديوانه، وأما الطب والهندسة وعلم النجوم والفلسفة، وأهل النفاذ، ويبدع لهم فيه البدائع من دقائق معانيه وما تحار أذهانهم فيه"[٣].

---

(١) القاضي النعمان، أبو حنيفة بن محمد بن حيون، **المجالس والمسايرات**، تحقيق الحبيب الفقي، الجامعة التونسية، تونس، ١٩٧٨، ص١٧٢-١٧٣.

(٢) المرجع نفسه، ص٩١-٩٣.

(٣) عبدالله نعمة، **فلاسفة الشيعة حياتهم وآراؤهم**، الطبعة الأولى، دار الفكر اللبناني، لبنان، ١٩٨٧، ص٥٥-٦٣.

فضلاً عن ذلك توجه المعز إلى المغاربة والمشارقة على السواء "يستحث هممهم للتزود بالعلوم، ويلوم من يتقاعس منهم عن ذلك ، وكثيراً ما صرح لجلسائه بأنه مما يحز في نفسه أن يرى الناس منهمكين في اللهو والعبث، لا يلتفتون إلى البحث والاطلاع وتغذية عقولهم بالعلوم والمعارف، وما فتئ يعمل على تشجيع العلماء ويقربهم إليه، ويدر عليهم الأموال، ويشرف على مؤلفاتهم وبحوثهم ويتناولها بالتعديل والتغيير والتصليح، فيحذف ما يريد ويضيف إليها ما هو ضروري من الآراء، وينقد المؤلفين نقد العالم الضليع[١].

ولقد كان للمساجد دور كبير في النهوض بالحياة الثقافية لاسيما في علوم القرآن والحديث والفلسفة والفقه وعلم الكلام، وكذلك ازدهرت العلوم في مختلف فروع المعرفة، كالرياضيات، والعلوم المنقولة، والمترجمة كالطب والفلك وكذلك الأدب، وهذه كلها كانت مطعوية في مكتبات الفاطميين.

فقد اهتم الفاطميون بإنشاء المكتبات، وبناء الخزائن المفعمة بمئات الألوف من الكتب، وبخطوط مؤلفيها، ولما أسس الفاطميون مدينة المهدية في عهد الخليفة عبيدالله المهدي "نقلوا إليها "بيت الحكمة" الذي شيده الأغالبة برقادة"[٢].

ومن الجدير بالذكر أن خزانة "بيت الحكمة" كانت تمور بنفائس الأسفار، وكان الأغالبة قد بذلوا الأموال الطائلة في سبيل اقتناء الكتب من أقاصي البلاد وبأغلى الأثمان"[٣]، ومن فضل

---

(١) القاضي النعمان، أبو حنيفة بن محمد بن حيون، **المجالس والمسايرات**، تحقيق الحبيب الفقي، الجامعة التونسية، تونس، ١٩٧٨، ص١٩٩.

(٢) التورزي، إبراهيم العبيدي، **تاريخ التربية بتونس**، الجزء الأول، الشركة التونسية، تونس، ص٥١.

(٣) المنجي الكعبي، **القزاز القيرواني**، الدار التونسية، تونس، ١٩٦٨، ص١٨.

"بيت الحكمة" أنها جعلت من المهدية لا فحسب مقراً لإقامة الخليفة عبيد الله المهدي، بل أيضاً مركزاً ثقافياً، وقد كان الخليفة المهدي حريصاً على استقدام الأدباء والعلماء الذين كانوا يتمرددون على "بيت الحكمة" مثل الأطباء إسحاق الإسرائيلي، وإسحاق بن عمران"[١]، "والفيلسوف أبا بكر العمودي"[٢] "وأبو جعفر بن أحمد الهارون البغدادي، وقد تم تعيين هذا الكاتب الفصيح والمثقف على رأس ديوان الرسائل"[٣].

ولم يقتصر الفاطميون على الاستحواذ على مكتبة بيت الحكمة برقادة، بل صرفوا عنايتهم إلى جلب الكتب واستنساخها، وفي تأسيس المكتبات "فقد أسس المعز لدين الله مكتبة عظيمة بالمنصورية وجلب إليها الكتب التي كانت بالمهدية، وكان يرسل وفوداً إلى جميع أنحاء العالم الإسلامي لاقتناء المؤلفات على اختلاف أنواعها"[٤].

وبالإضافة إلى انتشار المكتبات، كانت هناك حركة "تحبيس الكتب"[٥] يدلنا على ذلك الكتب والمصاحف الكثيرة من مخطوطات ذلك العصر، والتي ما زالت إلى الآن بمكتبة القيروان العتيقة، ولما كان الأمراء من بني زيرى، كانت أيضاً الأميرات يحبسن الكتب التي قد تنسخ

---

(١) حسن حسني بن صالح بن عبدالوهاب، ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية، تحقيق محمد العروسي، وبشير العكوش، الجزء الأول، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٠، ص٢٣٣.

(٢) المرجع نفسه، ص٢٥١.

(٣) ابن عذاري، أبو العباس بن أحمد بن محمد، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، الجزء الأول، دار الثقافة، لبنان، ١٩٨٠، ص١٦٩.

(٤) التورزي، إبراهيم العبيدي، **تاريخ التربية بتونس**، الجزء الأول، الشركة التونسية، تونس، ص١٥١.

(٥) بمعنى أن الشيء الموقوف محبوس صاحبه عن التمتع به لمدة معينة مع احتفاظه بملكية الشيء الموقوف فهو تحبيس فقط، أما إذا كان الموقوف مؤبداً فتخرج الملكية عن الواقف ويسمى وقفاً وليس تحبيساً. راجع أحمد شوقي بنين، "**ظاهرة وقف الكتب في تاريخ الخزانة المغربية**"، **دعوة الحق المغربية**، العدد (٤٠٤)، ٢٠١٣، ص١٦.

بأيديهن أحياناً، فالأميرة أم ملاك عمة المعز، وفاطمة حاضنة أبيه، وأم العلو أخته وزليخاء زوجته حبسن كثيراً من الكتب التي ما زالت موجودة بمكتبة القيروان"[١].

وكان العلماء أيضاً مولعين بجمع الكتب واستنساخها وقد قيل بهذا الصدد: "إن القاضي عيسى بن مسكبن المتوفى سنة (٢٩٠هـ/٩٠٢م) كان جماعاً للكتاب، حكى عنه تلميذه الكاشي فقال: "أدخلني عيسى مدة قضائه برقادة بيتاً مملوءاً بالكتب، ومن جمعه وقال: كل هذه الكتب رواية لي، وما فيها كلمة غريبة إلاّ وأنا أحفظ لها شاهداً من كلام العرب"[٢].

ومن أعظم المكتبات في تلك الفترة كانت لـ(آل الجزار الأطباء)، ولاسيما خزانة أحمد بن الجزار الحكيم المشهور[٣].

أما أدوات الكتابة فكانت متنوعة وكثيرة يصنع أغلبها بالقيروان "فكانوا يكتبون على جلود الخرفان المصقولة أو على البردى المصنوع من قصب خاص[٤]. وكذلك ذكر القاضي النعمان أن الخليفة المعز لدين الله قال "نريد أن نعمل قلماً يكتب بلاد استمداد من دواة، يكون مراده من داخله، فمتى شاء الإنسان كتب به فأمره وكتب بذلك ما شاء، ومتى شاء تركه ارتفع المداد وكان

---

(١) أحمد بن عامر **الدولة الصنهاجية**، الدار التونسية، تونس، ١٩٧٢، ص٥٥، ٥٦. على بعد أربعة أميال من قيروان إفريقية، أكثر بلاد إفريقية بساتين وفواكه "حاضرة الأغالبة" راجع الحميري، أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن عبدالمنعم، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق إحساب عباس، الطبعة الثانية، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ١٩٨٠، ص٢٨٧.

(٢) ابن فرحون، إبراهيم بن علي بن محمد، **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، القاهرة، ص١٨٠.

(٣) ابن جلجل، أبو أيوب سليمان بن حسان، **طبقات الأطباء والحكماء**، تحقيق فؤاد السيد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥، ص٣٨. ج١، ص٣٨.

(٤) التورزي، إبراهيم العبيدي، **تاريخ التربية بتونس**، الجزء الأول، الشركة التونسية، تونس، ص١٥٦.

القلم ناشفاً منه، يجعله الكاتب في كمه حيث شاء، فلا يؤثر فيه، ولا يرشح شيء من المراد عنه، ولا يكون ذلك إلاّ عندما يبتغي منه ويراد الكتابة به، فيكون آلة عجيبة لم نعلم أنا سبقنا إليها، ودليلاً على حكمة بالغة لمن تأملها وعرف وجه المعنى فيها. فقلت: ويكون هذا يا مولانا عليك سلام الله؟ قال: يكون إن شاء الله فما مر بعد ذلك إلا أيام قلائل حتى جاء الصانع الذي وصف له الصنعة به معمولاً من ذهب، فأودعه المراد وكتب به فكتب وزاد من المداد على مقدار الحاجة"[١]. ومما لا شك فيه أن هذا كله أدى إلى تنشيط الحياة الثقافية ولقد أفسح الفاطميون صدورهم للعلماء المغاربة، وسمحوا لهم بالتعليم في المساجد وأغدقوا عليهم الهبات، واستغلوا هذا كله لتثبيت دعائم الدعوة الإسماعيلية وتأويل النصوص الدينية بما يضع في أيديهم حججاً على أقوالهم، فقد اهتمّ العلماء المغاربة بالعلوم العربية والإسلامية، وذلك لفهم القرآن الكريم، وضبط حروفه، ومن الذين اهتموا بهذه الدراسات في ذلك العصر "مكي بن أبي طالب بن محمد بن مختار القيسي المقرئ وأصله من القيروان، وكذلك أحمد بن علي أبو جعفر الأزدي القيرواني.

أما علماء الحديث "فقد تفوق أبو الحسن علي بن أحمد بن خلف المعافري بابن القابسي الفقيه، ومن علماء الحديث أيضاً الذين نالوا شهرة واسعة محمد بن تميم بن أبي العرب التميمي القيرواني، وكان من أهل الفضل والثقة، واسع الرواية ومن أهل الصدق والتحري"[٢].

---

(١) محمد كامل حسين، "**فن الكتابة في العصر الفاطمي**"، المجلة الثقافية المصرية، العدد الثامن، ١٩٣٩، ص٣٨..

(٢) ابن الدباغ، أبو زيد عبدالرحمن التنوخي، **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، الجزء الثالث، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٥، ص١٣٥.

وأما في مجال علوم اللغة العربية فقد ذكرت كتب الطبقات وغيرها عدد غير قليل من العلماء المغاربة من مثل "محمد بن جعفر القزاز التميمي، شيخ اللغة ومسند الأدب في إفريقية وترك من المؤلفات في علوم اللغة والأدب ما عدته ثلاثة عشر كتاباً أو تزيد"[١].

أما الشعر فقد ازدهر في ظل الدولة الفاطمية لأنهم اتخذوا منه وسيلة لدعوتهم السياسية، وكذلك كانوا يشجعون الشعراء في مدائحهم على الحديث عن المذهب، وأصول الدعوة الفاطمية، وعقائدهم في الأئمة والعلم الباطن، وكذلك الذود عنهم أمام أعدائهم، واتخذوهم كذلك وسيلة للمباهاة بالسلطان، وكان مثلهم في ذلك مثل ما تضم مجالسهم من ألوان الترف والبذخ ومن أشهر شعرائهم ابن هانئ[٢].

ومن المؤرخين المغاربة أيضاً، "أبو بكر عبدالله بن محمد بن عبدالله المالكي، وهو صاحب كتاب "رياض النفوس" المعروف بكتاب المالكي في طبقات علماء إفريقية وزهادها، وقد توفي هذا المؤرخ بعد خراب القيروان"[٣].

وكذلك محمد بن الوراق القيرواني المتوفى سنة (٣٦٣هـ/٩٧٣م) الذي وضع كتاباً عن مسالك إفريقية وممالكها، وقد اعتمد عليه البكري في كتابه "المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب"، والمقدسي في كتابه أحسن التقاسيم"[٤].

---

(١) ابن رشيق، أبو علي الحسن القيرواني، **العمدة في صناعة الشعر ونقده**، تحقيق محمد محيي الدين، الطبعة الخامسة، الجزء الأول، دار الجيل، بيروت، ١٩٨١، ص٢١١.

(٢) ابن خلكان، شمس الدين أبو العباس، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، الجزء الرابع، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧، ص٤١٥.

(٣) ابن الدباغ، أبو زيد عبدالرحمن التنوخي، **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، الجزء الثالث، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٥، ص١٩٠.

(٤) ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق، **الفهرست**، تحقيق إبراهيم رمضان، الطبعة الثانية، دار المعرفة، لبنان، ١٩٩٧، ص٢٢٥-٢٢٦.

أما الطبيب القيرواني أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد المعروف بابن الجزار، فقد كانت له عناية بالتاريخ إلى جانب الطب، وترك لنا مؤلفات عديدة في التاريخ منها "التعريف بصحيح التاريخ" وفي الطب كتابه "زاد المسافر"[١].

واشتهر في مجال الجغرافيا العديد من الرحالة المغاربة ونذكر من هؤلاء "أبا عبدالله محمد بن محمد عبدالله بن إدريس الحموي الحسني المعروف بالشريف الأدريسي"[٢].

أما الفلسفة على اختلاف ألوانها وفنونها، فقد ازدهرت في العصر الفاطمي، ويعتبر السجستاني عميدة مدرسة الدعوة الإسماعيلية[٣].

ومن أشهر علماء الفاطميين "يعقوب بن كلس"، فقد كان إلى جانب دوره في إدارة شؤون الدولة في منصب الوزارة عالماً من أشهر علماء الدعوة الفاطمية، وكان له أثر قوي في الدعوة والفكر في ذلك العصر، وكان يعقوب محباً للعلم والعلماء يغدق عليهم المنح والعطايا ولا يبخل بالمال على الكتاب، وبلغ ابن كلس من الفقه الفاطمي درجة مكنته من تأليف الكتب فيه وقرب الشعراء ووهبهم الهبات الجزلة، وكان يجمع العلماء في داره، وكان بها قوم يكتبون القرآن الكريم، وآخرون يكتبون الحديث، وكان ينصب كل يوم خواناً لخاصته من أهل العلم[٤].

ومن الجدير بالذكر أن المغرب الإسلامي في العهد الفاطمي كان هدفاً لرحلات عدد كبير من علماء الشرق من مثل: "إسماعيل بن عبدالرحمن بن علي بن محمد بن أحمد القرشي

---

(١) ياقوت الحموي، أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله، **معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**، تحقيق إحسان عباس، الطبعة الأولى، الجزء الثاني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٣، ص٢٣٦.

(٢) نقولا زيادة، الرحالة العرب، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ١٩٧٩، ص٥٦، ٥٧.

(٣) محمد حسن الأعظمي، **عبقرية الفاطميين**، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٠، ص٢١٩.

(٤) المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، الجزء الثاني، مطبعة الأدب، القاهرة، ١٩٦٨، ص٦.

العامري المصري، رحل عن مصر سنة (٣٥٧هـ/٩٦٧م) قاصداً المغرب، وكذلك الحسين بن الحسن بن أحمد بن الفتح الدمياطي، وزيدان بن حبيب بن سلامة القضاعي الإسكندراني"[١] وكذلك اليعقوبي مؤلف كتاب البلدان الذي زار إفريقية مرات عديدة في الفترة التي شهدت طلوع نجم الفاطميين في المغرب الإسلامي وأفول نجم الأغالبة، وكذلك ابن حوقل الذي زار المغرب سنة (٣٣١هـ/٩٤٣م)، ومؤلف كتاب المسالك والممالك[٢].

وهذا النزوح يبين أهمية المغرب الإسلامي ودوره الثقافي في إثراء الحياة الفكرية في ذلك الوقت، ومما لا شك فيه أن هذه الطائفة من العلماء وزعماء الفكر والأدب أدت إلى ازدهار الحركة الفكرية في المغرب في ظلّ الحكم الفاطمي من خلال ممارستهم لمهنة التدريس أو الخطابة أو مهام أخرى.

أما موقف الفاطميين من علماء أهل السنة، فقد تباينت فيه أقوال المؤرخين، فقد ذهب بعضهم إلى أن الفاطميين كانوا شديدي التعصب لمذهبهم الفاطمي، "حتى إنهم أكرهوا الناس على اتباع عقيدتهم، وأنهم في سبيل ذلك اضطهدوا علماء مذاهب أهل السنة، بل أفنوهم تقتيلاً وتشريداً"[٣].

---

(١) ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبدالملك، **الصلة في تاريخ أئمة الأندلس (وعلمائهم ومحدثيهم، وفقائهم وأدبائهم)**، تحقيق بشار عواد، الطبعة الأولى، الجزء الأول، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠١٠، ص٨٦.

(٢) ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيدالله بن عبدالله، **المسالك والممالك**، دار صادر، بيروت، ١٩٨٩، ص١٥٢.

(٣) السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر، **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الجزء الأول، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٨، ص٤٨٠.

وقد أشارت بعض المصادر إلى "أن الفقيه أبا بكر محمد بن وشاح المعروف "بابن اللباد" كان يجتمع بطلابه خفية، وكانوا ربما يجعلون الكتب في أوساطهم وحجورهم حتى تبتل بعرقهم، خوفاً على أنفسهم من بني عبيد أن يناولهم بمكروه"[١].

وبعض المصادر أشارت إلى أن الفاطميين لم يمنعوا أهل السنة من إظهار شعائرهم على اختلاف مذاهبهم، مع ما في هذا من مخالفة لمعتقداتهم، ففي القيروان أحد مشاهير فقهاء المالكية وهو "سحنون" تخرج عليه عدد كبير من العلماء والفقهاء بلغوا سبعمائة على حد تعبير بعض الروايات وقد قيل الكثير عن مكانة "سحنون" في الفقه المالكي: "ولئن قلت لك أن سحنون أفقه أصحاب مالك بن أنس– معلميه– كلهم إني لصادق"[٢].

إنّ توالي الأحداث السياسية في عهد الفاطميين، وما ترتب عليها من نتائج كان لها كبير الأثر على علماء السنة ("الذين آثر معظمهم حياة الزهد والعبادة، والابتعاد ما أمكن عن سلطة الدولة الفاطمية، فقد قيل عن أبي عثمان المعروف "بابن الحداد"، إنه كان لا يدخل على السلاطين، ولا يسير إليهم حتى يوجهوا إليه") [٣].

---

(١) ابن عبدربه، أحمد بن محمد بن حبيب الأندلسي، **العقد الفريد**، تحقيق مفيد محمد قميحة، الطبعة الأولى، الجزء السادس، دار صادر، بيروت، ١٩٨٣، ص٢٩٤.

(٢) المالكي، أبو بكر عبدالله بن محمد، **رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية**، الجزء الأول، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٤، ص٢٥٤.

(٣) الدباغ، أبو زيد عبدالرحمن التنوخي، **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، دار الكتب، بيروت، ٢٠٠٥، ص٢١٠.

وقد التف حول فقهاء السنة وعلمائها "بعض الفئات الاجتماعية والتي ربما تكون قد تضررت من سياسة الحكم الفاطمي، بما في ذلك فئة التجار[١] وذلك أعطى للثورة أبعاداً اجتماعية واقتصادية فضلاً عن البعدين المذهبي والسياسي.

وفي نهاية الأمر أجبرت هذه الثورة عبيدالله المهدي على إعادة النظر في موقفه اتجاه علماء السنة، وعدم التعرض لمذاهبهم ولإرضائهم "عمل على تعيين أحمد بن محمد بن الوليد على المظالم"[٢] "وجعل على قضاء القيروان أبا عبدالله محمد بن أبي المنظور"[٣].

كما أن هناك من علماء السنة كان على اتصال بالسلطة الفاطمية "تقية"[٤] كأبي عثمان بن محمد الخولاني، فقد كان يشاركهم في أفراحهم وأحزانهم مدارة لهم "ليكف أذاهم، وليبقى عليها جميل الحال والهيبة، ولا يكون كسائر الحصون التي أخلوها وأفسدوها، على حد تعبير المالكي"[٥].

ونظراً لهذه الأوضاع، فقد قامت العديد من المناظرات بين علماء السنة والشيعة، وقد كان هناك خلاف تام حول تعريف العقيدة أو مبدأ الولاية"[٦].

---

(١) المالكي، أبو بكر عبدالله بن محمد، **رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية**، الجزء الأول، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٤، ص٣٤١.

(٢) المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، **اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء**، تحقيق جمال الدين الشيال، الطبعة الثانية، الجزء الأول، لجنة إحياء التراث، القاهرة، ١٩٩٦، ص٩١.

(٣) القاضي عياض، أبو الفضل بن موسى اليحصبي، **ترتيب المدارك**، تحقيق عبدالقادر الصحراوي، وتقريب المسالك، الطبعة الأولى، الجزء الثاني، مطبعة فضالة، المغرب، ١٩٦٦، ص٣٣٩.

(٤) التقية أو المدارة، ومعناها أن يحافظ المرء على نفسه أو عرضه أو ماله، بالتظاهر أو عمل ما لا يعتقد بصحته انظر أحمد أمين، فجر الإسلام، ج١، ص٣٢١.

(٥) المالكي، أبو بكر عبدالله بن محمد، **رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية**، الجزء الأول، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٤، ص٤٥.

(٦) القاضي النعمان، أبو حنيفة بن محمد بن حيون، **دعائم الإسلام**، الطبعة الأولى، الجزء الثاني، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٠، ص١٧-٣٦.

وأما مسائل الخلاف الأخرى فقد ارتكزت فيها المناظرات حول مسائل شرعية من مثل: "تفضيل علي بن أبي طالب"، "وصلاة التراويح" فقد اعتبرها الشيعة سنة سنها عمر بن الخطاب ﷺ، "والقياس"، "وفضل العالم على المتعلِّم"، "وحدّ شارب الخمر"، و"صيغة الأذان"، فهذه كانت تمثل نقطة خلاف دقيقة[١].

ومهما يكن من أمر فإن هذه المناظرات زادت الوعي بين الناس، وأفاد منها السنة والشيعة، فكان لها أثر بعيد في النهضة العلمية والفكرية التي تميز بها العصر الفاطمي في المغرب الإسلامي. فقد تطورت دراسة العلوم الدينية وتعليم اللغة والنحو والجدل المذهبي، وحب النثر الفني والشعر، لاسيما في القيروان التي استطاعت بمساهمتها الذاتية أن تسهم في ازدهار الثقافة العربية الإسلامية مما جعل أنفاراً من الأندلسيين يختصرون رحلتهم ويكتفون بدروس علماء القيروان[٢] ويمكن أن نتخيل مدى تألق ذلك النشاط الثقافي الذي "لم تسلط عليه كتب التراجم بعض الأضواء إلاّ على جانبه الديني"[٣].

وكذلك عرف الفاطميون باهتمامهم بالعمارة وبناء القصور والمساجد والمدارس وحشدوا لها الصناع والمهندسين والفنانين فجاءت آية في إحكام البناء وحسن التناسق، وبديع الزخارف.

---

(١) عبدالعزيز المجدوب، **الصراع المذهبي بإفريقية إلى قيام الدولة الزيرية**، الطبعة الأولى، دار سحنون، تونس، ٢٠٠٨، ص٦٧٩.

(٢) أبو القاسم دراجة، العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط والأندلس، **مجلة بحوث، الجزائر**، ١٩٩٤، ص١٦٧.

(٣) المرجع نفسه، ص١٢٢-١٤١.

وقد امتازت دور العبادة من المساجد وغيرها بأنماط من الطرز المعمارية الجميلة، وكذلك امتاز الفنان الفاطمي في صناعة وزخرفة أدوات المائدة [١].

فضلاً عن ذلك اهتم الفاطميون بالموسيقى، ولم يجدوا تحرجاً في سماعها "إن الموسيقى وفنون التلحين كانا من أجل اهتمامات الفاطميين في مرحلة ملكهم بالمغرب، وقد اعتنى بشأنه الملوك الفواطم مدة إقامتهم بإفريقية عناية خاصة، وساعد على ذلك– فيما نظن– انتسابهم إلى النحلة الشيعية التي لم تكن ترى بأساً في السماع للإيقاع، كما لم تقل بتحريم التصوير؛ بل إنها كانت تجوز تمثيل الأحياء من آدميين وحيوان بصورة بارزة منحوتة من الرخام والنحاس، أو مرسومة بالأدهان على الجدران والمنسوجات والبسط تمثيلاً واقعياً أو خيالياً متقناً"[٢].

---

(١) المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، الجزء الأول، مطبعة الأدب، القاهرة، ١٩٦٨، ص٤٧٩.

(٢) حسن حسني عبدالوهاب، **ورقات من الحضارة العربية بإفريقية التونسية**، تحقيق محمد العروسي وبشير العكوش، الجزء الثاني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٠، ص٢٠٣.

الفصل الثاني

الفنون النثرية العربيّة في العهد الفاطمي في المغرب العربي: الخطابة، الرسائل، المذكرات، السير

التمهيد

الأدب الفاطمي بصورتيه الشعرية والنثرية صورة للحياة السياسية والاجتماعية والفكرية والفنية، تتجلى فيهما عناصرها جميعاً، فالظاهرة التي ينبغي أن لا تغيب عن بالنا في هذا الأدب بصفة عامة، تتمثل في عدة عناصر كانت كلها آثاراً للبيئة، وما تضمنتها من أحداث سياسية وصراع على السلطة بين الدول أو الأفراد والجماعات والقبائل على اختلاف انتماءاتها الإقليميّة والعرقية، أو في الحياة وما سادها من عادات وتقاليد وسلوكات ورفاهية أحياناً وبؤس أحياناً أخرى، أو في الثقافة والفن وما تخللها من تيارات نابعة من قيم دينية وعقلية، فكل تغير يحدث في الحياة نلاحظ صداه في الموضوعات الأدبية، لذلك فنثر الفاطميين يمثل الحاضر وما فيه من جديد والماضي وما فيه من خصائص وتقاليد [1].

لقد تنوع فن النثر (الخطابة، والرسائل، والسير، والمذكرات) في العهد الفاطمي في أشكاله وأساليبه، وإن ظلّ في صورته العامة على ما جرت به أقلام الأدباء والكُتاب أو تحدثت

---

(1) محمد زغلول سلام، الأدب في العصر الفاطمي، منشأة المعارف بالإسكندرية، القاهرة، ص٩-١١. وراجع أيضاً الداعي إدريس، عماد الدين، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب "عيون الأخبار"، تحقيق محمد اليعلاوي، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥.

به وانطلقت ألسنة الخطباء، وكذلك تنوعت بيئات الأدب في الدولة الفاطمية وكانت أهم بيئاته وأكثرها نشاطاً وعطاءً القيروان؛ فكانت حاضرة الدولة الأولى وما يتصل بها من المدن التي أنشأها الفاطميون كالمهدية والمنصورية، فقد كانوا مركز النشاط الأدبي والفكري، ثم انتقل بعد ذلك إلى سائر مدن المغرب وإفريقية.

ستتناول الباحثة في هذا الفصل عرضاً لفنون النثر بكل أشكاله الخطابة، والرسائل والسير، والمذكرات من حيث أنواعها ومضامينها.

المبحث الأول

الخطابة

الخطابة لغة واصطلاحاً

ازدهرت الخطابة في العصر الفاطمي في المغرب، فقد كانت العوامل متوافرة لشيوع هذا الفن وازدهاره، من السياسية إلى الاجتماعية ولاسيما المذهبية وترى الباحثة أن من ضرورات الحديث بهذا الموضوع أن تمهد بحديث موجز عن "التعريف بفن الخطابة".

والخطابة في اللغة هي: "الخطاب والمخاطبة: مراجعة الكلام، والخطبة مصدر الخطيب، وخطب الخاطب على المنبر، واختطب يخطب خطابه، واسم الكلام الخطبة، وقال الجوهري: خطبة على المنبر "خُطبة" بالضم، وخِطبت المرأة خطبة بالكسر، وذهب أبو إسحاق إلى أن الخطبة عند العرب: الكلام المنثور المسجع، ونحوه، والخطبة مثل الرسالة، التي لها أول وآخر"[1] أما اللغة في الاصطلاح فقد عرفها ارسطو بقوله: "فالريطورية (الخطابة) قوة تتكلف الإقناع الممكن في كل واحد من الأمور المفردة"[2]. ويمكن أن نستنتج من هذا النص أن الخطابة صناعة تشتغل ضمن أدوات وآليات معينة يجتهد الخطيب من خلالها؛ كي يقنع المتلقي في جميع المجالات.

---

(1) ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل، **لسان العرب**، الطبعة الثالثة، الجزء الأول، دار صادر، بيروت، ص٣٦١، (كتاب الباء فصل الخاء).

(2) ارسطو طاليس، **الخطابة** "**الترجمة العربية القديمة**"، الطبعة الأولى، المجلد الأول، دار صادر، بيروت، ١٩٧٩، ص٩.

وقد عرفها الشيخ علي محفوظ بأنها: "مجموع قوانين يقتدر بها على الإقناع الممكن في أي موضوع يراد– والإقناع حمل السامع على التسليم بصحة المقول وصواب الفعل أو الترك"[١].

وهي نوعان: "برهاني، وخطابي"، وغاية الأول إذا كان العقل لنتيجة مبنية على مقدمات تثبت له صحتها كقولنا: "الأربعة زوج، لأنه منقسم بمتساويين وقولنا: العالم حادث لأنه متغير، وغاية الثاني إذعان العقل بصحة المقول وصواب الفعل أو الترك بأقيسة مؤلفة من أقول مظنونة أخذ فيها بالمحتمل الراجح، أو مقبولة صدرت ممن يعتقد صدقه وسداد رأيه"[٢]. أما الحوفي فقد عرفها بأنها "فن مشافهة الجمهور وإقناعه واستمالته"[٣]. أما أرسطو فقد قسمها إلى ثلاثة أقسام فيقول: "فمن الاضطرار أن يكون الكلام "الريطوري"[٤] ثلاثة أجناس: مشوري، ومشاجري، وتثبيتي"[٥] وهذه الثلاثة هي التي اصطلح عليها بعض الباحثين: بالاستشارية والقضائية والاحتفالية، وموضوع الاستشارية تقديم المشورة في أمر عام أو خاص، وأما القضائية فموضوعها العدل والظلم، وأما الاحتفالية فموضوعها المدح والذم، وكل واحد من هذه الأقسام مرتبط بمجال زمني محدد"[٦] وصفوة العقول أن الفلاسفة اعتبروا الخطابة علماً له أصول وقوانيين، تمكن الدارس لها من التأثير بالكلام وتعرفه وسائل الإقناع بالخطاب بشتى الأغراض الكلامية. أما فيما يتعلق بخلق الخطيب أو شخصيته فيرى أرسطو بأنه "يكون الكلام بنحو يجعل

---

(١) علي محفوظ، **فن الخطابة وإعداد الخطيب**، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٨٤، ص٢٥.

(٢) علي محفوظ، **فن الخطابة وإعداد الخطيب**، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٨٤، ص١٣.

(٣) أحمد الحوفي، **فن الخطابة**، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٩٨، ص٥.

(٤) ترجم ابن رشد مصطلح الريطورية إلى "خطابة" راجع ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد، **تلخيص الخطابة**، تحقيق محمد سليم سالم، لجنة إحياء التراث، القاهرة.

(٥) أرسطو طاليس، الخطابة "**الترجمة العربية القديمة**"، الطبعة الأولى، المجلد الأول، دار صادر، بيروت، ١٩٧٩، ص١٧.

(٦) نبيل خالد؛ رياح أبو علي، **نقد النثر في تراث العرب النقدي حتى نهاية العصر العباسي**، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، ١٩٩٣، ص٢١٣.

المتكلم أهلاً أن يصدق ويقبل قوله، والصالحون هم المصدقون سريعاً بالأكثر في جميع الأمور الظاهرة"[١].

واشترط بعضهم في الخطب ((الاستعداد الفطري أول الأمور التي ينبغي أن تتوفر في الخطب، وكذلك يجب أن يكون جهد الصوت، واسع الشدقين..، ووعي الخطيب بالمقام الذي يقوم فيه، وإدراكه لما يناسب ذلك المقام من المقال وسيلة هامة من وسائل تحقيق غاياته)) [٢].

أما الخطابة في العصر الفاطمي فإننا نستطيع أن نحصرها في ثلاثة أقسام وهي الخطابة السياسية، الخطابة الدينية، الخطابة الاجتماعية:

أولاً: الخطابة السياسية

نشطت الخطابة السياسية في عهد الفاطميين بالمغرب العربي، وذلك لأنهم يريدون إثبات أحقيتهم في الخلافة، فكان هذا حافزاً كبيراً لتطور الخطابة السياسية، وقد تنوعت الموضوعات والمضامين التي عالجتها الخطابة السياسية وهي:

أولاً: خطب الإصلاح والطاعة والتوجيه

"وهي التي ينظر فيها النواب ورجال الشورى في شؤون الدولة وأمور الرعية لسن القوانين"[١]، ومن أمثلتها خطبة الخليفة عبيدالله المهدي في بداية عهده يوضح فيها خطته في

---

(١) ارسطو طاليس، **الخطابة** "**الترجمة العربية القديمة**"، الطبعة الأولى، المجلد الأول، دار صادر، بيروت، ١٩٧٩، مصدر سابق، ص١٠.

(٢) ارسطو طاليس، **الخطابة** "**الترجمة العربية القديمة**"، الطبعة الأولى، المجلد الأول، دار صادر، بيروت، ١٩٧٩، مصدر سابق، ص١٠.

سياسة أمور الرعية إلى خطبة عبيدالله المهدي في بداية عهده يوضّح فيها خطته في سياسة أمور الرعيّة وقد أمر بقراءتها على المنابر وفي مقدمة الخطبة قال: "أما بعد فالحمد لله الذي رفع عمد الحق وأعز أهله، ونكس الباطل وأذل حزبه، القادر فلا يعارض في قدرته، العزيز فلا يغالب في أمره، الناصر لدينه الذي رضيه لنفسه، وشرفه بأكرم أنبيائه عليه وأعلاهم درجة عنده وأشرفهم منزلة وأقربهم وسيلة لديه محمد عليه السلام"(٢).

فقد حمد الله القدير وصلى على سيدنا محمد ووصفه بأنه أكرم الأنبياء وأعلاهم درجة ثم انتقل بعد ذلك إلى الحديث عن أحقية أهل البيت بالخلافة بالإمامة حيث قال: "محمد عليه السلام حامل حكمته ومستودع غيبه وما يكون من بعده من كيد الكائدين وخيانة الخائنين وظلم الظالمين، إلى أهل بيته الذين سبق لهم وعده بالنصر والتأييد والعز والتمكين، فردّ إرث النبوة ومقاليد الإمامة إلى عترة نبيه، وأعز الدين والمؤمنين وأيدهم وأنقذهم من الهلكة، في كل سكون وحركة، بعبدالله ووليه أبي محمد الإمام المهدي بالله أمير المؤمنين"(٣).

ثم يأتي إلى موضوع الخطبة ويسهب في عرض الخطبة بصفات المهدي فهو أنجز جلّ جلاله، وتقدست أسماؤه، وعده لرسوله وعلى آله أجمعين، فردّ إرث النبوة ومقاليد الإمامة إلى عترة نبيه، وأعزّ الدين والمؤمنين وأيدهم وأنقذهم من الهلكة، في كل سكون وحركة، بعبدالله ووليه أبي محمد الإمام المهدي بالله أمير المؤمنين، وأظهر بهجة الإسلام وجماله بقيامه وأخذه تراث جده النبي (عليه السلام) وأبيه الوصي ﷺ، وجعل أولياءه وأنصار حقه أولي البصائر النافذة والنيات الصادقة من سادات العرب وأنجاد كتامة، فألقت عصاها الإمامة في دارها وقرت عينها،

---

(١) علي محفوظ، **فن الخطابة وإعداد الخطيب**، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٨٤، ص٨٢.

(٢) الداعي إدريس، عماد الدين، **تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب** "**عيون الأخبار**". تحقيق محمد اليعلاوي، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥، ص١٧١.

(٣) المرجع نفسه،ص١٧١.

وأنست وحشتها، واستقرّ قرارها، وصار أمير المؤمنين طوداً منيفاً وجبلاً راسياً على الأرض وظلاً ظليلاً لأهلها، فثبتت به وطأة الهدى، وسكن إليه نفار التقوى وتقوّم به ما كان منها متأوداً من عمودها، وانبرم ما كان منحلاً من حبلها واجتمع ما كان مفترقاً من شملها، وتلاءم ما كان متشعثاً منها، ببركة أمير المؤمنين "بركة أمير المؤمنين، يَمُن نقيبته، وسعد نجمه، وهبوب ريحه، داوى الإسلام من الداء العضال، وتق من فتوقه من كان منخرقاً وجبر من كسره ما كان لا يجبر ولاءم من صدعه ما كان لا يلأم فهو مفتاح الرحمة ودليل الخير، ذبا عن الحق، وحياطة للدين، وعناية بأمور المسلمين والحمد لله رب العالمين إلى الآخر"[١].

ليغرس في نفوس الناس أحقيته بالخلافة ووجوب الطاعة له ثم ينتقل إلى صلب الموضوع يقول: "وكل مَنْ قدح بزنده وأحطب في حبله فمحكوم له بالنصر ومقضي له بالظفر، وكلّ مَنْ نكب عنه وخان أمانته ونقض عهده وخفر ذمته، فقد باء بغضب من الله في الخلاف عليه، وإطلاق الفتنة من عقالها، فكل من أوقد عليه الحرب أحرقته بنارها وكلمته بأظفارها، وكلّ مَنْ تمسك بالعروة الوثقى وفاز في الآخرة والأولى، وكل مَنْ التمس وليجة غيرها فقد"[٢] ﴿خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾[٣].

فهنا بيّن الخليفة المهدي سياسته مع الرعية وموقفه من المخالفين له وعزمه على مواجهتهم والقضاء عليهم، أما أنصاره فهم المنتصرون دائماً ولهم الغلبة، وسيفوزون في الدنيا والآخرة ويستشهد بآية قرآنية ليعمق هذه المعاني في نفوسهم.

---

(١) الداعي إدريس، عماد الدين، **تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب** "**عيون الأخبار**". تحقيق محمد اليعلاوي، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥، ص١٧٢.

(٢) المرجع نفسه، الداعي إدريس، ص١٧٢.

(٣) سورة الحج، الآية رقم (١).

وفي الخاتمة يؤكد على وجوب الطاعة للخليفة ووجوب الشكر على هذه النعمة فهو يريد الفلاح والإصلاح لهم ويؤكد كذلك على ما جاء في عرض الخطبة بأنّ أنصاره سينجون وأعداءه في سيغرقون ويستشهد بآية قرآنية لتعميق هذه المعاني في نفوسهم يقول: "فاحمدوا الله الذي بلَّغكم زمان أمير المؤمنين، واختصكم ببركة أيامه وسعادة دولته، ولتنبسط آمالكم وليكثر بالثقة بعدله اسبتشاركم، ولتنفسح بالمعرفة بحسن نظره صدوركم، وليشتد تمسككم بحبل طاعته وأسباب ولايته فإنه لا يتصل بين الله وبين عباده سبب إلاّ بمحبة آل رسول الله قال الله جلّ ذكره: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾[1] وقال رسول الله: "إنّ مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركبها نجاه ومن تخلف عنها غرق"[2].

([1]) سورة الشورى، الآية رقم (٢٣).

([2]) السيوطي، جلال الدين، الجامع الصغير، الجزء الأول، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٢، ص١.

ثانياً: خطب التحريض واستنهاض الهمم

وهي التي "يلقيها قواد الجيوش قبل الحرب يحضون فيها الجند على قتال الأعداء، والغاية منها إنهاض همم الجنود وإذكاء نار الحماسة فيهم وإثارة النخوة والحمية والإقدام وتهوين الموت وتحسين التضحية في سبيل الشرف والكرامة"[١] من مثل خطبة القائم بأمر الله" أثناء حصار "المهدية"[٢] فقد أمر "المروزي"[٣] قاضيه في المهدية أن يقرأها عليهم يقول في مقدمتها: "بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة والسلام على النبي محمد ﷺ وعلى آله الطاهرين: "أيها الناس، إن هذا اللعين النكاري قد استشرى شره واستوى مرتعه، وحملته الأماني الغرارة، والنفس التي هي بالسوء أمارة على أن غمط نعمة الله عليه وسول له الشيطان الذي هو قرينه أنّ لا غالب له، وإنما أرضى له أمير المؤمنين في زمامه، ليعثر في فضل خطامه فلعنه الله لعناً وبيلاً، وأخزاه خزياً طويلاً، وصيره إلى نار تلظى"[٤] ﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى﴾[٥] وهو قتال الدجال مخلد بن كيداد"[٦].

نلاحظ أن الخليفة القائم استهل خطبته بحمد الله وصلى على الرسول وآله الطاهرين، ودخل في صلب الموضوع مباشرة وذلك للظروف العصبية والنفسية التي يمر بها الخليفة فهو تحت الحصار لذا فإنه يحرض الناس على قتال "مخلد بن كيداد" أبي يزيد الملقب "بصاحب

---

(١) علي محفوظ، **فن الخطابة وإعداد الخطيب**، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٨٤، ص٨٥.

(٢) تقع المهدية على الساحل الشرقي لإفريقية، أسسها عبيدالله المهدي سنة (٣٠٢هـ) راجع البكري، أبو عبيدالله بن عبدالعزيز، **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب**، الجزء الثاني، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ١٩٩٢، ص٤٣.

(٣) زكريا بن يحيى المروزي، قاضي الخليفة القائم على المهدية راجع الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٧.

(٤) الجوذري، أبو علي منصور العزيزي، **سيرة الأستاذ جوذر**، تحقيق كامل حسين، ومحمد عبدالهادي شعيره، دار الفكر العربي، مصر، ص٥٣.

(٥) سورة الليل، الآية رقم (١).

(٦) مخلد بن كداد عُرف باسم أبي يزيد من قبائل زناته يُكنى بصاحب الحمار؛ لأنه كان يتنقل بين المدن والقرى ناشراً دعوته العدائية للفاطميين راكباً حماراً راجع ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد، **العبر وديوان المبتدأ أو الخبر**، الجزء الرابع، دار الكتاب العلمية، بيروت، ص٨٤-٨٥.

الحمار" يقول "فقاتلوا رحمكم الله، أحزاب الضلال، وذئاب الطمع، وفراش النار، واطلبوهم في نواحي الأرض وأقاصي البلدان، وجميع الآفاق، حتى يحق الله الحق ويبطل الباطل ولو كره المشركون"[١].

ثم يؤكد على وجوب الطاعة والدفاع عن حق الفاطميين يقول: "وقد علمتم يا معشر كتامة ما مضى عليه آباؤكم وقدماء أسلافكم من لزوم الطاعة، والاعتصام بحبلها والتفيئ بظلها، والمجاهدة في الله حق جهاده، وإنكم خبيئة الله لهذا الحق المحمدي الفاطمي المهدي حتى أظهره وأعلاه...فأي حق بعد هذا الحق تطلبون، ومع أي إمام بعد إمامكم تقاتلون"[٢].

إنّ هذه الخطب السياسية لا تفهم حق الفهم إلاّ إذا وضعت في الإطار التاريخي الذي كتبت فيه؛ لذلك نرى الخليفة ينوّع في أساليب خطابته فمرة يحرض كخطبة القائم للتحريض على قتال "مخلد بن كداد" ومرة يتوسل كخطبته في أهل كتامة لأنه لا يجد أهل كتامة لأنه لا يجد له سنداً إلاّ من عبيده وبعض رجالات كتامة المحاصرين مثله وراء أسوار المهدية، وقد أفقد أبو يزيد حيل الخليفة فشل حركته وكاد يتملكه اليأس[٣] يقول: "يا أبناء المهاجرين والأنصار، والسابقين الأولين المقربين، أليس بكم أزال الله دول الظالمين، التي مضت لها أحقاب السنين، حتى جعلهم حصيداً خامدين؟ وأورثكم أرضهم وديارهم، فصرتم تغزون بعد أن كنتم تغزون؟"[٤].

---

(١) الجوذري، أبو علي منصور العزيزي، **سيرة الأستاذ جوذر**، تحقيق كامل حسين، ومحمد عبدالهادي شعيره، دار الفكر العربي، مصر، ص٥٣

(٢) المرجع نفسه، ص٥٤.

(٣) الداعي إدريس، عماد الدين، **تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب** "**عيون الأخبار**". تحقيق محمد اليعلاوي، الطبعة الأولى، الجزء الخامس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥، ص٣١١.

(٤) المرجع السابق، **سيرة الأستاذ جوذر**، مرجع سابق، ص٥٤.

ومن صور خطب التحريض واستنهاض الهمم خطبة المعز لدين الله لشباب كتامة عندما كانوا يستعدون لفتح "سجلماسة" ففي مقدمة الخطبة يمدحهم ويثني عليهم "لإثارة حماسهم، وبث روح العزيمة في نفوسهم بما يبعث في نفوسهم من استعداد إلى لقاء العدو يقول: "بارك الله فيكم وأحسن صحابتكم والخلافة عليكم! فقد صدقتم ظني فيكم وأملي عندكم وأنتم من معدن البركة وعنصر الخير، بكم يريد الله إظهار أمرنا، وبكم يتمه ويصلحه بحوله وقوته، وقد علمت مسارعتكم إلى ما ندبتم إليه مسارعتكم إلى ما ندبتم إليه وإجابتكم لما أردتم له، وأرجو أن تبلغوا من ذلك بحسب الأمل فيكم، ويرفع الله بذلك درجاتكم ويعلي ذكركم أنتم البنون والإخوة والأقربون ما يعدلكم عندي أحد ولا يبلغ من مبلغكم من قلبي بشر"[١] ثم ينتقل بعد ذلك إلى مدح أسلافهم الكتاميين فهم الذين ساندوا الفاطميين" نصر الله ولياً من أوليائه قبلنا بمثل نصرتكم لنا، على ذلك مضى أوّلكم وعليه أنتم، وعلى محبتنا ونصرتنا وموالاتنا تتناسلون، وتنشأون وبها غُذيتم وعليها فطرتم، فابشروا بما قسم الله من الفضل لكم، فأنتم حزب الله وأنصاره وجنده وأحباؤه"[٢].

وفي عرض الخطبة يبرر لهم تأمير "جوهر الصقلي" عليهم ويدعوهم إلى حسن المعاشرة مع الصقالبة يقول: "ما قدمت عليكم أحداً منكم ولا من غيركم إذ كل واحد منكم عندي يستحق أن يكون المقدّم، ولكن لا يصلح الناس إلاّ برئيس، قدّمت عليكم مَنْ قد علمتموه،- يعني جوهراً- وأقمته فيكم مقام نفسي، وجعلته معكم كأذني وعيني، وكل امرئ منكم على نفسه بصيرة، وقد أمرت لكم بأجزل عطاء أعطيته من قبلكم إلى أبعد من مسافتكم هذه وقد علمتم أنه لم يعطِ من قبلكم أحد قبلي مثل ما أعطيتكم، ولا استكثرتُ لكم ذلك بل أستقلّه لأقلكم، والذي لكم عند الله

---

(١) المرجع نفسه، القاضي النعمان، ص٢٨.

(٢) ابن عذاري، أبو العباس بن أحمد، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، الجزء الأول، دار الثقافة، لبنان، ١٩٨٠، ص٢٢.

وعندي في الذي تستقبلونه أجل وأكبر، فسيروا على بركة الله ويمنه وسعادته ونصره وتأييده! كونوا عندما رجوتكم له من الغناء والكفاية وصلاح الحال بينكم! أحسنوا عشرة بعضكم لبعض وعشرة مَنْ تصحبونه من غيركم، وأنزلوا مَنْ ينفذ معكم من عبيدي منازل إخوانكم واجمعوا معهم كلمتكم فهم لكم عضد ولحمة وموالاتي تجمعكم وإياهم، فلا تجعلوا بينكم وبينهم فرقاً"[١].

يتضح من كلامه هذا قلقه من المنافسة التي بين الكتاميين والصقليين والبربر ويحضهم على التكاتف والتعاضد تحت إمرته وموالاة له. وفي خاتمة الخطبة يدعو لهم بالتوفيق ويقول: "أحسن الله لكم الصحابة وعليكم الخلافة"[٢]. "فقبلوا الأرض مراراً بين يديه وشكروا ما كان منه ووعدوا من أنفسهم الوفاء بما أمرهم به، وغلب عليهم السرور بما سمعوا منه"[٣].

ثالثاً: خطب التقريع

وهي "الخطب التي تلقى في سبيل التوبيخ واللوم والإنكار لحمل المخاطب على الإقلاع عن القبيح والتخلف بالحسن لدفع المخاطب إلى قصد عظيم كطاعة بعد عصيان"[٤] ومن صورها خطبة المعز لأهل "سجلماسة" يقول: يا أهل "سجلماسة"[٥] فعلتم ما فعلتم في أيام المهدي بالله واقتدر عليكم مرة بعد أخرى، فعفا عنكم وأحسن إليكم لحلوله الذي كان فيكم، ومجاورته إياكم مدة إقامته فيكم ومجاورته إياكم مدة إقامته فيكم، كما يرعاه من أحله الله محلّه

---

(١) القاضي النعمان، أبو حنيفة بن محمد بن حيون، **المجالس والمسايرات**، مرجع سابق، ص٣١.

(٢) الداعي إدريس، عماد الدين، **تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب** "**عيون الأخبار**". تحقيق محمد اليعلاوي، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥، ص٦٠٨.

(٣) المصدر السابق، الداعي إدريس، ص٦٠٨.

(٤) علي محفوظ، **فن الخطابة وإعداد الخطيب**، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٨٤، ص٨٧.

(٥) تأسست سنة (١٤٠هـ) تقع جنوب المغرب في طرف بلاد السودان انظر البكري، أبو عبيد الله بن عبدالعزيز، **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب**، الجزء الثاني، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ١٩٩٢، ص٥٧.

من كرم الطباع وحسن الصنيع، من غير يد كانت لكم عنده ولا فعل من الجميل تقدّم لكم إليه، فصفح وأحسن وعفا وأجمل، فما رعيتم ذلك حق رعايته ولا فهمتم شكره"[١].

وفي مقدمة خطبته بدأ بتقريع أهل سجلماسة لأنهم قتلوا العامل الذي استعمله عليهم وأقاموا مقامه "منتصر بن محمد ابن المعتز"[٢] ويذكرهم بأنهم أساءوا منذ أيام الخليفة المهدي لكنه كان يسامحهم لأنه أقام عندهم في أول عهده وبداية أمره.

ويقدم الخليفة المعز الحجج لتأديبهم والرد عليهم وهذه المحاجة تكون في أغلب الأحيان عندما يكون الأمر قابلاً للأخذ والرد يقول: "ولم يزل مع طي المراحل نحوكم يتابع الكتب إليكم مع رسله تأكيداً في الحجة عليكم مرة بالوعد ومرة بالوعيد، وتارة بالتشديد، يدعوكم إلى الطاعة والنزوع عما أنتم عليه من المعصيّة والضلال، والقبض على عدو الله فيكم إن تمادى على ما هو عليه من الغي والضلال"[٣] واجتياحهم وتدميرهم لأنهم عصوا الخليفة وفي صلب الخطبة يبيّن العقوبات التي أنزلها عليهم لتأديبهم وعليهم وجوب الطاعة يقول: "وانتشرت عساكرنا ببلدكم وعاين مَنْ عاينها من عيون عدو الله من جمعها وعتادها وقوتها ما أنهاه إليه، وقد علم أنه لا طاقة لكم ولا له بعسكر من عساكرها، لما حلَّت بعَقوَتِكُم، ونزلت بداركم وأنتم مع الفاسق على ما أنتم عليه، وقد كنتم تقدرون على أخذه لو أردتموه ويمكنكم من ذلك حصاره في داره متى أحببتموه، لكنكم أقمتم مصرين على طاعته وتولّيه إلى أن نزع عنكم وأقدرنا الله بفضله وإحسانه

---

(١) القاضي النعمان، أبو حنيفة بن محمد بن حيون، **المجالس والمسايرات**، تحقيق الحبيب الفقي، الجامعة التونسية، تونس، ١٩٧٨، ص٢٩٦.

(٢) المنتصر تولى سجلماسة بعد أبيه سنة (٣٢١هـ٩، وعمره ثلاث عشرة سنة، وكانت جدته تدبر أمره إلى أن ثار عليه ابن عمه "محمد بن الفتح" "ابن واسول"، سنة (٣٢٢هـ)، انظر ابن الخطيب، لسان الدين، **تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط**، دار الكتاب، تونس، ١٩٦٤، ص٧٣.

(٣) القاضي النعمان، أبو حنيفة بن محمد بن حيون، **المجالس والمسايرات**، تحقيق الحبيب الفقي، الجامعة التونسية، تونس، ١٩٧٨، ص٢٩٨.

عليه، كعادته الجميلة، بلا صنع لكم ولا لغيركم في ذلك، وأقدرنا عليكم وأمكننا منكم وأنتم على ما أنتم عليه من غيكم وضلالكم، وما تستوجب به اجتياحكم ودماركم، فماذا تستحقون أن يفعل بكم؟"[١].

وبعد هذا الخطاب اصفرت ألوانهم وتغيرت وجوههم وارتعدت فرائضهم وأفحم أكثرهم عن الكلام، وقال من قال منهم قول مذعور دهش: "إن يعاقب أمير المؤمنين فنحن أهل العقوبة وإن يعفو فهو أهل العفو والفضل والرحمة"[٢].

فيقول في نهاية خطبته: "قد كنتم تستحقون أليم العذاب والنكال، ولكنا للذي جبلنا الله عليه من الصفح والعفو والرحمة قد عفونا ما سلف من ذنوبكم ما استقمتم وأصلحتم"[٣].

"فقبل وقبلوا الأرض وشكروا بما قدروا عليه، وزال عليهم من الهلع والجزع، وأمر الخليفة بصرفهم إلى موضع أنزلهم فيه وخلع على المنتصر وحمله"[٤].

وتبيّن مما سبق أن الخطابة السياسية احتلت مكانة بارزة في العهد الفاطمي، فقد وجد الفاطميون فيها خير وسيلة في الرّد على خصومهم يدحضون حججهم، ويقنعون الرّعية بالأسس والمبادئ التي يدعون إليها، وكذلك بث الروح الحماسية في نفوس الناس واستنهاض الهمم، وترغيبهم في القتال ضد خصومهم، ومطالبة الرعية بالطاعة والولاء ملوحين بالتهديد تارة

---

(١) القاضي النعمان، أبو حنيفة بن محمد بن حيون، **المجالس والمسايرات**، تحقيق الحبيب الفقي، الجامعة التونسية، تونس، ١٩٧٨، ص٣٠٠.

(٢) المرجع نفسه، القاضي النعمان، ص٣٠١.

(٣) القاضي النعمان، أبو حنيفة بن محمد بن حيون، **المجالس والمسايرات**، تحقيق الحبيب الفقي، الجامعة التونسية، تونس، ١٩٧٨، ص٣٠٢.

(٤) المرجع نفسه، القاضي النعمان، ص٣٠٣.

والترغيب تارة أخرى، ومن ألوانها خطب الإصلاح والطاعة والتوجيه وخطب التحريض وخطب التقريع واشتملت خطبهم السياسيّة كذلك على شرح سياسة الخليفة أو الحاكم، والمشاورات السياسيّة والحربية، وقد صدرت معظم الخطب السياسيّة عن الخلفاء والولاة الفاطميين، وهم يتخذون جميع الوسائل والحجج والأدلة لإقناع الرعية بأفكارهم، وقد بدأت الخطب السياسية في العهد الفاطمي بمقدمات طويلة بدأت بالتحميد، والشهادة، والصلاة على سول الله ثم بالدعاء إلى الخلفاء الفاطميين أو مَنْ يمثلهم، ثم عرض الموضوع بالتفصيل ولوحظ اهتمامهم بالاستشهاد بآية أو أكثر لتأييد أفكارهم كما لوحظ تمثلهم بالشعر خلال الخطب وذلك للتأثير في نفوس المتلقين. ولعلّ أشهر خطباء السياسة في ذلك كانوا من الخلفاء الفاطميين وذلك لإثبات حقهم في الخلافة والإمامة والتي كشفت خطبهم السياسية عن مقدرتهم الخطابية.

ثانياً: الخطابة الدينية

للخطابة الدينية أثر كبير في حياة المسلمين، فمن خلالها يستطيع الخطباء أن يوجهوا الناس إلى تقوى الله وطاعته، وقد ازدهر هذا اللون من الخطابة في عهد الفاطميين؛ لحاجتهم إليها بوصفها أداة مهمة وسلاحاً قوياً لنشر مبادئهم وتعاليم دعوتهم الإسماعيلية، فضلاً عن وعظ الناس والتأكيد على نشر القيم الإسلاميّة وتقويتها في نفوسهم.

شملت الخطابة الدينية في هذا العصر موضوعات شتى، تبعاً للظروف والمناسبات الداعية لها ومن هذه المضامين ما يلي:

أولاً: خطب العيدين

"ويتكلم في خطب العيدين على الأعمال المطلوبة من صدقة وأضحية وتهليل وتكبير وصلة رحم وعطف على بائس وأرملة وإكرام يتيم مرغباً في العفو عن الهفوات والصفح عن الزلات وترك الخصومات والإصلاح بين الناس"[١] ومن أمثلتها على سبيل الذكر لا الحصر خطبة المنصور في عيد الفطر (٣٣٤هـ/٩٤٦م) بالمهدية يقول: "بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله الذي أحسن إلينا في قضائه وأصفى الجزيل من عطائه، أحمده حمد من شكر حُسناه، وآثر في الأمور كلها رضاه، وأستعينه استعانة مَنْ لا يرجو غيره ولا يثق بسواه، ولا يتوكل إلاّ عليه في أُولاه وأُخراه.

وأشهد أن لا إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اصطفاه لوحيه، واختاره لتبليغ رسالاته، فابتعثه داعياً إلى الحق وشاهداً على الخلق، فبلغ رسالة ربه، ونصح لعباده، وجاهد في سبيله، صلاة الله عليه نبياً مصطفى، ورسولاً مرتضى، وعلى آله، وسلامه ورحمته وبركاته"[٢].

بدأ خطبته بمقدمة طويلة حمد الله وشكره وتوكَّل عليه في أموره، وشهد برسالة محمد ﷺ ثمّ ينتقل في عرض خطبته إلى الناس ويفصل موضوع الخطبة ويقول لهم: "عباد الله إنّ يومكم هذا يوم عيد، شرفه الله وعظمه، وفضله وكرمه، ختم به شهر رمضان، وافتتح به حج بيته الحرام، فاخلصوا فيه نياتكم، وارفعوا إلى الله طلباتكم، واستغفروا لسيئاتكم، فإنه يقول جلّ ثناؤه، وتقدست أسماؤه ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾[٣].

---

(١) علي محفوظ، **فن الخطابة وإعداد الخطيب**، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٨٤، ص١١٠.

(٢) الداعي إدريس، عماد الدين، **تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب** "**عيون الأخبار**". تحقيق محمد اليعلاوي، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥، ص١٤٩.

(٣) سورة نوح، الآية رقم (١٠).

واتقوا الله عباد الله! فبتقواه نجح الطالبون وفاز الفائزون، وهي وصية الله في الأولين والآخرين، وتمسكوا بطاعته، وحافظوا على ما استحفظكم الله تعالى من دينه وكتابه، واسترعاكم من حقوقه وحدوده، فلمثل ما رغبكم الله من جزيل ثوابه، وكريم مآبه، وخوفكم من عقابه وأليم عذابه فليعمل العاملون!، ألهمنا الله وإياكم رشدنا، وعزم لنا ولكم على تقواه واتباع هداه وبلوغ رضاه"[١].

نلاحظ أن الفكرة العامة تدور حول يوم عيد الفطر وفضله وعظمته، وفضل شهر رمضان، وعظمة حج بيت الله الحرام، والوعظ والتذكير بوجوب الطاعة والاستغفار وإخلاص النيات، والحث على خشية الله واجتناب معاصيه ونلاحظ أن الخليفة المنصور في هذه الخطبة عن شؤون الحرب علماً بأنه كان تحت الحصار في المهدية، وهذا يدل على تعظيمه ليوم العيد ولاحظنا أيضاً أنّ القائم خطب ثم جلس جلسة خفيفة ليتم الخطبة وهذا من شروط خطب الجمع والعيدين ومن شروطها أيضاً "طهارة الخطيب"[٢]، "ومنها أن يقف على منبر أو موضع عالٍ"[٣].

أما الخطبة الثانية فيجعل جلها للدعاء للمهدي، ويكيل بالتهديد والوعيد لأعدائه ويطيل ويسهب لذلك رأت الباحثة أن تذكرها جميعها يقول: "اللهم صل على شمس الهدى، الذي بضيائه أشرق الإسلام، وانجاب الظلام، وعزّ الدين، وتمت النعمة على المؤمنين، عبدالله ابي محمد الإمام أمير المؤمنين المهدي بالله ابن المهديين، الكريم الأكرمين، اللهم عرّفه فيما وليته واسترعيته، واستحفظته عليه وأئتمنته، أفضل ما عرفت أحداً قبله من خلفائك الأئمة الراشدين،

---

(١) الداعي إدريس، عماد الدين، **تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب** "**عيون الأخبار**". تحقيق محمد اليعلاوي، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥، ص١٥٠.

(٢) الجاحظ، أبو عثمان عمر بن بحر الكناني، **البيان والتبيين**، تحقيق عبدالسلام هارون، الطبعة السابعة، الجزء الأول، مكتبة الخانجي، مصر، ١٩٩٨، ص٣٨٤.

(٣) المرجع نفسه، ص٣٧٠.

آبائه المهديين، من النصر والإعزاز والتأييد والإظهار، وأوقع بأعدائه، شرقاً وغرباً، براً وبحراً أشد من أوقعت وأحللت بأحد من أعدائك من السطوات والنقمات، والقوارع المبيدات، والمثلات المخزيات ودمرهم تدميراً واصفهم سعيراً"[١].

ومن خطب العيدين خطبة المنصور في عيد الأضحى يقول في مقدمة الخطبة: "باسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله المتوحد بالربوبية، المتفرد بالوحدانية، المتعزز بالقدرة والبقاء، المتجبر بالعظمة والكبرياء...وأشهد أن لا إله إلا الله وحده ولا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أكرمه بالنبوة،....، صلى الله عليه في الأولين والآخرين وعلى آله الطيبين الطاهرين الأكرمين، الأئمة المهديين الكرام الأبرين"[٢] نجد الخليفة المنصور يفتتح خطبته بالتحميد والتمجيد ويطيل في ذلك ثم الشهادة ثم الصلاة على النبي عليه السلام على غرار الخطب الدينية في ذلك العصر.

وقد جرت الخطبة على ألسنة المألوف للخطابة الدينيّة في قوالب تكاد تكون ثابتة، وفي عرض الخطبة يقول: "أوصيكم عباد الله بما أوصيت به نفسي قبلكم من تقوى الله ومراقبته، والعمل بما يرضيه ويقربنا وإياكم إليه، ففي تقواه رضاه، وبرضاه الفوز بالجنة والنجاة من النار"[٣] فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾[٤] يحثهم على تقوى الله وطاعته، واجتناب معاصيه ويحذرهم من النار والحرص على الفوز بالجنة ثم يقول: "إلا وإن يومكم هذا يومٌ حرام من شهر

---

(١) الداعي إدريس، عماد الدين، **تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب** "**عيون الأخبار**". تحقيق محمد اليعلاوي، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥، ص١٥١.

(٢) المرجع نفسه، ص١٦٨.

(٣) الداعي إدريس، عماد الدين، **تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب** "**عيون الأخبار**". تحقيق محمد اليعلاوي، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥، ص١٦٨.

(٤) سورة آل عمران، الآية رقم (١٨٥).

حرام، معظّم على الأيام: يوم الحج الأكبر– امتحن الله تبارك وتعالى فيه إبراهيم خليله، وفدى فيه من الذبح ولده صلى الله عليهما، وافترض على كافة أهل الإسلام، الحج إلى بيته، الذي جعله مثابة للناس وأمناً فتقربوا إلى الله تعالى فيه بما أمركم به، وأفضل ما أنتم مقربوه إناث الإبل، وإناث البقر، وفحول الضأن، واجتنبوا المريض من الحيوان ومعايب العيون والآذان، والمشوه منها بالزيادة في خلقه والنقصان، "وتقبل الله منا ومنكم. وكتب لنا ولكم حجّ بيته الحرام والوصول إلى مشاهده العظام. إنه لا يخلف الميعاد، ولا يعجزه ما أراد"[1].

استرسل المنصور في ذكر فضائل هذا العيد، الذي شرفه الله وعظم حرمته، وابتلى فيه خليله، وفدى فيه بالذبح العظيم نبيه، وافترض على المسلمين كافة الحج إلى بيته الحرام. والتقرب إلى الله بالضحايا وأن أفضلها إناث الإبل، وإناث البقر، وفحول الضأن، ويجب أن تكون خالية من العيوب ويختم خطبته بالدعاء لنفسه ولسائر المسلمين بحج البيت الحرام.

"وجلس جلسة خفيفة (الخطبة الثانية) ثم قام فقال: باسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله المبدئ المعيد، الكريم المجيد... وأشهد أن لا إله إلاّ الله لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده المصطفى.... صلى الله عليه وعلى آله الكرام المهديين، الأئمة (الراشدين) الطاهرين: على أمير المؤمنين وسيد الوصيين وخيرة المسلمين، وفاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين، والحسن والحسين (سيدي شباب أهل الجنة) والأئمة من ولد الحسين الطاهرين، بقية رسول الله وثماره ووارثيه وحججه وبيانه...وسادات المؤمنين، وأولياء العالمين، وعلى الإمام المرتضى والولي المصطفى،

---

(1) الداعي إدريس، عماد الدين، **تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب** "**عيون الأخبار**". المرجع السابق، ص٤٢٨.

عبدالله ابي محمد الإمام المهدي بالله أمير المؤمين وإرث فضل الأئمة المهديين من آبائه الخلفاء الراشدين"[١].

لم تختلف الخطبة الثانية عن الأولى في مقدمتها بدأها بالحمد ثم الشهادة ثم الصلاة على رسول الله وآله الطاهرين أما بقية الخطبة فقد اكتسبت بالصبغة المذهبية يقول "اللهم، وكما قلدتني خلافتك التي كرمتها وشرفتها، وحظرتها وحرمتها، ولعنت من غير أهلها مدعيها، وأخزيت مناوئها، وقصرت أيدي المتطاولين إليها، واخترت لها الواحد تلو الواحد من آبائي المهديين، الكرام المصطفين، الخلفاء الراشدين، ثم أورثتني مقامهم....وأعززت بي الأمة بعد الذلة،...فأصبح الحق مشرقاً والباطل زاهقاً"[٢].

يؤكد طيلة الخطبة على أحقية الفاطميين في الخلافة وبأنهم ورثة الرسول عليه السلام وبأنهم سادات المؤمنين وأولياء العالمين، ويلعن المناهضين للخلفاء الفاطميين، وفي الختام يطلب المغفرة لسائر المسلمين "اللهم اغفر لي وللمؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات، وتقبل أعمالهم وزك سعيهم، واهدهم وارأف بهم، إنك أنت الرؤوف الرحيم"[٣].

ثانياً: خطب الجمعة

ولهذه الخطب "مقام عظيم وخطر، وهي ركن من أركان الحق، وشعيره من شعائر الهدى، ومنبر للتوجيه والإصلاح"[٤] ومن أمثلة هذه الخطب خطبة المنصور والتي قرأها "جعفر

---

(١) الداعي إدريس، عماد الدين، **تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب** "**عيون الأخبار**". تحقيق محمد اليعلاوي، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥، ص٤٣٠.

(٢) المرجع نفسه، ص٤٣٠.

(٣) المرجع نفسه، ص٤٣١.

(٤) علي محفوظ، **فن الخطابة وإعداد الخطيب**، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٨٤، ص٤٠.

بن علي الحاجب"[1] "يوم الجمعة" (٣٣٥هـ/٩٤٦م) بجامع القيروان: "معاشر الناس! مولانا وسيدنا الأمير إسماعيل المنصور بالله، أطال الله بقاءه (وأدام عزه، وعظم ملكه" يقرأ عليكم السلام ويقول لكم: قد علم الله سبحانه حسن نيتي فيكم، وما أضمره من الخير لكم، وما أحبه من صلاح أموركم، وما أجد في نفسي من الغم لما حلّ بكم من البلاء، وما نزل بكم من الفقر وذهاب الأنفس والأموال، إنّ لي آمالاً كثيرة حسنة أؤملها فيكم ما منعني من إظهارها إلاّ كون هذا العدو بحذائي، ومحاربتي له، وما كان من هذه الوقائع بيني وبينه"[2]. يلاحظ أنّ هناك خطباً لا يلقيها أصحابها في ذلك العصر من مثل خطبة المنصور هذه والتي قرأها "جعفر بن علي الحاجب".

بعد التمهيد للخطبة يدخل الخليفة المنصور في صلب الموضوع ويعرض خلال الخطبة نيته وسياسته اتجاه أهل القيروان بعد وقوفهم بجانب "أبي يزيد" الملقب "بصاحب الحمار" ويعدهم بالخير والصلاح في أمورهم. ثم يقول لهم: "فقد ترك الأمير أعزه الله، ما يجب عليكم في هذه السنة الآتية، وهي سنة خمس وثلاثين وثلاثمئة، من العشر[3]، والصدقات، وجميع اللوازم، وفعل ذلك بجميع الناس مسلمهم وذميهم، رفقاً بهم وعوناً لهم على عمارة أراضيهم وبواديهم، فليبلغ الشاهد الغائب، وليرجع كل بدوي منكم إلى باديته بلا مرزئة عليه ولا كلفة، ثم لا يؤخذ منكم في إقبال السنين، إلاّ العشر والصدقة، الطعام من الطعام، والشاة من الغنم، والثور من البقر، والبعير

---

(1) ولد عام (٢٦٠هـ/٨٧٤م)، وتوفي وقد أربى على الثمانين من عمره في أوائل حكم المعز الخليفة الفاطمي أي بعد عام (٣٤١هـ/٩٥٣م) بالمنصورية راجع ايفانوف، "**استتار الإمام وسيرة جعفر الحاجب**"، ترجمة محمد كامل حسين، مجلة كلية الآداب، الجامعة المصرية، المجلد الرابع، الجزء الثاني، ١٩٣٦، ص٩٠.

(2) الداعي إدريس، عماد الدين، **تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب** "**عيون الأخبار**". تحقيق محمد اليعلاوي، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥، ص١٥٥.

(3) العشر: عشر الزروع المفروض في الزكاة أو ما يؤخذ من أصحاب الأراضي راجع ابن فارس، راجع الحسين أحمد، الصاحبي في **فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها**، تحقيق مصطفى الشويمي، لبنان، ص٧٨.

من الإبل، على فرائض الله سبحانه، وسنة جدي رسول الله عليه السلام"[١] يأمر الخليفة المنصور بهذا الجزء من الخطبة بإسقاط الضرائب عن الرعية، شكراً لله لانتصاره على "أبي يزيد" ولشعوره بالحالة التي وصلوا إليها الرعية من فقر وبؤس وحرمان.

والذي يفهم من قرار المنصور أن الصدقات كانت تدخل إلى خزينة الدولة والمفروض أنها تصرف للفقراء والمحتاجين وقد أشارت إلى ذلك الباحثة حين بيّنت الحال الذي وصل إليها الناس من جرّاء الضرائب التي كان يفرضها الفاطميون على الناس، وبعضها لم يأتِ بها قرآن ولا سنة مثل اللوازم! "والقبلات"[٢] التي تحدّثت عنها سابقاً.

---

(١) الداعي إدريس، عماد الدين، **تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب** "**عيون الأخبار**". تحقيق محمد اليعلاوي، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥، ص١٥٦.

(٢) القبالات: جمع مفردها قبالة، وهي لغة الكفالة واصطلاحاً لها مدلولان: الأول الالتزام والثاني الإجارة انظر محمد محمد مرعي، **النظم المالية والاقتصادية في الدولة الإسلامية**، دار الثقافة، الدوحة، ١٩٨٧، ص١٦١.

ثالثاً: خطب الحج

ويخطب في "يوم الحج" "لتبين حكة مشروعيته وآثارها التي تعود على صاحبها وعلى المجتمع الإنساني"[١]. ومن هذه الخطب خطبة المعز لدين الله الفاطمي "يوم الحج"، يقول: "الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر، الأعز الأقدر الخالق، المدبر ذو الكبرياء والجبروت، والعزة والملكوت....والدلالة عليه والشهادة له بالتوحيد والتعظيم والتمجيد،... والقدرة الربوبية، والتمام والكمال، تبارك الله رب العالمين أحسن كل شيء خلقه، وتكفل لكلِّ حي رزقه...يا أيها الناس إن الله لم يخلقكم عبثاً،...للعبادة خلقكم وبطاعته وطاعة رسوله أمركم وجعل للطاعة أعلاماً منصوبة، وفروضاً مكتوبة، ومن أفضل أعلامها، وأكرم أيامها يوم الحج الأكبر...وكبروا الله على ما هداكم، واشكروه على ما أولاكم الاّ وإنّ خير الهدي الإبل...نسأل الله لنا ولكم قبول العمل بامتنانه، وبلوغ الأمل من رضوانه ورحمته وإحسانه"[٢]. "ثم جلس جلسة خفيفة وقام للخطبة الثانية"[٣].

انقسمت هذه الخطبة إلى جزأين أو خطبتين كسائر خطب الجمعة والأعياد، أما الأولى والتي يفتتح بها الخطيب جزأين أو خطبتين، أما الأولى والتي يفتتح بها الخطيب خطبته فهي وعظية يناقش فيها الخطيب مجموعة من القضايا والموضوعات مثل الإيمان بالله، والتوحيد، القدرة الإلهية، القضاء والقدر، ووجوب الطاعة لله ورسوله، والرزق من عند الله، وإن الإنسان مخلوق للعبادة، وتحدث عن الفروض ومنها يوم الحج الأكبر إلى البيت العتيق، والإشارة إلى

---

(١) علي محفوظ، **فن الخطابة وإعداد الخطيب**، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٨٤، ص١١٠.

(٢) الداعي إدريس، عماد الدين، **تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب** "**عيون الأخبار**". تحقيق محمد اليعلاوي، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥، ص٤٣٠.

(٣) المرجع نفسه، ص٤٣١.

فداء إسماعيل عليه السلام، والهدي المتقرب إلى الله، وأن خيرها إناث الإبل...الخ، ومن شروطها سلامة العين والأذن، وأن تكون من حلال الأموال، ثم يختم خطبته بالدعاء للناس وبلوغ الأمل ورضوان الله.

أما الخطبة الثانية فقد تناول الخليفة بها مناسبة أخرى وهي "وفاة أبيه المنصور، وكان قد كتم خبر وفاته".

قال الخليفة في الخطبة الثانية: "الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلاّ الله، الله أكبر شأناً وأعظم سلطاناً وأوضح آيات وبرهاناً عن أن تتكر العقول توحيده،....وأشهد أن لا إله إلا الله، لا شريك له، وأن محمداً خيرته من عباده ونجيه من بريته،...وعلى الأئمة من عترته المهديين الكرام الأبرار الذين اختارهم الله للخلافة، وارتضاهم للإمامة، وأكد بوصية الرسل حجتهم، وأوجب التنزيل على طاعتهم، اللهم أخصص الإمام الفاضل والوصي العادل... عبدك ونجيك وصفيك، أبا طاهر المنصور بك، والمتوكل عليك...الذي فجعتنا بفقده، وأوحدتنا بعده...وشدة الحرق عليك يا أبتاه، يا سيداه، يا إسماعيلاه، يا أبا الطاهراه، يا بحر علوم الأئمة الطاهرين، الهداة المهديين،...عظم والله علينا المصاب بك، وحلّ البلاء، وعدم العزاء لفقدك، وقصرت الألسن عن إدراك فضائلك، وتعداد مناقبك، يا أيها الناس! ما هي إلا وهو رهين بالموت، ولا موت إلاّ وبعده نشور، ولا نشور إلا بحساب، فثواب أو عقاب، فطوبى لمن يتقي الله متمسكاً بحجزه أوليائه، معتصماً بعصمتهم، قائماً بلوازم الطاعة المفترضة عليهم بحججه وأصفيائه، متفيئاً بظلال أولية عترة رسوله محمد سيد المرسلين، يوم لا ينجي إلاّ الدين، ولا ينفع إلا صحة اليقين "يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً، وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمراً بعيداً، ويحذركم الله نفسه، والله رؤوف بالعباد"[1].

([1]) الداعي إدريس، عماد الدين، **تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب** "**عيون الأخبار**". تحقيق محمد اليعلاوي، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥، ص٥٤١.

أطال الخليفة المعز في الخطبة الثانية، وعرض موضوعاً أسهب فيه وضمنه بآيات القرآن والأحاديث النبوية الشريفة وأقوال الأئمة الفاطميين وقد كان موضوع خطبة المعز الرئيس هو وفاة والده المنصور، فرثاه وترحم عليه ثم تناول موضوع الخلافة والوصية والولاية العامة، ومكانة أولياء الله وأوصيائه، وضرورة الطاعة للإمام المختار، فقد حرص فرض الله الطاعة على عباده لنفسه ورسوله وثم للإمام، وعرض مبادئ دعوة الفاطميين وأحقيتهم بالخلافة، ووجوب الطاعة لهم

فضلاً عن ذلك ركز خلال خطبته على أهمية العقل، وأنه النعمة الكبرى للإنسان وتخللها بعض القضايا الدينية مثل النشور، والحساب، والموت، والثواب، والعقاب، والجزاء، وفي نهاية خطبته حثهم على وجوب الطاعة يقول: "النور أيها الناس فينا مصون، وعطاء ربكم لنا غير ممنون، فأين تذهبون، وفي أي أرض تتيهون هيهات، هيهات لما توعدون، فأطيعونا تهتدوا، وتمسكوا بحبلنا ترشدوا، واعملوا بما تفوزون في أخراكم تسعدوا، ولا تجعلوا أكثر همكم دنياكم، فإن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أبا الأئمة المهديين صلوات الله عليه وعليهم أجمعين قال: "إنّ الله أحل حلالاً وأعان عليه، وحرّم حراماً وأغنى عنه"[1].

وفي نهاية الخطبة يطلب المغفرة للمسلمين كافة ويخص أولياء الفاطميين "اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات واخصص أولياء دولتنا، وأنصار دعوتنا المجاهدين الصابرين الشاكرين من رحمتك بما استوجبه من طاعتك، وقضاء فرضك، وموالاة أولياء، ومعاداة أعدائك، وصلى الله على محمد سيد المرسلين في الأولين والآخرين"[2].

---

(1) الداعي إدريس، عماد الدين، **تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب** "**عيون الأخبار**". تحقيق محمد اليعلاوي، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥، ص٥٤٢.

(2) مرجع سابق، ص٥٤١.

وتبيّن مما سبق، أن الخطابة الدينية ازدهرت في عهد الفاطميين؛ لحاجتهم إليها لنشر مبادئهم وتعاليم دعوتهم الإسماعيليّة، فضلاً عن نشر القيم الإسلامية ووعظ الناس، وقد اشتملت الخطابة الدينية على موضوعات شتى، ومردّ هذا التنوع إلى طبيعة الظروف التي أنشئت في ظلها هذه الخطب، فلونت مضامينها وحددت أشكالها، ومن ألوانها خطب العيدين وخطب الجمعة، وخطب مواسم الحج أما خطب الوعظ والإرشاد فلم تجد لها الباحثة خطباً مستقلة وإنما جاءت في بداية الخطب غالباً وخلالها وعلى اختلاف أنواع الخطب وموضوعاتها وقد تضمنت حمد الله وشكره والتوكل عليه، والشهادة والصلاة على رسول الله، والدعاء للخلفاء الفاطميين، أما صلب الموضوع فيعرضونه بالتفصيل ويدعمونه بالحجج والبراهين الدالة على صدق حديثهم، وقد حفلت جميع خطبهم بالمعاني والمضامين التي تؤكد على ضرورة موالاة الفاطميين، فالإيمان لا يتمّ إلاّ بموالاتهم والإمام هو الوالي بعد الرسول عليه الصلاة والسلام وهو حاكم مطلق معصوم عن الخطأ وكثيراً ما تضمنت خطبهم الدينية مضامين سياسيّة وقد صدرت معظم الخطب الدينية في ذلك العهد عن الخلفاء الفاطميين.

ثالثاً: الخطابة الاجتماعية

وهي الخطب التي كانت تلقى في المحافل الأدبية والاجتماعية، وبين أيدي الحكام والولاة والخلفاء، وفيها يتناول الخطيب الشؤون العامة وأحوال المجتمع وحاجاته، أو يتحدث عن شؤون خاصة بمجتمعه، أو يتقرب إلى الخليفة في مناسباته الخاصة والعامة، وفي جميع الأحوال لم تخرج معانيها عن "التظلم والشكوى، أو الشفاعة والاسترحام، أو الشكر وإعلان الولاء أو التهنئة، أو التعزية، أو المفاخرة[1]، وقد نقلت كتب الأدب صوراً كثيرة عن المعاني التي دارت حولها

---

(1) ابن عبدربه، أحمد بن محمد بن حبيب الأندلسي، **العقد الفريد**، تحقيق مفيد قميحة، الطبعة الأولى، الجزء الأول، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣، ص١٠١.

"الخطب الاجتماعية" لذلك قامت الباحثة برصد الخطب الاجتماعية عند الفاطميين في المغرب العربي ووجدت أنها تتضمن الموضوعات والمضامين الآتية:

أولاً: خطب التراحم والولاء والإصلاح بين الناس

ومن هذه الخطب خطبة المعز– وهو بالمنصورية– في يوم شاتٍ بارد الريح بشيوخ كتامة يقول: "يا إخواننا: أصبحت اليوم في مثل هذا الشتاء والبرد، فقلت لأم الأمراء– وإنها الآن بحيث تسمع كلامي– أترى إخواننا يظنون أنا في مثل هذا اليوم نأكل ونشرب ونتقلب في المثقل، والديباج، والحرير والفنك والسمور والمسك والخمر والغناء كما يفعل أرباب الدنيا؟!

ثم رأيت أن أنفذ إليكم فأحضركم لتشاهدوا حالي إذا خلوت دونكم واحتجبت عنكم، وأني لا أفضلكم في أحوالكم إلاّ فيما بدا لي من دنياكم، وبما خصني الله به من إمامتكم....فافعلوا يا شيوخ في خلوتكم مثل ما أفعله، ولا تظهروا التجبر والتكبر، فينزع الله النعمة عنكم، وينقلها إلى غيركم، وتحننوا على مَنْ وراءكم ممن لا يصل إليَّ كتحنني عليكم، ليتصل في الناس الجميل، ويكثر الخير، وينتشر العدل[1]. نلاحظ أنه بدأ بالغرض من الخطبة مباشرة، وقد جاءت هذه الخطبة على هذه الصورة في جميع المراجع التاريخية، فلم يبدأها بالحمد والتشهد والصلاة على رسول الله وعلى الأئمة كالخطب السياسية أو الدينية ويصور المعز نفسه في هذه الخطبة زاهداً مع أن العديد من كتب التاريخ وصفت القصور الخرافية التي كان يعيش فيها الفاطميون، وقد "بالغ الخلفاء الفاطميين في إظهار التأنق في لباسهم، حتى كان لكل يوم عندهم لون، ولكل مناسبة بدلة أو أكثر، ويبدو أنهم كانوا يراعون في ألبستهم تجانس الألوان وتناسقها، فقد كان

---

(1) المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، **اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء**، الطبعة الثانية، الجزء الأول، لجنة إحياء التراث، القاهرة، ١٩٩٦، ص٩٥.

لباس عبيدالله المهدي عشية مبايعته بالخلافة في رقادة يشتمل على ثياب من خز وعمامة مثلها"[١] وقد اتخذ الخلفاء الفاطميون السرير لجلوسهم وتأنقوا في صنعه للدلالة على عظمة سلطانهم، وهيبتهم في نفوس العامة والخاصة أما صفة سرير المعز فكان "قوائمه كانت من عاج أحمر"[٢].

وهو مع ذلك يوصي الناس في هذه الخطبة بالتواضع، والرضا بالقليل، والتراحم، والإخاء فيما بينهم، والإكثار من فعل الخير، ونشر العدل، والمحافظة على النعمة مخافة زوالها، والحث على مكارم الأخلاق.

ثم يقول: "واقبلوا بعدها على نسائكم، وألزموا الواحدة التي تكون لكم، ولا تشرهوا إلى التكثير منهن، والرغبة فيهن، فينتغص عيشكم، وتعود المضرة عليكم، وتنهكوا أبدانكم، وتذهب قوتكم وتضعف نحايزكم، فحسب الرجل الواحد الواحدة، ونحن محتاجون إلى نصرتكم بأبدانكم وعقولكم"[٣].

ويدعوهم إلى المحافظة على الفرائض، والزواج بواحدة وعدم الاسترسال بالشهوات؛ لأن في هذا محافظة على صحة الأبدان والأصول؛ وذلك لأنَّ الفاطميين بحاجة لهم ولعقولهم للمحافظة على أحقيتهم في الخلافة ؛ وحثهم كذلك على ترك ما لا يعود عليهم بالفائدة بالدين والدنيا.

---

(١) ابن عذاري، أبو العباس بن أحمد، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، الجزء الأول، دار الثقافة، لبنان، ١٩٨٠، ص١٥٨.

(٢) الدرجيني، أبي العباس أحمد بن سعيد، طبقات المشايخ بالمغرب، تحقيق إبراهيم طلاي، الجزء الأول، الجزائر، ١٩٧٤، ص١٣٣.

(٣) المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، **اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء**، الطبعة الثانية، الجزء الأول، لجنة إحياء التراث، القاهرة، ١٩٩٦، ص٩٦.

ثانياً: خطب التهنئة والتكريم

"وهي التي تلقى في اجتماع عظيم للإعراب عن الفرحة بنعمة عامة كانتصار دولة أو خاصة كرتبة سامية نالها صديق"[١] ومن هذه الخطب خطبة المعز بعد انتهاء أيام "الختان" "لما أراد الإمام المعز لدين الله، أن يطهر عبدالله ونزار وعقيلا بنيه، تقدم إلى خاصته وأوليائه، وسائر جنده، وعبيده، وجميع رجاله، وكافة من بالحضرة، من سائر التجار، والصناع، وعامة الرعية بالمنصورية والقيروان وجميع مدن إفريقية، وكورها من حاضرٍ وبادٍ، وأمر بالكتب إلى العمال من لدن برقة وأعمالها، إلى سجلماسة وحدودها، وما بين ذلك، وما حوته مملكته، وإلى جزيرة صقلية ومن بها أن يتقدموا في طهور أبنائهم، يوم الثلاثاء أول يوم من شهر ربيع الأول من سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة إلى انقضاء الشهر"[٢]

أما الخطبة فقد قال فيها وقد تجمع حوله أهل كتامة: "والله ما فوق محلكم عندي محل، وما أحد من ولدي بأحب منكم، إلا من جعل الله الخبيئة فيه منهم، وإنّ ذلك مما يوجبه ما جرى لكم معنا من صحبة الأجداد للأجداد، وصحبة الآباء للآباء، والأبناء للأبناء، وأنتم خاصتنا وبطانتنا وأحب الخلق إلينا".

لم يبدأ الخطبة كما جرت العادة أيضاً بالتحميد والشهادة والصلاة على رسول الله والأئمة ويصف في مقدمة الخطبة حبه لهم وبأنهم عديل الولد لديه وأن محبتهم وعلاقتهم منذ زمن الأجداد. وفي عرض خطبته يقول: "والله لدرهم نعطيه أحدكم فيأخذه منا بشكر لأعظم فضلاً

---

(١) علي محفوظ، **فن الخطابة وإعداد الخطيب**، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٨٤، ص٧٥.

(٢) القاضي النعمان، أبو حنيفة بن محمد بن حيون، **المجالس والمسايرات**، تحقيق الحبيب الفقي، الجامعة التونسية، تونس، ١٩٧٨، ص٥٥٦.

وبركة وأزكى عند الله من الدنيا بما فيها، من غير وجهها مع ما في ذلك من سرور الأنفس وكرم الأخلاق... فهكذا أريد أن تكون أنفسكم وهممكم بقدر مكانكم مني ومحلكم لديّ إني أحب أن أباهي وأكاثر بكم في الدنيا والآخرة"[١].

يحثهم على مكارم الأخلاق، ويفاخر بهم في الدنيا والآخرة ثم يختم خطبته بقوله: "فاعرفوا اقدر ما مَنّ الله عليكم به، واشكروه يزدكم من فضله: فقال بعض من حضر وكيف لنا بشكر ما أولاه أمير المؤمنين؟ فقال: "أن الذي أولى الله عباده أجل وأعظم فاخلصوا نياتكم، وما يريد منكم "إلاّ الإخلاص" فقبلوا الأرض مراراً بين يديه وشكروا بما قدروا عليه وانصرفوا، فخلع يومئذ على جميع من حضر المجلس خلعاً رفيعة وكان يوم سرور ختم أيام الطهور"[٢].

نلاحظ في خاتمة هذه الخطب تركيز الخلفاء الفاطميين على وجوب الطاعة "وما يريد منك إلاّ الإخلاص"، فهذه الخطبة يغلب عليها التود إلى الكتاميين" وإثارة عواطفهم بقوله "والله ما فوق محلكم عندي محل، وما احد من ولدي بأحب منكم"، ولا عجب في ذلك فقد ساندوا الفاطميين أباً عن جد وهم بالمقابل أيضاً أجزلوا لهم العطايا ومنحهم أعلى المراكز في الدولة ونلاحظ أن الخليفة في نهاية الخطبة "خلع يومئذٍ على جميع من حضر المجلس خلعاً رفيعة" وهذه عادة الفاطميين مع الكتاميين.

---

(١) القاضي النعمان، أبو حنيفة بن محمد بن حيون، **المجالس والمسايرات**، تحقيق الحبيب الفقي، الجامعة التونسية، تونس، ١٩٧٨، ص٥٥٦.

(٢) المرجع نفسه، القاضي النعمان، ص٦٦٥.

ثالثاً: خطب الشكر

وهي "الثناء بالجميل على المتفضل به بتعديد مناقبه، مذكر إحسانه"[١] ومن هذه الخطب خطبة المعز في شباب كتامة يقول في مقدمة خطبته: "والله ما يتخالجني الشك في اعتقاد صغيركم وكبيركم وحُرّكم وعبدكم وذكركم وأنثاكم، ولا يتناول اجتماع قلوبكم على محبتنا على ذلك، نشأ صغيركم وعليه كبيركم"[٢].

فقال أحدهم "والله لو قد يسمع مولانا ما يلفظ به نساؤنا وعبيدنا وصبياننا من القول بولايته والمحبة له ونشر فضله لعلم أنهم على ما ذكره فيهم"[٣].

فقال المعز: "منا الحظ الأفر في المحبة لهم، والإشفاق عليهم، والمودة لصغيرهم وكبيرهم، وما لم يكن لهم مثله من أحد من آبائنا مع ما وهب الله لهم في أيامنا من العز والأمن والسعة والسلطان وعلو الكلمة، ما لو أدركه من مضى من أسلافهم، ثم أمرنا أن يلجوا النار بين أيدينا لولجوها"[٤].

لم تنجح سياسة الخليفة المعز لدين الله في أن يصطبغ المجتمع المغربي بالصبغة الشيعيّة وهذه الفقرة من خطبة المعز، تمثل ما كان يعانيه تجاه ذلك المجتمع "إنّ الحق ثقيل إلاّ على من خففه الله عليه، ها نحن نريد صلاح العباد وندعوهم إلى ما يرضى الله عنهم، فقل مَنْ لا يشتد ذلك ويثقل عليه، لإنا إنما ندعو منتحلاً انتحل ضلاله رآها في نفسه هدى، فنريد أن

---

(١) علي محفوظ، **فن الخطابة وإعداد الخطيب**، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٨٤، ص٧٧.

(٢) القاضي النعمان، أبو حنيفة بن محمد بن حيون، **المجالس والمسايرات**، تحقيق الحبيب الفقي، الجامعة التونسية، تونس، ١٩٧٨، ص١٥٤.

(٣) المرجع نفسه، ص١٥٥.

(٤) المرجع نفسه، ص١٥٥.

نحول نيته عما كان اعتقد، ونصرف رأيه عما كان انتحل، بعد ان لعله كبر عليه فاتبعه غيره فيه، وقبل عنه ما جاء منه"[١].

يشتكي الخليفة المعز في عرض خطبته من الانحراف الذي كان يسود الجتمع في ذلك الوقت ومبلغ استعصاء هذا المجتمع على أن يحكمه ويؤثر فيه ويصرفه عن انغماسه في لذاته وشهواته المحرمة والاستخفاف بالإثم، وارتكاب الظلم، وأكل أموال الناس بغير حق. يقول: "وآخر قد استحل الباطل واستمرأه، واستخفه الشيطان واستهواه؛ فغلبت شهوته عليه، وعظمت رغبته فيه، نريد أن نصرفه عنه، ونمنعه منه، ونحول بينه وبين لذته، وآخر قد اكتسب من الظلم، واستخف بالإثم، وتطاعم أكل ذلك يده، وننتزع طعمته، ونضع من استطالته"[٢].

وكذلك يقول المعز في عرض خطبته أنه أخفق في معالجة المنكرات (لهو وشرب، وسماع، وعبث، وطرب، ومجانة، وخلاعة، وانتهاك حرمة، يقول أنه لم يستطع السيطرة على هذا الشعب الذي لا يستسلم إلاّ لمن يسايره على أخطائه وانحرافاته ونزواته يقول: "وآخر في لهو وشرب وسماع وعبث، وطرب، ومجانة، وخلاعة، وانتهاك حرمة، نريد منه الوقار والسكينة، ونمنعه العبث والمجانة، وندعوه إلى الصوم، والصلاة، والورع والتحرج، والصدق، والأمانة والعفاف، ومذاق ذلك كله مرّ، بعدما استحلاه من الباطل وتطاعمه، فمن ذا من هؤلاء لا يثقل عليه أمرنا؟ أم من ذا منهم ندعوه إلى ما نريد من ذلك فيسارع إلينا، طيبة نفسه به إلاّ مَنْ كان الله عز وجل قد أراد سعادته وتوفيقه؟"[٣].

---

(١) القاضي النعمان، أبو حنيفة بن محمد بن حيون، **المجالس والمسايرات**، تحقيق الحبيب الفقي، الجامعة التونسية، تونس، ١٩٧٨، ص٣٤٦.

(٢) المرجع نفسه، ص٣٤٦.

(٣) المرجع نفسه، ص٣٤٧.

ففي خاتمة خطبته يقول: "....والحمد لله ما بهم في ذلك تقصير، وأنهم في الثبات لعلى أفضل حال ممن مضى من سلفهم ولكنهم ربما أرادوا رضانا بالشيء فأخطؤه، وربما تعلقوا بمن دوننا ليجعلوا ذلك وسيلة إلينا، ولا والله ما جعلنا لأحد عليهم في ذلك سبيل، ومن مثل هذا دخل ما دخل على مَنْ مضى من أسلافهم"[1] نلاحظ أن مضامين هذه الخطبة لم تتعد الإشفاق عليهم والشكر لهم والتسامح معهم.

يبدو أن الخليفة المعز لم ينخدع بما يبديه المجتمع المغربي من استسلام وانصياع لأمر الخليفة والسلطة، بل إنه يرتاب في صدقهم وصحة يقينهم ومما يؤكد ذلك ما قاله النعمان[2] عندما كان الناس يتهيأون لسماع الخطبة فقد قال: "قيل للمعز إن المجلس قد غصّ بالناس وما حوله، واحتفلوا للخليفة احتفالاً عظيماً، فقال: ما كان أحسن ذلك لو كان عن نية صادقةن وضمائر خالصة، وقبول للمواعظ، وعمل بما يؤمرون! ولكن أكثرهم إنما يحضر ليرانا، ويسمع ما نقول، ثم لا يعبأ بذلك، ولا ينتفع به، والله لولا إقامة الفرض وإحياء ما دثر من السنن، ما خرجت إليهم، ولا خطبت فيهم"[3].

فالمعز لا يرى في حشد الناس وتجمعهم لسماع خطبته والصلاة معه، إلاّ الرغبة في الاستمتاع بخطابه والنظر إليه، ولكن ليس هناك نية صادقة، والغريب في الأمر أن هذا رأيه أيضاً في أصحاب المذهب الشيعي وهذا يبدو أنه يعود إلى طول ممارسة المعز للحكم، وكثرة

---

(1) القاضي النعمان، أبو حنيفة بن محمد بن حيون، **المجالس والمسايرات**، تحقيق الحبيب الفقي، الجامعة التونسية، تونس، ١٩٧٨، ص١٥٦.

(2) أبو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور بن أحمد بن حيون التميمي المغربي، ولد في القيروان ويسميه الإسماعيلية القاضي النعمان تهرباً من أن يلتبس اسمه باسم أبي حنيفة النعمان بن ثابت المشهور راجع إحسان إلهي ظهير، **الإسماعيلية تاريخ وعقائد**، إدارة ترجمان السنة الباكستان، ص٦٩١-٧٢٠؛ وراجع أيضاً آغابزرك الطهراني، **الذريعة إلى تصانيف الشيعة**، الجزء الثالث، دار الأضواء، بيروت، ص٢٥١.

(3) القاضي النعمان، أبو حنيفة بن محمد بن حيون، **المجالس والمسايرات**، المرجع السابق، ص٢٢١.

تجاربه مع المجتمع، مما أكسبه النضج الفكري والمقدرة على استبطان الأمرو فلا ينخدع بالظاهر من الأمور.

وقد أشارت الكثيرمن المصادر التاريخية إلى التمييز الطبقي، والتباين الاجتماعي في عهد الفاطميين، خاصة من ثقل الضرائب التي فرضها الفاطميون؛ لذلك كان الفاطميون في الأعياد والمناسبات يوزعون العطايا والهبات على فئات المجتمع كمحاولة لتهدئة المجتمع في المغرب وتحسين صورتهم أمام الناس ولاسيما الفقراء، ومن الجدير بالذكر أنّ الفاطميين في انتهاء خطبهم في أيام الجمع والأعياد كانوا يأمرون دائماً بالطعام بعد الخطبة وفي هذه الفقرة من خطبة المنصور ما يدل على ذلك يقول: "اللهم إنك قلدتني أمر عبادك في بلادك، اللهم إنك أخرجتني من المهاد والوساد، وجنبتني الرقاد، اللهم إني بذلت مهجتي ونفسي في سبيلك، مجاهداً لعدوك، طالباً لثأر نبيك وابتغاء مرضاتك، حتى تعبد في الأرض حق عبادتك، ويحم فيها بحكمك، إنك أهل المن والطول، ثم انصرف إلى منزله، وأمر الناس بالطعام"[1].

لقد وجدت الباحثة بعد رصد الخطابة بأنواعها (السياسية والدينية والاجتماعية)، أنّ موضوعات هذه الخطابة قد تداخلت موضوعاتها وأنّ الفاطميين اتخذوا من الخطابة بوقاً لدعايتهم المذهبية، وإثبات أحقيتهم بالخلافة.

وأنّ الخطابة السياسيّة كان لها نصيب الأسد، وتليها الخطابة الدينية؛ لأنها وظفت أيضاً لأغراضهم السياسيّة ودعايتهم المذهبية ثم الخطابة الاجتماعية التي لم تخلُ أيضاً من الدعوة لأغراضهم السياسية وأحقيتهم في الخلافة.

---

(1) الداعي إدريس، عماد الدين، **تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب** "**عيون الأخبار**". تحقيق محمد اليعلاوي، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥، ص٣٦٧.

لوحظ من خلال استقراء الخطب الاجتماعية في العهد الفاطمي بأنهم تناولوا الخطب الاجتماعية بألوانها المختلفة فقد تناولت خطبهم أحوال المجتمع وحاجاته المختلفة، ومن هذه الموضوعات التراحم والولاء والإصلاح بين الناس، والتهنئة والتكريم، والشكر وقد صدرت معظم الخطب التي وصلت إليا.

المبحث الثاني

الرسائل

التمهيد

بدأت كتابة الرسائل منذ عهد الرسول عليه السلام، فقد اتخذ كتاباً يكتبون له "القرآن الكريم"، ويكتبون له الرسائل التي كان يبعث بها إلى الملوك والحكام ورؤساء القبائل يدعوهم إلى الإسلام من مثل رسائله عليه السلام إلى هرقل ملك الروم، وكسرى ملك الفرس، والنجاشي ملك الحبشة، واستمرت العناية بالرسائل في عهد الخلفاء الراشدين الذين اتخذوا كتاباً إلى الولاة وقادة الجيوش عند الفتوحات الإسلامية؛ وذلك للمحافظة على الدولة الفتية من أعدائها المتربصين بها ومن أمثلة هذه الرسائل رسالة أبي بكر الصديق إلى القبائل المرتدة فينذرهم فيها عاقبة "فعلتهم"[١] ولكننا لا نستطيع أن نطلق على كتاباتهم هنا اسم الكتابة الفنية لأنها كانت مرتجلة سريعة مملاة بلغة سهلة هي لغة الحديث"[٢] ومن الأمثلة أيضاً الوثيقة العمرية "التي أعطاها عمر بن الخطاب لأهل إيليا (القدس) أماناً لهم"[٣].

أما في عهد الأمويين فقد اتسعت رقعة الدولة شرقاً وغرباً ونشطت الكتابة وتطورت كتابة الرسائل فأنشأ معاوية بن أبي سفيان ديوان "الرسائل" فشهد فن الكتابة تطوراً كبيراً، وفي أواخر عهد الأمويين تولى أمر الديوان عبدالحميد بن يحيى الكاتب الذي عرف بالبراعة في فن الترسل

---

(١) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، **تاريخ الطبري**، الجزء الثالث، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٧، ص٢٥٠-٢٥١.

(٢) حسين نصار، **نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي**، الطبعة الثانية، مكتبة النهضة المصرية، الإسكندرية، ١٩٦٦، ص٤٦-٤٧.

(٣) تاريخ الطبري، المصدر السابق، ص٦٠٩.

حتى قيل: فتحت الرسائل بعبد الحميد وختمت بابن العميد"[١] وعند قيام الدولة العباسية أولوا الخلفاء العباسيين عناية كبيرة بفن الرسائل ونبغ كثير من كتاب الرسائل من مثل يحيى بن خالد البرمكي، وابن العميد والصاحب بن عباد وآخرين"[٢].

أما كتابة الرسائل في العصر الفاطمي فأغلب الظن أنها جاءت استجابة لحاجة الخلفاء والحكام لأمور تتعلق بشؤون الحكم وسياسة الدولة؛ لأنّ الرسائل وسيلة مهمة لتنظيم شؤون الدولة، ولا ريب أن فكرة التوسع في بلاد المغرب ومصر قد مهدت لتطور وشيوع هذا الفن، فالرسالة كانت الوسيلة الرئيسة في ذلك العهد.

لقد كان "فن الترسل" في عهد الفاطميين انعكاساً للبيئة بكل أبعادها السياسية والدينية والثقافية والاجتماعية، وكذلك تمثل كتابة الرسائل وقائع تاريخية وسياسية مهمة، وتكشف العديد من القضايا والأحداث التي حدثت في هذا العصر. وقبل أن ندخل إلى موضوعنا لا بدّ لنا أن نعرف فن الترسل لغة واصطلاحاً.

الرسائل لغة واصطلاحاً

الترسل لغة هو: "راسله مراسلة، فهو مراسل ورسيل، والترسل كالرسل، والترسل في القراءة والترسيل واحد، قال: وهو التحقيق بلا عجلة، وفي موضع ثانٍ قال: الترسل من الرسل في الأمور والمنطق كالتمهل والتثبت، وجمع الرسالة الرسائل"[٣].

---

(١) جرجي زيدان، **تاريخ آداب اللغة العربية**، مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٨٣، ص٢٦٥-٢٢٩.

(٢) علي جميل مهنا، **الأدب في ظلال الخلافة العباسية**، الطبعة الأولى، مطبعة النجاح، تونس، ١٩٨١، ٢٢٤.

(٣) ابن منظور، أبو الفضل الدين محمد بن مكرم، **لسان العرب**، الجزء الأول، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٣، انظر مادة رسل "من الألف إلى الراء".

أما الرسالة فتعريفها لغة: "هي كل ما يرسل أو هي الكلمة شفوية أو مكتوبة يبلغها الرسول أو يحملها إلى من ترسل إليه، وهذه الكلمة تختلف طولاً وقصراً على حسب موضوعها"[١].

أمّا كاتب الرسائل فقد ذكرت العديد من المصادر التاريخية شروطاً وقواعد يجب على كتاب الرسائل الالتزام بها "فإن حاولت صنعت رسالة فزن اللفظة قبل أن تخرجها بميزان التصريف إذا عرضت، وعاير الكلمة بمعيارها إذا سنحت"[٢]، وكاتب الرسالة مطالباً بتنقيح رسائله وتصحيحها "فأما الرسائل فالإنسان في فسحة من تمكينها، وتكرار النظر فيها وإصلاح خلل إن وقع في شيء منها"[٣]. ويلح بعض الكتّاب على ضرورة تضمين الرسالة تاريخ كتابتها ومكانها "وصل كتابك أعزك الله– مبهم الأوان، مظلم المكان، فأدي خيراً ما القرب فيه بأولى من البعد فإذا كتبت– أكرمك الله تعالى!– فلتكن كتبك مرسومة بتاريخ، لأعرف أدني آثارك، وأقرب أخبارك، إن شاء الله تعالى"[٤].

أما الترسل في الإصلاح "فقد يعني الترسل إنشاء المراسلات على الخصوص، لأنهم يريدون به معرفة أحوال الكاتب والمكتوب إليه، من حيث الأدب والمصطلحات الخاصة الملائمة لكل طائفة، وهو الذي يتغير مع الأعصر، ويشتمل على المراسلات والخطب ومقدمات الكتب لأن أساليبها مشابهة"[٥] "وقد يطلق على كتابة الإنشاء صناعة الترسل، تسمية للشيء بأعم

---

(١) عبدالعزيز عتيق، **في النقد الأدبي**، الطبعة الثانية، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٢، ص٢٢١.

(٢) ابن عبدربه، أحمد بن محمد الأندلسي، **العقد الفريد**، الجزء الرابع، دار الكتب العلمية، ١٩٨٣، ص١٥١.

(٣) ابن وهب، أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم، **البرهان في وجوه البيان**، تحقيق حنفي محمد شرف، مكتبة الشباب، مصر، ص١٥١.

(٤) الحصري، أبو إسحاق إبراهيم بن علي، **زهر الآداب وثمر الألباب**، الطبعة الرابعة، الجزء الثالث، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٢، ص٨٨٢.

(٥) جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٨٣، ص٣٤٠.

أجزائه، إذ الترسل والمكاتبات أعظم من كتابة الإنشاء، وأعمها من حيث إنه لا يستغني عنها ملك ولا سوقه"[١].

وللوقوف على فن الرسائل لهذا العصر فقد حصرتها الباحثة في موضوعين: ديوانية وإخوانية.

أولاً: الرسائل الديوانية

رسائل يتبادلها الخلفاء والولاة وقواد الجيش، وتصدر عن دواوين الحكام، وتعنى بأمور الدولة وشؤونها السياسية، ويراعى فيها دقة المعلومات والرسوم المتعارف عليها، ومن هذه الرسائل: العهود والمواثيق، والمناشير والفتوحات، وانتقال الخلافة، والدعوة إلى الطاعة والحث على الجهاد"[٢].

وتهدف هذه الرسائل "إلى نشر الحقائق بأسلوب هادئ واضح بعيد عن الزخرفة"[٣] كما تتطلب هذه الرسائل ثقافة واسعة في اللغة والأدب والتاريخ وحفظ عدد من الشواهد الشعرية والنثرية والأقوال والحكم، لاسيما القرآن الكريم، والحديث الشريف، وتتصف بالأسلوب الرصين المنمق البلاغي"[٤].

وقد عمل النقاد والأدباء القدامى على ضبط القواعد التي ينبغي للكتاب أن يسيروا عليها في كتابة رسائلهم، وكان من هذه القواعد: "التزام الكاتب في صدر رسالته بالتحميدات خاصة في

---

(١) القلقشندي، أبو العباس أحمد، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٢٢، ص٤.

(٢) محمد يونس عبدالعال، **في النثر العربي "قضايا وفنون ونصوص"**، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩٦، ص١٦٢.

(٣) حسين غالب، بيان العرب الجديد، العالمية للكتاب، بيروت، ١٩٨٠، ص١٨١-١٨٢.

(٤) محمد التونجي، المعجم المفصل في علوم اللغة، الجزء الثاني، دار الكتب، بيروت، ٢٠٠١، ص٤٧٩.

موضوعات معينة كالتولية أو رسائل الجهاد، وقد طالت هذه التحميدات في بعض الرسائل حتى صارت أشبه بخطبة دينية مستقلة، مما جعل القدماء يجتزئون بالتحميدات عن مضمون الرسائل"[1]. ومن هذه الموضوعات والمضامين ما يأتي:

أولاً: رسائل الحض على الجهاد والدعوة إلى الطاعة

ينضوي تحت هذا النوع من الرسائل موضوعات ومضامين مختلفة رسالة أبي عبدالله الداعي إلى أهل أفريقية "باسم الله الرحمن الرحيم. أما بعد فالحمد لله الهادي إلى توحيده بآثار صنعته، والداعي إلى معرفته ببراهين حجته، الذي سبقت مشيئته، وجرت حكمته بإعزاز أوليائه الذين نصروا دينه وقاموا بحقه، وإذلالاً لأعدائه الذين عندوا عليه وكفروا نعمته، ولم ينتصب لأوليائه ناصب إلاّ كان طاعناً في الدين الذي نصروه، وعدّوا للحقّ الذي أقاموه، لأنهم يقدمون الحجّة أمام سيوفهم، والدعاء قبل مناجزتهم، والأناة دون مقاتلتهم، ثقة منهم بأن المحجوج مَنْ فارق سبيلهم، والمضلول من خرج جماعتهم، فالأناة تظهر حقهم وتكشف باطل أعدائهم، فمن عاد إلى الحق تلقوا بالقبول إنابته، ومن اصر على باطله ناجزوه بعد إقامة الحجة عليه، ولم يجعل لمصر إقالة، ولا لمعاند مقيم على الذنب توبة، بل يحل بأسه ونقمته به، ﴿وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾[2].

وقد كنت قصدت سجلماسة على بعد شقتها وانتزاح مزارها لأقضي حقّ الله جلّ ذكره، وأؤدي فريضة من فرائضه، وأظهر حجة من حججه في أرضه، واستنقذ ابن رسول الله من بين

---

(1) فوزي سعد عيسى، الترسل في القرن الثالث الهجري، دار المعرفة الجامعية، مصر، ١٩٩١، ص١٨.

(2) سورة النساء، الآية: رقم (٨٤).

أوباش وطغاة، طلباً لرضوانه والزلفى لديه، فلما دنوت منه قدمت الأمان إلى اليسع بن مدرار[١] كعادتي في البلدان، ونويت أخذ حاجتي منه والانصراف عنها، فكتبت إليه كتاب الأخ إلى أخيه استعطفه وأؤمنه وأدعوه إلى عقد الإخاء بيني وبينه في إخراج ابن رسول الله" فأظهر الأنفة من دخول رُسلي إليه وأمر بقتلهم خلافاً لسنة رسول الله عليه السلام "وحبس ابن رسول الله وابنه في أضيق المحابس، ومنع من إدخال الطعام عليه، فبعثت إليه أعده بالإحسان والإمساك عن الحرب" "فكلما ازددت إلحاحاً في طلبه زاد لجاجاً في الامتناع" فلما رأيت ما عزم عليه الخائب من محاربته الله في ولد رسول الله" فدلفت بهم إليه مستنجزاً ما وعد الله أولياءه في أعدائه، وجالت الخيل حوله، وعادت كرة بعد كرة عليهم، طعناً بالرماح وضرباً بالسيوف ورشقاً بالسهام" والحمد لله المعز لدينه، المكرم لأهل حقه، الذي وصل أسباب السعادة بطاعته، وجعل عاجل الفتح والظفر، وآجل الثواب والفوز لأوليائه، إن جادلوا كانت الحجة لهم، وإن حاربوا كان النصر معهم، حمداً قاضياً لحقه، موجباً لمزيره"[٢].

---

(١) اليسع بن مدرار بن أبي القاسم بن واسول المكناسي البربري، صاحب سجلماسة وما والاها في المغرب الأقصى. راجع المقريزي، تقي الدين بن علي، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق جمال الدين الشيال، الجزء الأول، لجنة إحياء التراث، القاهرة، ١٩٩٦، ص٥١.

(٢) الداعي إدريس، عماد الدين، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب "عيون الأخبار"، تحقيق: محمد اليعلاوي، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥، ص٤٩٨.

لقد بدأ الرسالة بمقدمة استهلها بالبسملة ثم التحميد ووضح فيها أيضاً موضوع الرسالة وهو تخليص عبيدالله المهدي وولده القائم من السجن الذي فرضه عليه اليسع بن مدرار رئيس سجلماسة وصاحب أمرها"[١]، وفي عرض الرسالة تحدّث عن فتح سجلماسة والدعوة إلى طاعة الفاطميين المتمثلة بعبيد الله المهدي والدعوة الإسماعيلية، وكذلك التوضيح لأهل سجلماسة وأهل إفريقية عموماً بأن أراد فتح سجلماسة وتخليص المهدي بدون إراقة الدماء ويبدو أن الداعي يريد أن يبرر شدة القتل والبطش واستخدام القوة المفرطة ضد أهل سجلماسة.

وفي الخاتمة يقول: "والحمد لله المعز لدينه، المكرم لأهل حقّه، الذي وصل أسباب السعادة بطاعته، وجعل عاجل الفتح والظفر، وآجل الثواب والفوز لأوليائه، إن جادلوا كانت الحجة لهم، وإن حاربوا كان النصر معهم، حمداً قاضياً لحقه، موجباً لمزيده، وأمير المؤمنين ولي الله، وابن رسوله على أفضل ما جرت عادة الله الجميلة عنده في نفسه وولده وأنصار دولته، وهو قادم على بركة الله وسعادته ونصره وتأييده والسلام"[٢]. وفي خاتمة الرسالة يحمد الله ويؤكد على أحقية الفاطميين في الخلافة ووجوب الطاعة لهم.

ومن تلك الرسائل أيضاً رسالة الخليفة المنصور إلى قواده عند غزو الروم ومخالفتهم المقام بصقلية وقد كان الخليفة أمرهما بالمقام فيها، فلما انصرفا منها كتب إليهم كتاباً غليظاً وأمرهما بالرجوع إلى حيث أمرهما به، وكان في كتابه إليهما: "كأني بكما قد قلتما حين رأيتما

---

(١) الداعي إدريس، عماد الدين، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب "عيون الأخبار"، تحقيق: محمد اليعلاوي، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥، ص١٦٣-١٦٥.

(٢) المرجع نفسه، الداعي إدريس، ص١٦٥.

الانصراف" "إنّ الحاضر يرى ما لا يرى الغائب"، وقدرتها في أنفسكما أنكما الحاضران لما قبلكما، وأنا الغائب عنه، وليس كما ظننتما: بل أنا الحاضر وأنتما الغائبان عنه"[١].

وقال القاضي النعمان في ذلك: "ففعلا ما أمرهما أمير المؤمنين، فكان لذلك الفتح العظيم، وسبقا طاغية الروم إلى موضع لو سبقهم إليه لما تهيأ ذلك الفتح"[٢] وبعد هذا الفتح جاءت الهدايا مع الرسل إلى الخليفة المنصور، وأراد أن يصرفهم بأفضل مما جاءوا به فكتب إلى الأستاذ جوذر برسالة يقول فيها: "وأنا أعرف من حرصك على أن لا يكون في الدنيا شيء حسن إلاّ وهو عندنا في خزائننا، مما أظنه يحملك على الشح على النصارى بمثل هذا الذي أمرناك بإنقاذه إلينا، فلا تفعلّ، فإنّ ذخائر الدنيا في تبقى، وإنما ادّخرناه لمباهاة الأعداء، والدلالة على شرف أنفسنا، وعلو همتنا، وسخاء قلوبنا بما تضمن به النفوس، ويشح به كل واحد"[٣].

ومن أمثلتها أيضاً رسالة الخليفة "الخليفة المعز لدين الله" إلى الحاجب جوذر يقول: "وعليك فيما قبلك بالاحتراس ما أمكنك والضبط ما استطعت ومنع هؤلاء القردة من الوصول إلينا والخروج من أبواب بيوتهم، فضلاً عما سوى ذلك"[٤].

وفي هذه الرسالة يظهر قلق الخليفة المعز من مناهضة أعمامه وإخوانه له لتوليه الخلافة، وخوفه من انقلاب ضده، وخشيته من مؤامرة الأمراء الذين أبعدوا عن العرش.

---

(١) الداعي إدريس، عماد الدين، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب "عيون الأخبار"، تحقيق: محمد اليعلاوي، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥، ص١٥٣.

(٢) القاضي النعمان، أبو حنيفة بن محمد بن حيون، المجالس والمسايرات، تحقيق: الحبيب الفقي، الجامعة التونسية، تونس، ١٩٧٨، ص٢٤٠.

(٣) الداعي إدريس، عماد الدين، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب: "عيون الأخبار، تحقيق: محمد اليعلاوني، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥، ص٤٩٨.

(٤) الجوذري، أبو علي منصور العزيزي، سيرة الأستاذ جوذر، تحقيق كامل حسين، ومحمد عبدالهادي شعيره، دار الفكر العربي، مصر، ١٩٥٤، ص٧٣.

وقد كانت بعض المراسلات الفاطمية بخط الخلفاء أنفسهم حيث عُرف عن المعز أنه كان حريصاً على الإجابة بنفسه على الرسائل التي ترد عليه من المشرق والمغرب"[١]

تعدّ هذه الرسائل من الوثائق التاريخية، فهذه الرسالة تناولت غزو الخليفة المنصور للروم والنصر عليهم، وكيفية تخطيط الخلفاء الفاطميين لهذا الغزو والإصرار على تنفيذه، وكذلك حرص الخلفاء الفاطميين على إظهار كرمهم وسخائهم للنصارى، وتبادل الهدايا معهم.

أما البريد الذي أشرفت عليه الدولة فكان خاصاً برسائلها فقط دون تقديم خدماته للمواطنين[٢] "ومع هذا فقد وجد في المقابل بريد شعبي قدّم خدماته للمواطنين، وعرف ساعي البريد فيه باسم الرقاص"[٣] فضلاً عن ذلك البريد الأرضي المعتمد على الأفراد[٤].

ومن نماذج هذه المراسلات أيضاً رسالة "القائم بأمر الله"[٥] إلى أهل مكة يدعوهم إلى طاعته ووجوب مبايعته وضمن رسالته أبياتاً من شعره فقد كان القائم شاعراً، يقول: "نحن أهل بيت الرسول، ومن أحقّ بهذا الأمر منا؟! ثم يقول:

أم صدعت من قلة الفهم والأدب　　أيــا أهــل شــرق الله زالــت حلــومكم

---

(١) الجوذري، أبو علي منصور العزيزي، سيرة الأستاذ جوذر، تحقيق كامل حسين، ومحمد عبدالهادي شعيره، دار الفكر العربي، مصر، ١٩٥٤، ص١٧.

(٢) آدم متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة: محمد عبدالهادي، أبو ريدة، الطبعة الرابعة، الجزء الثاني، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٧، ص٤١٩.

(٣) عبدالهادي التازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، الجزء الرابع، مطبعة فضالة، الرباط، ١٩٨٧، ص٢٢٩.

(٤) المرجع السابق، عبدالهادي التازي، ص٤١٨.

(٥) هو محمد بن عبيدالله بن الحسين القائم بأمر الله الخليفة الفاطمي الثاني، والإمام الثاني عشر في سلسلة أئمة الشيعة الإسماعيلية، تولى الخلافة عام (٣٢٢هـ) بعد وفاة أبيه عبيدالله المهدي، راجع المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، تحقيق: جمال الدين الشيال، الطبعة الثانية، الجزء الأول، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٦، ص٥٦.

فويحــاً لكــم خــالفتم الحــقّ والهــدى

ومـن حـاد عـن أمّ الهدايـة لـم يصـب

فيــا معرضــاً عنــي ولــيس بمنصــفي

وقـد ظهـر الحـقّ المبـين لمـن رغـب

ألــم ترنــي بعــت الرفاهــة بالســرى

وقمـت بـأمر الله حقـاً وقـد وجـب"[1]

ثانياً: رسالة انتقال الخلافة

تعد هذه الرسائل من أهم الرسائل الديوانية ويندرج تحب هذا النوع من الرسائل العديد من الموضوعات والمضامين من مثل رسالة المعز بعد وفاة والده المنصور للحاجب جوذر يقول: "بسم الله الرحمن الرحيم" ،"الحمد لله على ما أبلى وأولى حمداً كثيراً". "سلمك الله يا جوذر! قد نعلم اتصالك بنا وتمسكك بولايتنا ومحلك في صدورنا، وتقرر عندك من ذلك ما يكفي ويغني عن التعداد، وما أظنه يخفى على الموسوسين والقردة المخربين، فضلاً عن ذوي الولاية والطاعة فكيف بمن اجتمعت له الولاية مع القدم، والرضى من جميع الأئمة المهديين الفاضلين، صلوات الله عليهم أجمعين في الأولين والآخرين؟ إن الله، وله الحمد، خلق الخلق لإظهار جوده وفضله،

---

(1) ابن الآبار، عبدالله محمد بن عبدالله القضاعي، الحلة السيراء، تحقيق: حسين مؤنس، الجزء الأول، دار المعارف، مصر، ١٩٨٥، ص٢٨٧.

ورزقهم بمنه وإحسانه، وقهرهم بالموت ليعلم المخلوقين أنه رجل جلاله، هو المتفرد بالبقاء والوحدانية فلم يبق في هذه الدنيا الدنيئة الخسيسة بني مرسل ولا ملك مقرب ولا إمام فاضل ولا خسيس رذل، إلا صادروا إلى الحكم العدل، فتعالى الله ذو الجلال والإكرام"[١].

يحمد الله على ما ابتلاه في مقدمة الرسالة، ويؤكد على مكانة جوذر في قلوب الفاطميين جميعاً، ويشير الخليفة المعز إلى إخوة الخليفة المنصور وعمومته ويصفهم "بالقردة المخربين"[٢]، وأن الله قهر عباده بالموت لأنه الوحيد المتفرد بالبقاء.

وفي عرض رسالته يقول: "ومن كانت حاله عندنا كحالك، وجب أن نشركه في سرورنا وحزننا، وفي جميع ما تصرفت به أحوالنا، وكان من قضاء الله السابق وأمره النافذ أن أجرى على مولانا وسيدنا أمير المؤمنين من حكمه وقضائه ما أجراه على آبائه المهديين وجده محمد خاتم النبيين، صلوات الله عليهم أجمعين، فامتحنني بفقده، وأوحدني بعده في الديار الموحشة والقصور الخالية، والبلد المشاقق، بين كل عدو وفاسق، قد اجتمعوا من أقطار الأرض من شرق وغرب، وبر وبحر، فإنا فيهم الفريد الغريب الوحيد، المتوكل على ذي القوة المجيد، فإنا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم!" [٣].

يؤكد على مكانة جوذر ووجوب إشراكه في كل أمور الدولة، والإيمان بقضاء الله وقدره، وبأنه وحيد بين أقربائه، وبأنّ المغرب العربي بلدٌ يكثر فيه الفتن والشقاق والمنازعات والأعداء، وبأنه في كلّ هذه الأمور متوكل على الله.

---

(١) الجوذري، أبو علي منصور العزيزي، سيرة الأستاذ جوذر، تحقيق: كامل حسين، ومحمد عبدالهادي شعيره، دار الفكر العربي، مصر، ص٧٣-٧٤.

(٢) وقد أشار الجوذري إلى الخصومات والدسائس الجارية في قصور الخلفاء وأولادهم انظر المصدر نفسه، ص٨٠.

(٣) الجوذري، أبو علي منصور العزيزي، سيرة الأستاذ جوذر، المرجع السابق، ص٧٤.

يعرب المعز في هذا الجزء من الرسالة عن حزنه لفقد والده المنصور وبأن تركه وحيداً في بلاد مضطربة ويظهر قلقه اتجاه من حوله وبأنه غريب ووحيد بينهم. ويقول: "فعليك فيما قبلك بالاحتراز ما أمكنك، والضبط ما استطعت ومنع هؤلاء القردة من الوصول إلينا، والخروج من أبواب بيوتهم فضلاً عما سوى ذلك، والكتمان ثم الكتمان، عن الأهل والخاص والعام وإن اتصل بهم شيء من ذلك فكذبه ما استطعت، وخوفهم ما قدرت! ولا تحمل نفسه من الهم والغم ما لا تحمله، واعلم أنه لو كان ذلك نافعاً لتقدمتك فيه أنا، والخلق أجمعين.

ولكن لا راد لأمر الله، ولا دافع لقضائه، ولا متوفى دون أجله يقول الله عز وجل: ﴿إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[1] فواغوثاه بالله من شدة فجيعتنا! واغوثاه من عظيم مصيبتنا، واستغفر الله لنفسي من الزلل، وأتوكل عليه في التوفيق والعمل بما يرضيه ويزلف إليه والسلام عليك، وصلى الله على محمد خاتم النبيين وعلى الإمام صفوة الوصيين والحمد لله رب العالمين[2].

يأمر الخليفة المعز الحاجب جوذر بكتمان الخبر عن الخاص والعام ومنع إخوة المنصور وعمومته من الخروج، وتكذيب أي خبر عن وفاة الخليفة المنصور، وأوصاه بعدم الإسراف في الحزن لأنه لا ينفع، ويتوكل ويشدد إيمانه بالقضاء والقدر، ويستغيث بالله من شدة فجيعته، ويستغفر الله ويتوكل عليه ويأمره جوذر بالصبر والتجلد. ويختم رسالته بالاستغفار لنفسه من الزلل والتوكل على الله ويصلي على سيدنا محمد وعلى الإمام المصور، ويحمد الله.

---

(1) سورة الأعراف، الآية: ٣٤.

(2) القاضي النعمان، أبو حنيفة بن محمد بن حيون، المجالس والمسايرات، تحقيق: الحبيب الفقي، الجامعة التونسية، تونس، ١٩٧٨، ص٨٢.

ثالثاً: رسائل العهود والمواثيق

ومن أمثلتها رسالة الخليفة المعز يهدد فيها امبراطور الروم لأنه نبذ العهد بهجومه على جزيرة أقريطش[١] بعد أن خيره بين أن يقلع عن حرب أهل أقريطش وبين أن ينبذ إليه عهده"[٢] وقال في رسالته إليه: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاء﴾[٣] ألا ترى أن دعوة أهل أقريطش قبل اليوم إلى غيرنا وقد أنابوا اليوم إلينا واستغاثوا بنا، مما يوجب لك عندنا تمام الموادعة بتركهم إليك وترك اعتراضك فيهم إن امتناع أهل الباطل من أهل الحق ليس بمزيل حقهم وإن تغلبوا عليه دونهم، بل هو لهم بتصيير الله تعالى إيّاه إليهم، فأقريطش وغيرها وعصانا مَنْ عصى، وليس بطاعتهم يجب لنا أن نملك ولا بعصيانهم وامتناعهم يحق عليها أن نترك، ولو كان كذلك لكان الأمر إليهم لا لله الذي خولنا ولالنا، إن شاؤوا أعطونا وإن أحبوا منعونا، كلا إن ذلك لله الذي له ما السموات وما في الأرض وهو الذي اصطفانا وملّكنا وأعطانا، ولو كان ذلك للخلق لما وسعنا قتال مَنْ امتنع منهم علينا ولا ردّ ما انتزعوه بالغصب من أيدينا إذا أقدرنا الله على ذلك وبه قوّانا"[٤].

يقول المعز في مقدمة رسالته أن دعوة أهل أقريطش في السابق كانت لغيرهم يقصد للعباسيين أما وقد استغاثوا بالخليفة المعز فيجب على إمبراطور الروم تركهم بسبب الموادعة

---

(١) من جزر بحر الروم، ووصفها بأنها جزر كبار مثل قبرص وصقلية وميورقة وسردانية راجع ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد، مقدمة ابن خلدون، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠١، ص١٦٧.

(٢) وقعت الهدنة سنة (٣٤٦هـ) لخمس سنوات، لكن امبراطور الروم نقضها بهجومه على جزيرة "إقريطش" راجع القاضي النعمان، أبو حنيفة بن محمد بن حيون، المجالس والمسايرات، تحقيق: الحبيب الفقي، الجامعة التونسية، تونس، ١٩٧٨، ص٢٤٢.

(٣) سورة الأنفال، الآية رقم (٥٨).

(٤) القاضي النعمان، أبو حنيفة بن محمد بن حيون، المجالس والمسايرات، تحقيق: الحبيب الفقي، الجامعة التونسية، تونس، ١٩٧٨، ص٢٤٦.

والمصالحة التي بينه وبينهم وقد تناولت الرسالة مضامين أخرى مثل حق الفاطميين وبأن الله اصطفاهم وملّكهم جميع الأرض، ووجوب الطاعة لهم.

"فإن قلت أنت غير ذلك، وأنت ترى أنّ ما يديك لك فقد كان "رومانس"[1] تغلب عليك وعلى أبيك من قبلك، ثم دارت لكما عليه الدائرة، فإن رأيت أنّ من احتجز شيئاً وتغلب عليه فهو له دون صاحب الحق الذي ملكه، فلم يكن لك ولا لأبيك القيام على رومانس ولا انتزاع ما صار إليه من يديه، فهذه سبيل أهل الحق عندنا، فإن اعترفت لها فقد أنصفت، وإن جهلتها لم يكن جهلك إياها حجة على من عرفها، وعهدك، إن تماديت على حرب من أناب إلينا منبوذ إليك، فانظر لنفسك ولأهل ملتك فإنا مناجزوك وإياهم الحرب بعون الله لنا وتأييده، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله"[2]. وفي عرض رسالته أيضاً يهدده بالحرب إن أصرّ على حرب أهل اقريطش وفي الخاتمة يؤكد على تأييد الله ونصره له وأنّ لا حول ولا قوة إلاّ بالله.

رابعاً: رسائل أخبار الفتوح ووصف المعارك

ومن أمثلة هذه الرسائل رسالة الخليفة المنصور إلى قدّام عامله على المنصورية والقيروان يصف له المعركة ويخبره بالفتح يقول: "نهضنا من طبنة يوم الثلاثاء لإحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى فنزلنا بموضع يعرف بمقرة، ورحلنا منها ليلاً حتى إذا أصبحنا وطلعت الشمس، تراءت لطلائعنا خيل على طريقنا، واتصل الصريخ بنا، وأن الفاسق نزل بموضع يعرف

---

(1) هو رومانس الأول (٩٢٠-٩٤٤م/٣٠٨/٣٣٣هـ) الذي اغتصب الحكم من قسطنطين السابع راجع الداعي إدريس، عماد الدين، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب "عيون الأخبار"، تحقيق محمد اليعلاوي، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥، ص٦٥١.

(2) المرجع نفسه، الداعي إدريس، ص٦٥١.

بعين السودان يهتبل غرّة في ساقة عسكرنا ﴿ وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾[1]، فلما أبصرهم أولياء الدولة وأنصار الدعوة، تتابعوا إليهم وصاروا نحوهم كالليوث الضارية والسيوف الماضية، متهافتين إليهم مستنفرين عليهم بالله، واثقين بجميل عاداته فيهم، فأمرنا بنصف الغازات بصددهم، وتعبئة الجيوش المؤدية إليهم، وقصدنا قصدهم، وصمدنا نحوهم، وقد اجتمعوا وتألبوا وتحاشدوا وتظافروا وأصروا واستكبروا فرجعنا إليهم ودلفنا نحوهم واقتحم الأولياء عليهم ببصائر نافذة وعزائم مستحكمة والتحم القتال وكانت وقعة جعلهم الله بها نكالاً لما بين أيديهم وما خلفهم وموعظة إياب، سالمين غانمين، مؤيدين مظفرين وكان تاريخه لأربع عشر ليلة خلت من جمادى الأولى سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة". في مدمة الرسالة يحدد الخليفة المنصور تاريخ بداية المعركة ويصف المعركة وصفاً دقيقاً، ويسهب ويطيل في وصف المعركة في عرض الرسالة، وفي خاتمة الرسالة ينقل إليهم خبر النصر ويحدد تاريخ انتهاء المعركة[2].

تبيّن من خلال رصد الرسائل الديوانية في العهد الفاطمي بأنها وسيلة مهمة من وسائل الاتصال في ذلك العصر، اعتمدها الخلفاء الفاطميون لمعالجة شؤون الدولة والرعية والحياة العامة، وقد تعددت أشكال هذه الرسائل ومن أهم ألوانها رسائل الحض على الجهاد والدعوة إلى الطاعة ورسائل انتقال الخلافة، ورسائل العهود والمواثيق، ورسائل أخبار الفتوح ووصف المعارك.

أما رسائل العهود والبيعات وأخبار الفتوح ووصف المعارك، فقد كانت تعنى برسم السياسة العامة التي يجب أن يسلكها الولاة في معاملتهم للرعية وإدارة شؤونهم، وتنظيم أمورهم المختلفة وقد جاءت بعض الرسائل الديوانية صدى للصراعات السياسية والفكرية والاضطرابات

---

(1) سورة النساء، الآية رقم (١٤١).

(2) الداعي إدريس، عماد الدين، **تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب** "**عيون الأخبار**". تحقيق محمد اليعلاوي، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥، ص٣٩٧.

والفتن التي ألمت بالمجتمع الفاطمي في تلك الفترة، فكثرت المكاتبات التي تجري بين الخليفة والحكام في بعض المدن، وقد أصبحت هذه الرسائل وثائق تاريخية سياسيّة لها أهميتها في تصوير تلك الأحداث وتضمنت التأكيد على حق الفاطميين في الخلافة لمنزلتهم من الرسول عليه السلام فهم أمناء الله على خلقه، والحاملون للحق ويجب على الرعية الإخلاص لهم .

تعد هذه الرسائل أفسح مجالاً، وأخطب خيالاً لعرض ذوق الأدب ((إن شاء كانت ألطف من الهواء، وإن شاء كانت أقسى من الصخر وأصلب من الحديد[١] فهي رسائل تضمنت العتاب والشكوى وتبادل الآراء ومن هذه الرسائل رسالة

ثانياً: الرسائل الإخوانية

هي تلك الرسائل التي تصور عواطف الكتاب وانفعالاتهم ومشاعرهم الخاصة، وقد اصطلحت كتب الأدب على تسميتها "بالرسائل الإخوانية"[١] وموضوعات هذا اللون من الرسائل كثيرة ومتعددة، جعلها مؤلف صبح الأعشى في سبعة عشر نوعاً، منها: "التهاني، والتعازي والعتاب والشكوى والاعتذار، والاستمناح والشكر"[٢]، وما إلى ذلك من الموضوعات، "يتبادلها الأقارب والأصدقاء في الأمور الخاصة"[٣] وتصور كثيراً من آراء الناس ومنازعهم وأخلاقهم وأحوال الأمة التي يعيشون فيها[٤] ويطلق اسم الرسائل الإخوانية على جميع الرسائل غير الديوانية[٥] أما الرسائل الإخوانية في العهد الفاطمي فقد وجدت الباحثة أنها تتضمن المضامين والموضوعات الآتية:

---

(١) حجاب، محمد نبيه، بلاغة الكتاب في العصر العباسي، مكتبة الطالب الجامعي، ط٢، ١٩٨٦، ص٩٩.
(٢) القلقشندي، أحمد بن علي الفزاري، **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**، الجزء التاسع، دار الكتب المصري'، القاهرة، ص١١٢.
(٣) عبدالمالك مرتاض، **الأدب الجزائري القديم**، دار هومة للطباعة والنشر، ٢٠٠٥، ص٩١.
(٤) طه حسين (وآخرون)، **التوجيه الأدبي**، لجنة التأليف والنشر، ص٢٠-٢٣.
(٥) القلقشندي، أحمد بن علي الفزاري، **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**، الجزء التاسع، دار الكتب المصري'، القاهرة، ص٧٨.

أولاً: رسائل العتاب والشكوى

ومن هذه الرسائل رسالة "الأمير عبدالله"[١] إلى الأستاذ "جوذر"[٢] وهي رد على رسالة "الأستاذ جوذر" التي عاتب فيها الأمير لتأخره في إعطائه حقوقه التي منحه إياها الخليفة المعز، وتأخره في السؤال عنه يقول الأمير عبدالله "سلمك الله وأتمّ نعمته عليك وزاد في امتنانه عندك، وبلغك من رضى وليه مولانا وسيدنا صلوات الله عليه، أملك وأملنا لك عنده وفضله، ورزقك الحج معه إلى بيت الله الحرام، وزيارة قبر جدنا محمد عليه السلام، إنه كريم منّان، عظيم الفضل والإحسان، أما بعد فإنه انتهى إلينا كتابك بعد تشوق شديد- يعلم الله- منا إليك، ووقفنا منه على ما حمدنا الله عز وجل وشكرناه على امتنانه علينا بسلامتك، وصحة بدنك، وسألناه ضارعين إليه راغبين في الزيادة لك، من فضله وإحسانه، وقد عرضنا كتابك على مولانا وسيدنا صلوات الله عليه، فلما وقف عليه ووقع إليك بخط يده المباركة الكريمة في أسفله بما أنت تقف عليه، فقد أنفذناه إليك، وحسبنا الله ونعم الوكيل"[٣]. فقد كان ردّ الأمير على عتاب "الأستاذ جوذر" رقيقاً وليّناً "دعا له بالسلامة، وإتمام النعمة، وتحقيق الآمال، وحج البيت الحرام..." ثم تدرج بالجواب عن استفساره "وقد عرضنا كتابك على مولانا..ووقع إليك بخط يده".

---

(١) أبو عبدالله الحسين هو أخ المعزمات بإفريقية، انظر المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، **اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء**، تحقيق جمال الدين الشيال، الطبعة الثانية، الجزء الأول، لجنة إحياء التراث، القاهرة، ١٩٩٦، ص١٣٣.

(٢) جوذر من كبار شخصيات الدولة الفاطمية، وكان في صباه عبداً من مماليك الصقالبة، انظر الجوذري، أبو علي منصور العزيزي، سيرة الأستاذ جوذر، تحقيق محمد عبدالهادي شعيره، وكامل حسين، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٥٤، ص١٨.

(٣) جوذر من كبار شخصيات الدولة الفاطمية، وكان في صباه عبداً من مماليك الصقالبة، انظر الجوذري، أبو علي منصور العزيزي، سيرة الأستاذ جوذر، تحقيق محمد عبدالهادي شعيره، وكامل حسين، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٥٤، ص١٤١-١٤٧.

ومن هذه الرسائل أيضاً الرسالة التي بعثها القاضي النعمان "أبو حنيفة" إلى الخليفة المعز يشكو فيها حيرته وسوء حاله من فراق الخليفة المنصور فقد كان يستشيره في كل أمر ويعينه عليه، وكذلك يعتذر إلى الخليفة المعز بسبب انقطاعه عنه، ويتأمل منه أن يتجاوز عن أخطائه أو نسيانه في بعض الأمور التي يُكره على فعلها، يقول في رسالته: "وقدعلم أمير المؤمنين اعتماد عبده فيما كان يرفعه إلى المنصور قدس الله روحه، على فضل رأيه ومطالعته به قبل رفعه..، وأمير المؤمنين أعلم بعبده وما يراه أهلاً له، فإن وقع قوله أو فعله شيء بخلاف موافقة مولاه فمن حيث رأى أن يقع ذلك بموافقته وهواه... وأمير المؤمنين عليه السلام محيي سنة جده ومقتفي أثره ومنجز وعده لأهل عصره ومتبع أمره، فإن أمر عبده بإيراد أموره عليه على جميل الظن في الصفح به وبلوغ الأمل من التجاوز عنه، فعل من ذلك ما هو أهله"[١].

وكذلك رسالة من فقهاء القيروان رداً على رسالة استنكار وعتاب موجهة إليهم من "أحمد بن نصر الداودي الأسدي"[٢] لسكناهم في مملكة بني عبيد وبقائهم بين أظهرهم.

ومن المؤسف أن تفاصيل هذه الرسائل لم تذكرها المصادر التاريخية ولكنها تضمنت "بأن بقاءهم مع مَنْ هناك من عامة المسلمين تثبيت لهم على الإسلام، وبقية صالحة للإيمان، وأن::هم لو خرجوا من إفريقية لتشيّع من بقي فيها من العامة فرجحوا خير الشرين"[٣].

كانت هذه الرسائل تدرج بعبارات الشكر والثناء وترسل بين الأصدقاء للشكر على هدية أو تهنئة أو شكر على مساعدة ومن هذه الرسائل:

---

(١) القاضي النعمان، أبو حنيفة محمد بن حيون، المجالس والمسايرات، الطبعة الأولى، الجزء الثاني، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٠، ص٢٣٨.

(٢) من أئمة المالكية في المغرب، يكنى بأبي جعفر، توفي سنة (٤٠٢هـ)، راجع القاضي عياض، موسى بن عياض اليحبصي السبتي، ترتيب المدارك وتقريب المسالك: لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق: أحمد بكير، الجزء الثاني، مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٨، ص٥١.

(٣) المصدر نفسه، ص٧٠٩.

ثانياً الشكر والمنح

ومن هذه الرسائل رسالة الخليفة المعز لدين الله رداً على هدية القاضي النعمان، فقد أهداه كتاباً بعنوان "الدينار" تقديراً لثقافته الواسعة ومواقفه اتجاه العلماء، وشكره على مساعدته في تقديم الآراء والتوجيهات في تأليف كتبه"[١] يقول المعز في رسالته: "وقفت على الكتاب وتصفحته، فرأيت فيه ما أعجبني فيه من صحة الرواية وجودة الاختصار ولكن فيه كلمات يعسر فهمها على كثير من أوليائه، فاشرحها بما يقرب من إفهامهم فيستوي في معرفته والإحاطة بعلم ألفاظه الشريف والمشروف، فإنه يجيء طريفاً قريب المأخذ وسمه كتاب الاختصار لصحيح الآثار عن الأئمة الأطهار، فإنّ ذلك أشبه من كتاب الدينار"[٢].

تعددت أشكال الرسائل الإخوانية ومضامينها في العهد الفاطمي، ومنها على سبيل المثال لا الحصر رسائل الشكر التي عبروا فيها عن شكرهم على ما حلّ بهم من نِعَمْ سواء أكانت مناصب حكومية أم هدايا مادية، وكذلك كثرت عندهم رسائل الاعتذار إذ يعتذر كاتب الرسالة عن خطأ ارتكبه في حقّ مَنْ يحرص على مودتهم، وكذلك رسائل اللوم والعتاب عبرت عن علاقات الأفراد بعضهم ببعض، وهناك رسائل التعزية التي صوروا فيها لواعج نفوسهم، وإحساسهم بالمصاب تصويراً يعتمد على إيراد العبارات التي تحمل على الصبر، وتقدم التخفيف والعزاء والتذكير بحال الدنيا وسرعة زوالها، وإلى غير ذلك من الموضوعات ذات الصلة بعلاقاتهم الاجتماعية وقد ذكرت الباحثة نماذج من هذه الرسائل.

---

(١) راجع ابن العماد الحنبلي، عبدالحي بن أحمد بن محمد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤط، الجزء الثالث، دار بن كثير، بيروت، ١٩٨٦، ص٤٧.

(٢) القاضي النعمان، أبو حنيفة محمد بن حيون، المجالس والمسايرات، الطبعة الأولى، الجزء الثاني، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٠، ص٢٢٧-٢٢٨.

التعزية من الأغراض التي تناولها الكتاب في رسائلهم وتصور تلك الرسائل المصاب الأليم، وغالباً تتضمن الدعوة إلى التسليم بقضاء الله والدعوة إلى الصبر ومن هذه الرسائل:

ثالثاً: رسائل التعزية

ومن هذه الرسائل رسالة الخليفة المنصور ينعى الخليفة القائم إلى الأستاذ جوذر يقول: "بعد الصبر والاحتساب: الحمد لله على جميع الأصول، قد تعلم الله أني طالما ناجيتك في ظُلم الليالي مبتهلاً متضرعاً إليك أن لا تشهدني فقده ولا تحييني بعده، فأبى قضاؤك الماضي وحكمك النافذ، فصبرني على ما به ابتليت، رضني بما قضيت، وصلوات الله وبركاته ورحمته على جسمه المطهر وروحه المقدس في الدنيا والآخرة" يعبر المنصور في هذه الرسالة عن لواعج نفسه وإحساسه بالمصاب واحتسابه وإيمانه بقضاء الله وقدره ويطلب من الله الصبر على هذا البلاء ويدعو للفقيد بالرحمة في الدنيا والآخرة[1].

---

(1) الداعي إدريس، عماد الدين، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب "عيون الأخبار"، تحقيق محمد اليعلاوي، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥، ص٤٢٢.

المبحث الثالث

السير

من الفنون النثرية التي تمتاز بمجموعة من الخصائص التي تميزها عن بقية الفنون النثرية الأخرى، ومن مقتضيات كتابة السيرة التمحيص الدقيق، والأمانة والموضوعية، وعدم تسخير الأحكام والأحداث وملابسات الحياة لعاطفة الكاتب؛ لأنّ العاطفة تحمل السيرة على الانحراف عن وضعها الطبيعي، فهذا الأمر يتطلب الدقة في التحقيق العلمي ورهافة في الحس وخيالاً محدوداً[١].

والسيرة لغة هي: "سار بهم سيره حسنه والسيره "الهيئة" وسير السيره "حدث أحاديث الأوائل"[٢] والسيره "الضرب من السير"[٣].

أما في معجم المفصل فهي الحياة أو ترجمة الحياة"[٤]. وأما السيرة في الاصطلاح فهي "نوع أدبي يعرف بحياة علم أو مجموعة من الأعلام، أو هي السرد المتابع لدورة حياة شخص وذكر الوقائع التي جرت له أثناء مراحل هذه الحياة"[٥].

---

(١) فواز الشعار، الأدب العربي، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٩، ص١٧٦-١٧٧.

(٢) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، الطبعة الأولى، المجلد الثالث، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٧، ص٣٧٨.

(٣) الفيروزأبادي، أبو طاهر مجيد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، دار بيت الأفكار، بيروت، ٢٠٠٤، ص٨٧٠.

(٤) محمد التونجي، المعجم المفصل في الأدب، الطبعة الثانية، الجزء الأول، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩، ص٥٣٦.

(٥) إبراهيم السعافين وآخرون، أساليب التعبير الأدبي، الطبعة الأولى، دار الشروق، عمان، ١٩٩٧، ص١٩١-١٩٢.

ويعرفها إحسان عباس بأنها: "ليست من الأدب المستمد من الخيال بل هي أدب تفسيري...والسيره تزاوج متعادل بين حقائق التاريخ والقوى المتخيلة البارعة في الحذف والإثبات والبناء"[١].

ويعرفها مصطفى ناصيف بأنها: "عمل أدبي ولدته الظروف الاجتماعية والموقف السيكولوجي الذي يصاحب هذه الظروف ومظاهر الحياة لا تعيش منفصلة، ولكننا رغم هذا نقدر المسافة بين الظرف الاجتماعي وعمل الفنان"[٢].

وتنقسم السيرة إلى نوعين اعتماداً على كاتبها فهي إما سيرة ذاتية وإما سيرة غيرية.

والسيرة الذاتية "هي التي يقوم صاحبها بالكتابة عن نفسه، فهو الذي يروي لنا تاريخ حياته مرحلة مرحلة بتجرد وصدق ووعي في ثوب قصصي أخاذ ومن مخاطر السيرة الذاتية وما يشوبها من شوائب تغيير الحقائق وتبديلها وما يصاحبها من إعلاء الذات عن طريق اختلاف البطولات، وطمس الهنات والرذائل"[٣]. ومن هنا فقد حرص النقاء ومؤرخو السيرة على توجيه كاتب السيره إلى مثل يجب تمثلوها بحيث تمثل تراجمهم لذواتهم الصدق في إطار البحث عن الحقيقة وإظهار جوانب النفس في جميع حالاتها، أما الغاية من كتابة هذا النوع من السير فهو "غاية مزودوجة يؤديها كل عمل فني صحيح، أعني تخفيف العبء عن الكاتب بنقل التجربة إلى الآخرين ودعوتهم إلى المشاركة فيها....كما تمنحه الفرصة لإبراز مقدرة قصصية إلى حد كبير"[٤].

---

(١) إحسان عباس، فن السيرة، الطبعة الخامسة، دار الشروق، عمان، ١٩٨٨، ص٩٠.
(٢) مصطفى ناصيف، دراسة الأدب العربي، الطبعة الثالثة، دار الأندلس، بيروت، ١٩٨٣، ص٩٦.
(٣) إحسان عباس، فن السيرة، الطبعة الخامسة، دار الشروق، عمان، ١٩٨٨، ص١٠.
(٤) المصدر نفسه، ص٩٩-١٠٠.

لقد اعتنى النقاد بتعريف السيرة وذهب معظمهم إلى إصدار آراء متفقة إلى حد ما بغية الوصول إلى ملامح فنية محددة لهذا الجنس الأدبي.[١]

أما السيرة الغيرية فتعني "تتبع الآخر تتبعاً، وتناولها بأسلوب منهجي فني، وترجمة السيرة أو الحياة تعني تجلية حياة شخصية بارزة بجميع جوانبها لتكشف لنا عن عمق عناصرها هذه الشخصية...وهي نقل غير مباشر يعتمد الشواهد والوثائق والأحداث المؤرخة الموثقة، مما يجعل الاتجاه السائد فيها موضوعياً يبعد عن الذاتية التي نلمسها في سابقتها"[٢].

ولا ينبغي لكاتب السيرة الغيرية الحكم على الشخصية التي يترجم لها؛ لأنّ الهدف ليس إصدار الأحكام بل "إرضاء الشغف النفسي بالوقوف على كل سرّ والإحاطة بخفايا الوجود، ولاسيما خفايا النفس الإنسانية، ومن جهة أخرى نكتب تراجم العظماء لإنصافهم وتقديرهم وإعطائهم حقهم من الجزاء والتبجيل والإعجاب...ولنستحث المقتدين بها، على ترسم خطواته والتطلع إلى مراتبهم"[٣].

لم تعثر الباحثة على كتابات في السيرة الذاتية لسير كتبها أصحابها لأنفسهم، بالرغم من بحثها الدؤوب، فقد أصاب المكتبات الفاطمية ما أصاب غيرها من محن لاسيما في عهد الخليفة المستنصر بالله الفاطمي "فقد أصبحت الكتب تؤخذ من القصور الفاطمية سداداً للديون في

١

(٢) إبراهيم السعافين وآخرون، أساليب التعبير الأدبي، الطبعة الأولى، دار الشروق، عمان، ١٩٩٧، ص١٩١-١٩٢.

(٣) العقاد، عباس محمود، الأدب والنقد، الطبعة الأولى، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٤، ص٦٠٤.

القاهرة"[١] علماً بأن المعز لدين الله الخليفة الفاطمي نقل مكتبة القيروان إلى القاهرة عندما انتقل للإقامة فيها"[٢].

أما السيرة الغيرية فمن أمثلتها "سيرة الأستاذ جوذر"، واحد من أهم الشخصيات في عهد الفاطميين، والرجل الخطير في الدولة الفاطمية، وبخاصة في عهد الخلفاء الثلاثة: القائم والمنصور والمعز، ومصنف هذه السيرة منصور الجوذري، ألفها لما في نفسه من وفاء وإخلاص للأستاذ جوذر فقد عمل منصور الجوذري في خدمة الأستاذ جوذر منذ سنة (٣٥٠هـ) وكان موضع سره، وظل ملازماً له حتى توفي الأستاذ جوذر ببرقة سنة (٣٦٢هـ)، وضع منصور الجوذري هذه السيرة بعد وفاة الأستاذ جوذر بزمن غير قليل في عهد الخليفة العزيز بالله (٣٦٥-٣٦٨هـ) وتتناول هذه السيرة حياة "الأستاذ جوذر" منذ جاء من بلده صقلية غلاماً- وهؤلاء العبيد الصقالبة كانوا في الأغلب من الخصيان- ودخل في خدمة المهدي الذي أهداه إلى ولده وولي عهده القائم بأمر الله، وقد أعجب القائم به، فقربه، واشتدت الصلة بين السيد وتابعه "جوذر"، وكانت ثقة القائم به كبيرة، فيحيل إليه الأمور التي لا يأتمن عليها إلاّ الثقة من خاصته، ولما خرج لغزو المغرب سنة (٣٠٠هـ)، وكان لا يزال ولياً للعهد استخلف جوذر على ماله وأهل بيته، وأصبح جوذر موضع سره، ولما تولى الخلافة أوكل بيت المال إلى جوذر، وكان جوذر محباً

---

(١) المقريزي، أحمد بن علي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، الطبعة الأولى، الجزء الثاني، مكتبة مدبولي، مصر، ١٩٩٧، ص١٦٣.

(٢) المصدر نفسه، ص١٥٣.

للخير، مهاباً من الجميع، وعند وفاة القائم"[1] أخفى المنصور ولده خبر وفاته، ولم يعلم به سوى "جوذر"، وعندما انتصر المنصور على "الخوارج" أعلن وفاة أبيه القائم.

وكافأ المنصور "جوذر" على خدماته فاعتقه ولقبه "بمولى أمير المؤمنين"، وأمر أن لا يقدم اسم على اسمه في الرسائل سوى الخليفة وولي عهده.

كما أمر أن يرسم اسمه بالذهب على ملابس الخليفة وولي عهده، وفي خلافة المعز لدين الله الفاطمي ظلت مكانة جوذر، بل زاد المعز تعلقاً به، وأصبح مأمن سره والمتحدث باسمه، حتى أنه لما عزم على الذهاب إلى مصر وترك القيروان ظنّ الناس في إفريقية أنه سيستخلف عليهم "جوذر".

سرد مؤلف السيرة صور من تكريم الأئمة الفاطميين لجوذر، وعما كان لجوذر من مكانة رفيعة في الدولة وعن صلة جوذر بكبار الأعيان في الدولة الفاطمية في المغرب، فأورد صور توقيعات صدرت من الأئمة إلى جوذر بناء على استمارات رفعها إلى الأئمة ومن نصوص هذه الوثائق الوظائف الرسمية التي شغلها جوذر في البلاط الفاطمي في المغرب، بل تفتح بهذه الوثائق نوافذ تطل على حياة جوذر الرسمية وتنير سبل الكشف عن بعض النواحي الاجتماعية والسياسيّة في الدور الفاطمي الأول، ولولا هذا الكتاب "سيرة الأستاذ جوذر" لظلت هذه الشخصية مجهولة مع أنها مفتاح لفهم الحياة في بلاط الفاطميين فهذا الكتاب يكشف عن حقيقة تاريخية

---

(1) الجوذري، أبو على منصور العزيزي، سيرة الأستاذ جوذر، تحقيق محمد كامل حسين ومحمد عبد الهادي شعيره، دار الفكر العربي، مصر.

هامة بالنسبة لطائفة كبيرة من الناس نسبوا إلى أحد كبار رجال الدولة الفاطمية "كالأستاذ جوذر" الذي كان يجمع أسرار الدولة كلها في العهد الفاطمي الأول وهو الشخصية الثالثة في الدولة بعد الإمام وولي العهد[١].

وفي القاهرة الآن شارع وحارة وعطفة تحمل كلها اسم الجوذرية يقول القلقشندي: "الجوذرية تعرف بطائفة يقال لهم الجوذرية من الدولة الفاطمية نسبة إلى جوذر خادم عبيد الله المهدي أبي الخلفاء الفاطميين، اختطوها وسكنوها حين بنى جوهر الصقلي القاهرة، ثم سكنها اليهود بعد ذلك إلى أن بلغ الحاكم الفاطمي أنهم يهزأون بالمسلمين ويقعون في حقِّ الإسلام، فسد عليهم أبوابهم وأحرقهم ليلاً[٢].

ومن أنشط من كتبوا في السيرة الغيرية في العهد الفاطمي في المغرب العربي "ابن زولاق"[٣]، فكتب سيرة "جوهر الصقلي"[٤]، وسيرة الخليفة "المعز لدين الله الفاطمي" ولكن للأسف

---

(١) الجوذري، أبو علي منصور العزيزي، "سيرة الأستاذ جوذر"، تحقيق: محمد عبدالهادي شعيره وكامل حسين، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٥٤.

(٢) القلقشندي، أبو العباس أحمد، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، الجزء الثالث، دار الكتب المصرية، القاهرة، ص٣٥٧.

(٣) أبو محمد بن إبراهيم بن زولاق الليثي (٣٦٠-٣٨٧هـ) (٩١٩-٩٩٧م) ولد بفسطاط مصر وتوفى بها، راجع ابن خلكان، أحمد بن محمد بن إبراهيم، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، الجزء الأول، دار صادر، بيروت، ١٩٩٨، ص١٦٧.

(٤) أبو الحسن جوهر بن عبدالله، أهم وأشهر قائد في التاريخ الفاطمي، وهو مَنْ أقام سلطان الفاطميين في الشرق، وهو فاتح بلاد المغرب، راجع علي بن إبراهيم حسن، تاريخ جوهر الصقلي، الطبعة الأولى، المجلد الأول، مكتبة النهضة المصرية، مصر، ١٩٩٨، ص٢٥.

لم يعثر على هذه السير، ولكن تحدثت عنها المصادر التاريخية، ومما قيل عنها أنها اتسمت بصفة التاريخ لا الأدب"[١].

ومن نماذج هذه السير "سيرة جوهر الصقلي"[٢] ولد "جوهر الصقلي" في "جزيرة صقلية"[٣]، سنة (٣٠٧هـ) [٤]، جلب صغيراً إلى المهدية أيام حكم المنصور بالله الفاطمي"[٥]وظلّ "جوهر الصقلي" يتدرج في سلك المناصب ببلاد المغرب حتى اتخذه المعز في سنة (٣٤١هـ/٩٢٣م) كاتباً له، وقد كانت الكتابة إحدى المناصب العالية التي كان الخلفاء لا يسندونها إلاّ لمن أنسوا فيه القدرة والكفاءة في معالجة الأمور حتى أصبح بعد ذلك قائد القوات الفاطمية في عهد المعز لدين الله[٦].

وفي سنة (٣٤٧هـ) لدين الله لفتح ما بقي من بلاد المغرب على رأس جيش كثيف يضم كثيراً من رجالات المغرب، وتمكن القائد جوهر من توطيد الأمن في جميع أرجاء بلاد

---

(١) ابن عبدالحكم، أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله، فتوح مصر وأخبارها، تحقيق: محمد الحجيري، الطبعة الأولى، الجزء الأول، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦، ص٧٥.

(٢) هو أبو الحسن جوهر بن عبدالله، ويعرف أيضاً باسم جوهر الرومي وكان أشهر وأهم قائد في التاريخ الفاطمي راجع ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، الجزء الأول، دار صادر، بيروت، ص٣٧٥.

(٣) من جزائر البحر الأبيض المتوسط بينها وبين إفريقية مائة وأربعون ميلاً، وهي جزيرة خصيبة كثيرة البلدان والقرى، وبها جبل النار والذي يزعم الروم أن كثيراً من الحكماء الأولين كانوا يدخلون إلى الجزيرة لمشاهدة عجائبه لاجتماع النار والثلج فيه، راجع ياقوت الحموي، معجم البلدان، الجزء الخامس، القاهرة، ١٩٠٦، ص٣٧٣-٣٧٦.

(٤) المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، الطبعة الثانية، لجنة إحياء التراث، القاهرة، ١٩٩٦، ص٧١.

(٥) المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، الطبعة الأولى، الجزء الثاني، مكتبة مدبولي، مصر، ١٩٩٧، ص١٤.

(٦) المصدر نفسه، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، مرجع سابق، ص١٥٢.

المغرب[١]. وذكرت المصادر التاريخية بأن جوهر مرض وهو في بلاد المغرب مرضاً شديداً أشرف معه على الموت فحزن المعز وعاده بنفسه في بيته وهو شرف لا يناله إلاّ المقربون[٢]. وسرعان ما أثبت جوهر كفاءته وفتح مصر على رأس جيوش كبيرة، وقد ذكرت المصادر التاريخية عن ابن زولاق بأن مقدار عسكر جوهر تماثل جمع عرفات كثرة وعدة[٣].

ولما استقر جوهر بمصر أنشأ مدينة القاهرة عام (٩٦٩هـ) بأمر من الخليفة المعز لدين الله بهدف جعلها عاصمة الدولة الفاطمية، كما أمر ببناء الجامع الأزهر ليكون مركزاً علمياً ودينياً[٤]، ولما تمّ للفاطميين فتح مصر سنة (٣٥٨هـ/٩٦٩م) أخذ جوهر في بث الدعوة للخليفة الفاطمي ولأهل بيته من العلويين على أنه لم يوفق في تنفيذ هذه السياسة، فقد كان السواد الأعظم من المصريين يعتنق المذهب السني، أما الجامع الأزهر فقد جعله الفاطميون مركزاً لبث عقائد مذهبهم واجتماع أشياعهم، وقد نفذ جوهر السياسة الفاطمية التي كانت ترمي إلى اتخاذ مصر جسراً يعبر عليه الفاطميون إلى المشرق لتأسيس خلافة فاطمية شاسعة الأرجاء فقد سيّر

---

(١) ابن خلكان، شمس الدين أبو العباس، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، الجزء الثاني، دار صادر، بيروت، ص١٠٢.

(٢) المرجع السابق، ص١٥٢.

(٣) المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، الطبعة الثانية، الجزء الأول، لجنة إحياء التراث، القاهرة، ١٩٩٦، ص٧٨.

(٤) المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، الجزء الأول، مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٩٧، ص٣٧٨.

عسكراً إلى دمشق وغزاها فملكها"[1] ، وفي شهر ذي القعدة من سنة (٣٨١هـ) اعتل جوهر الصقلي وتوفي سنة (٣٨١هـ) [2].

تضمنت هذه السيرة الحديث عن جوهر الصقلي، ولادته، وجلبه إلى المهدية، وتدرجه في سلك المناصب ببلاد المغرب العربي، والكفاءة العالية في معالجة الأمور، وفتح مصر والشام لتأسيس الخلافة الفاطمية في المشرق، وتحدثت عن مرضه وموته.

مما سبق يتبين أنّ التأليف نشط في العهد الفاطمي نشاطاً كبيراً من خلال متابعة الخلفاء الفاطميين أنفسهم للتأليف، فألفت كتب في شتى فروع الآداب والعلوم المختلفة، وكان الخلفاء يتفاخرون بتقريب العلماء والأدباء وكان لكتب السيرة سوق رائجة عندهم، تحدّثت عنها المصادر التاريخية، لكن الباحثة على كتابات لسير كتبها أصحابها لأنفسهم بالرغم من بحثها الدؤوب، ويبدو أن ذلك بسبب ما أصاب المكتبات الفاطمية من محن، أما السيرة الغيرية فمن نماذجها "سيرة الأستاذ جوذر" منذ جاء من بلدة صقلية غلاماً حتى أصبح حاجب الخليفة ومأمن سره، ومن نماذج السيرة الغيرية أيضاً "سيرة جوهر الصقلي" وتتناول هذه السيرة حياة جوهر الصقلي منذ جلبه صغيراً إلى المهدية وحتى أصبح قائد القوات الفاطمية في عهد المعز لدين الله الفاطمي ومن نماذج السيرة الغيرية أيضاً "سيرة المعز لدين الله الفاطمي".

---

(١) المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، الجزء الأول، مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٩٧، ص٣٧٩.

(٢) المرجع السابق، ص٥١.

المبحث الرابع

المذكرات

المذكرات كتابات يدوّن فيها المؤلف الأحداث التي جرت في الماضي البعيد أو القريب، ويكون فيها الجزء الخاص بالأحداث والتاريخ أكثر من الجزء المتعلق بالشخصيّة بخلاف السيرة الذاتية، وتقسم إلى نوعين عامة وخاصة، والمذكرات العامة يعنى فيها الكتاب بتصوير الأحداث المعاصرة ويتصرف بوصفه شاهداً على العنصر الذي يحيط به، وفي الغالب تعتمد المذكرات الكتابة الآنية ولا تحتاج إلى المنظور الاستعادي، وذلك لأنّ عملية الاسترجاع تكون قصيرة، أما المذكرات الخاصة فقد اعتمدت السرد الآني الذي يكون فيه الزمن الحاضر هو المهيمن ولا نجد فيه الترتيب التصاعدي (الولادة فالطفولة، فالصبار..إلى آخره)، "والمذكرات واحدة من الأجناس الأدبية التي اختلف أهل نظرية الأدب في تصنيفها فهل هي للتاريخ أم للأدب، ولكنها في النتيجة تعطينا مادة تنفع الباحثين عن التاريخ، والأدباء الباحثين عن تاريخ الأدب وصراعات الأجيال الأدبية"[١].

وتحتاج كتابة المذكرات إلى الجرأة والحياد يقول رومان رولان "سأحاول القيام بدور المسجل البسيط، الذي يدون ما يمليه عليه الزمن، وسوف أحاول إلاّ أعطي انطباعاً صحيحاً عن هذا العصر المعقد المتشابك، إنني أدون أقوالاً وأعمالاً، وأنا قابع في زاوية صغيرة من زوايا المعركة"[٢].

---

(١) رشيد يحياوي، مقدمات في نظرية الأنواع الأدبية، الطبعة الثانية، إفريقية الشرق، ١٩٩٤، ص٧٥.

(٢) رومان رولان وغاندي وطاغور وآخرين، مراسلات أوراق، تحقيق وترجمة: سليم الصويص، وعبدالأمير الأعسم، بيت الحكمة، بغداد، ٢٠٠١، ص١٣٤.

أما أدب المذكرات في العصر الفاطمي في المغرب العربي فلم تصلنا هذه الأعمال بأصلها وكمالها، وهذا خسارة كبيرة للتاريخ والأدب، وذلك يعود إلى ما آلت إليه المكتبات الفاطمية كما أشارت المصادر التاريخية[١]، فضلاً عن شح هذا النمط في الأدب إلى ما تستدعيه كتابة المذكرات من اعترافات وكشف المحظور وفضح الخفايا، فهو أدب اعتراف ومواجهة مع النفس والآخرين، ويحتاج شجاعة وجرأة وصدق. ومن أمثلة ذلك "مذكرات استتار الإمام" "والحاجب جعفر بن علي"، هذان المؤلفان من الكتب التي يحتفظ بها الإسماعيلية بالهند– أي "البهرة"[٢]– كمادتين من مواد أدبهم الديني الذين لا يسمحون لأحد أن يطلع عليه، وبالرغم من ذلك فقد ترجم "غلام علي بن إسماعيل"[٣] أول هذين المؤلفين إلى اللغة الكجراتية وطبعه بمطبعة الحجر في "بمبي" عام ١٣٣٤هـ–١٩١٦م بعنوان "كشف الظلام في استتار الإمام"، ولا يعدّ هذان الكتابان من كتب التاريخ لكنهما مذكرات جمعت عدة حوادث يغلب عليها روح الأساطير، ومع ذلك فهما يجمعان تفاصيل عديدة أكثرها ممتع قيم ومتمم لما رواه الطبري الذي كان يعاصر مَنْ ورد ذكرهم في هذين النصين"[٤].

أما الكتاب الأول– استتار الإمام– "فينسب عادة إلى رجل إسماعيلي كانت له مكانته الرفيعة هو أحمد بن إبراهيم النيسابوري، ولا نعرف شيئاً عن حياته وكل ما يمكن استخلاصه من

---

(١) سيد، أحمد فؤاد، تاريخ مصر الإسلاميّة زمن سلاطين بني أيوب، الطبعة الأولى، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٢، ص٩٧.

(٢) البهرة: هم إسماعيلية مستعلية يعترفون بالإمام "المستعلى" ومن بعده "الآمر" ثم ابنه "الطيب" ولذا يسمون "بالطيبة" وهم إسماعيلية الهند واليمن تركوا السياسة وعملوا بالتجارة فوصلوا إلى الهند واختلطوا بهم الهندوس الذين اسلموا وعرفوا بالبهرة، راجع الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، مانع بن حماد الجهني، الطبعة الرابعة، الجزء الثاني، دار الندوة العالمية، الرياض، ١٩٧١، ص٣٨٩.

(٣) غلام علي بن إسماعيل المولوي الهندي البهار ونكري (١٢٨٣هـ–١٣٦٧هـ) راجع الذريعة في تصانيف الشيعة، آقا بزرك الطهراني، الطبعة الثانية، المجلد الثاني عشر، بيروت، ص١٥٠.

(٤) راجع ايفانوف، "استتار الإمام وسيرة جعفر الحاجب"، ترجمة محمد كامل حسين، مجلة كلية الآداب، الجامعة المصرية، المجلد الرابع، الجزء الثاني، ١٩٣٦، ص٩٠.

كتابه أنه كان يعيش في أواخر القرن الرابع في أيام المعز لدين الله الفاطمي"[١] أما الكتاب الثاني- جعفر الحاجب بن علي- "فيختلف في عباراته عن الكتاب الأول فلا نجد به سرداً متصلاً للحوادث بل هي مذكرات أخرى لبعض زملائه، وحياة هذا الرجل مجهولة أيضاً، ويغلب على الظن كما يفهم من كتابه أنه كان خادماً في البلاط الفاطمي، وربما كان على اتصال ببعض الذين اشتركوا في الحوادث إن لم يكن بجعفر نفسه وقد ولد جعفر هذا كما جاء في المذكرات حوالي عام ٢٦٠هـ-٨٧٤م.

ويظهر في إحدى القصص أنه كان في سن متقدّم جداً حينما كان يتحدث إلى المعز بالمنصورية ومن المرجح أنه توفي وقد أربى على الثمانين من عمره في أوائل حكم المعز أي بعد عام ٤٣١هـ/٩٥٣م"[٢].

ومن نصوص كتاب استتار الإمام "وتفرق الدعاة في الجزائر لطلبه" لأحمد بن إبراهيم النيسابوري: "الحمد لله حمداً كثيراً كما هو أهله ومستحقه، وصلى الله على محمد سيد رسله وأبرار عترته الطاهرين وسلم كثيراً اعلم علمك الله الرشد أنه أول ما فقد الإمام عليه السلام، بقي الدعاة متحيرين وجهوههم بمدينة "عسكر مكرم"[٣] ولما اجتمع هؤلاء النفر المذكورون قالوا: فقد فقدنا إمامنا، ولا صلاة لنا ولا صوم إلاّ بإمام، ولا نعرف مَنْ نعطي زكاتنا، واجتمعوا مع الأولياء والمحبين، فجمعوا نفقات، وقالوا لهؤلاء الدعاة: امضوا فافترقوا على عمال خرسان، والعراق وجزرة حران، واليمن، واطلبوه،...وجعلوا بينهم موعداً يجتمعون فيه كل إقليم على أقسام لكل واحد منهم

---

(١) راجع ايفانوف، "استتار الإمام وسيرة جعفر الحاجب"، ترجمة محمد كامل حسين، مجلة كلية الآداب، الجامعة المصرية، المجلد الرابع، الجزء الثاني، ١٩٣٦، ص٩١-٩٢.

(٢) المرجع نفسه، ص٩٥.

(٣) مدينة كبيرة حسنة على نهر دُجيل، ولها جسر وهي عامرة بالتجار وأخلاط الناس راجع الإدريسي، محمد بن علي بن محمد السيد، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، الجزء الأول، ص٣٩٥.

قسم يمضي إليه، فإذا فرغوا من الإقليم أتوا إلى الميعاد، ويسأل بعضهم بعضاً: هل أصبتم شيئاً، فإذا لم يجدوا شيئاً في ذلك الموضع انتقلوا إلى إقليم آخر، فيتواعدوا إلى موضع آخر يجتمعون فيه..فاجتمعوا معه صلوات الله عليه، فقال لهم: ارجعوا وقولوا لدعاتي: إنا قد أصبناه في موضع كذا، فمضى هؤلاء السبعة فاعلموا جميع الدعاة في جميع الآفاق وقدم إليه جماعة منهم بعد برهة فسلموا عليه، وحمدوا الله عزو وجل إذ جمع بينهم وبينه...ثم أتوا سلمية وكان بها أربعة وعشرون ديراً للنصارى، فبنى عليها رسوماً وسكن بها مع عبيده وأخرج أهلها منها"[١].

تحدّث النيسابوري في هذه المذكرات عن مقر إقامة "عبدالله الأكبر"[٢] في بلدة "عسكر مكرم"، ونشره للدعوة الإسماعيلية التي لاقت مقاومة من عسكر مكرم نفسها، مما دفع به إلى الاستتار، فبحث عنه دعاته وتمكنوا من العثور عليه والاتصال به، والانتقال معه إلى "سلمية" التي أصبحت مركزاً للدعوة الإسماعيلية. وتتضمن هذه المذكرات الحديث عن حياة عبيدالله المهدي، والأحداث التي تزامنت مع هذه الفترة، ونجاحات الدعوة الإسماعيلية في المغرب العربي وإفريقية.

ومن نصوص الكتاب الثاني "جعفر الحاجب بن علي وخروج المهدي" من سلمية ووصوله إلى سجلماسة وخروجه منها إلى رقاده لمحمد بن محمد اليماني: "بسم الله الرحمن الرحيم وما توفيقي إلاّ بالله عليه توكلت وهو رب العرش العظيم، أسأل الله التوفيق لما يرضيه ويرضي وليه ومولانا وسيدنا الإمام العزيز بالله أمير المؤمنين البررة الأصفياء وأن يجمع أمة جده صلى الله عليه وعلى آله على طاعته....سمعت عبد موالينا قدس الله أرواحهم وصلى عليهم أجمعين جعفر بن علي الحاجب يقول كان المهدي بالله أكبر سناً مني بشهور يسيره وكنت قد

---

(١) راجع ايفانوف، "استتار الإمام وسيرة جعفر الحاجب"، ترجمة: محمد كامل حسين، مجلة كلية الآداب، الجامعة المصرية، المجلد الرابع، الجزء الثاني، ١٩٣٦، ص١١٧.

(٢) عبدالله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، راجع محمد الحسين المظفر، جعفر بن محمد الصادق، الجزء الأول، مؤسسة النشر الإسلامي، النجف، ص٧١.

رضعت معه عليه السلام ووسمني الإمام بخدمته فربيت معه أخدمه فأدبني أحسن أدب، وكان الإمام لا ينكر عليه ما يرى منه تقويمي وتأديبي حتى أخرجني كما يحب، قال وكان كل عامل يلي بسلمية يلاطفه المهدي ويهدي إليه ويبالغ في الإحسان إليه، فيصير كل من يلي البلد شبيهاً بالعبد له لجزيل ما يوليه، وولي سلمية غلام تركي من بغداد فأحسن إليه المهدي حسب ما كان يحسن إلى كل مَنْ يلي البلد، وتابع الإحسان حتى استراب به التركي لجزيل ما كان يوليه ويسدي إليه...فقال له بعض مَنْ كان يحسد المهدي هذا فعله في كل مَنْ يلي هذا البلد حتى يردهم خولاً وعبيداً لأنه يرى له رأس عظيم ويقال إنه يملك المشرق والمغرب وله في كل بلد داعٍ وأمواله أكثر من أموال الخليفة"[١].

تتضمن هذه المذكرات الحديث عن حياة المهدي وشخصيته، وولاء الحاجب جعفر المنصور للمهدي والعلاقة بينهما، وسياسة المهدي بمن حوله، وتتناول الأحجاث والأقوال التي جرت في زمن المهدي والحاجب جعفر بن علي وموقفهما اتجاه تلك الأحداث، كأمر المهدي لأصحابه بالخروج إلى اليمن "التي صارت معقلاً للدعوة العلوية منذ أيام الإمام جعفر الصادق"[٢] ودور "ابن حوشب"[٣] فيها وهو كبيرة الدعاة، وتناولت هذه المذكرات كذلك الحديث عن أبي عبدالله الشيعي وخروجه إلى مكة وكتامة، والمواجهات التي حدثت بين أنصار أبي عبدالله الشيعي والأغالبة والانتصار عليهم ونجاح المهدي في الوصول إلى سجلماسة

---

(١) ايفانوف، "الحاجب بن علي وخروج المهدي"، ترجمة: محمد كامل حسين، مجلة كلية الآداب المصرية، المجلد الرابع، الجزء الثاني، ١٩٣٦، ص١٠٧.

(٢) راجع المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق: جمال الدين الشيال، الجزء الأول، لجنة إحياء التراث، القاهرة، ١٩٩٦، ص٤٠.

(٣) أبو القاسم الحسن بن فرج بن حوشب، كان دخول الإسماعيلية إلى اليمن في سنة (٢٦٨هـ) عن طريقه راجع النوبختي، الحسن بن موسى، فرق الشيعة، الجزء الأول، دار الأضواء، بيروت، ص٦٧.

والمصاعب التي واجهت الفاطميين في تركيز دولتهم في المغرب وعداء الأمويين، وموقف المهدي وجعفر الحاجب منها.

يبيّن مما سبق أن المذكرات من الأجناس الأدبية التي تعطينا مادة تنفع الباحثين عن التاريخ والأدب، أما أدب المذكرات في العهد الفاطمي في المغرب العربي، فلم تصلنا هذه الأعمال بأصلها وكمالها؛ وذلك يعود إلى ما آلت إليه المكتبات الفاطمية كما أشارت الباحثة سابقاً، فضلاً عن شح هذا النمط في الأدب إلى ما تستدعيه كتابة المذكرات من اعترافات وكشف خفايا.

ومن أمثلة المذكرات في العهد الفاطمي "مذكرات استتار الإمام" لأحمد بن إبراهيم النيسابوري، وقد تناول النيسابوري في هذه المذكرات مقر إقامة عبدالله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، ونشر الدعوة الإسماعيلية، والمقاومة التي لاقتها، والتي دفعت الإمام عبدالله إلى الاستتار والبحث عن دعاته والانتقال إلى سلميه التي أصبحت مركزاً للدعوة الإسماعيلية، أما مذكرات "الحاجب جعفر بن علي" لليماني فقد تضمنت حياة المهدي وشخصيته، وولاء الحاجب جعفر المنصور للمهدي والعلاقة بينهما، وقد جمعت هذه المذكرات عدة حوادث يغلب عليها روح الأساطير ولكنهما يجمعان أيضاً تفاصيل عديدة أكثرها ممتع وقيم ومتمم لما رواه الطبري الذي كان يعاصر مَنْ ورد ذكرهم في هذه النصوص.

الفصل الثالث

الخصائص الفنية للفنون النثرية في العهد الفاطمي في المغرب العربي

تمهيد

كان للفنون النثرية في العهد الفاطمي في المغرب العربي شأن كبير، فقد كانت الدولة الفاطمية في حاجة إلى ترسيخ ملكها وإثبات حقها في الخلافة ونشر الدعوة الإسماعيلية فازدهرت تبعاً لذلك الفنون النثرية؛ لتحقيق أغراضهم المختلفة[1].

والنثر شكل من أشكال اللغة لذلك لا بدّ له من مقومات تمثل عناصر بنائه، وتحدد مستواه الإبداعي والفني وهذه المقومات هي البناء الفني والأسلوب واللغة والإيقاع والصورة وهي معطيات ينبغي على الكاتب أن يحسن توظيفها في سياق تعبيره حتى يتمكن من إخراج إبداعه في صورة فنية متكاملة ويضفي عليها مسحة جمالية كلما أحسن استخدام هذه المقومات التي لا بدّ منها للبناء النثري.

وخلال هذا الفصل ستتناول الباحثة السمات الفنية التي تُميّز الفنون النثرية (الخطابة، الرسائل، السير، المذكرات) في العهد الفاطمي في المغرب العربي بالتحليل والنقد لتستخلص السمات الأسلوبية وملامح الأصالة وعناصر الإبداع فيها؛ ولتكشف عما تنطوي عليه من جماليات التعبير والأسلوب.

---

(1) حسن إبراهيم حسن، تاريخ الدولة الفاطمية، الطبعة الثالثة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٤.

أولاً: البناء الفني

التمهيد

تحدد المعاجم العربية معنى البناء على أنه نقيض الهدم، واستعملت هذه المفردة للدلالة على إنشاء القصور والسفن[١] والبُنى بالضم مقصور، مثل البُنى، يقال بنية وبنى، وبنيته، ومفرده بنى بكسر الباء مقصورة، مثل جزية وجزى، وفلان صحيح البنية أي الفطرة[٢]، ثم امتد مفهوم الكلمة ليشمل وضع الأجزاء مبنى ما من وجهة النظر الفنية المعمارية، وبما يؤدي إليه من جمال تشكيلي[٣]. أما مصطلح البناء الفني فمر بأطوار مختلفة تواءمت مع الأطوار التي مرّ بها الأدب ذاته، "ففي عصر الإغريق نظر الفلاسفة إلى البناء الفني على أنه الوحدة العضوية التي تتآزر فيها أجزاء العمل الفني لجعله متماسكاً"[٤]. وفي اللغات الأوروبية يعود أصل كلمة بينية بحسب ما يذكر الدكتور صلاح فضل "إلى اللغة اللاتينية يقام بها المبنى ما، ثم امتد مفهوم الكلمة ليشمل وضع الأجزاء في مبنى ما من وجهة النظر الفنية المعمارية وبما يؤدي إليه من جمال تشكيلي""[٥]. ويذهب الدكتور عز الدين إسماعيل إلى أن اهتمام الفلاسفة الإغريق بالوحدة

---

(١) الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد، الصحاح في اللغة والعلوم، المجلد الأول، إعداد وتصنيف: نديم مرعشلي وأسامة مرعشلي، دار الحضارة العربية، بيروت، ١٩٧٤، مادة بنى.

(٢) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين بن مكرم، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٣، مادة بنى.

(٣) صلاح فضل، النظرية البنائية في النقد الأدبي، الطبعة الأولى، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٨، ص١٧٥.

(٤) ارسطو طاليس، فن الشعر، ترجمة إبراهيم حماد، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ص٢٦.

(٥) انظر فضل، صلاح، النظرية البنائية في النقد الأدبي، الطبعة الأولى، دار الشروق، القاهرة، ١٩٨٤، ص١٧٥.

العضوية عائد إلى خاصية بناء الملحمة التي تمتاز بالطول من جهة، وتعدد موضوعاتها من جهة أخرى"[١]

يتناول البحث الخصائص الفنية للخطابة، الرسائل، السير، المذكرات.

أولاً: الخطابة

يقوم البناء الفني للخطبة في العهد الفاطمي على ثلاثة عناصر: المقدمة، العرض، الخاتمة. وتعرّف المقدمة بأنها "افتتاحية الخطبة، ومطلعها المثير للأذهان، المنبه للعقول كي يتنبه جمهور السامعين لما سيأتي من أفكار وقضايا في أثناء عرض الموضوع، كما أنها تنبئ عن موضوع الخطبة والقضية المثارة فيها، ويجب أن يكون أسلوبها موجزاً ويحمل كثافة من عوامل الإثارة والتشويق[٢]، وللمقدمة أهمية في الخطبة "المقدمة في الخطابة نظير المدخل في المسرحية والملحمة[٣].

وقد وجدت الباحثة بعد رصد خطب الفاطميين أنها تشتمل على ذات العناصر في المقدمة لاسيما مقدمات الخطب السياسية والدينية فقد بدأت خطبهم بالبسملة والتشهد بأن لا إله إلاّ الله والحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وتوظيف التناص الديني في المقدمة ومن

---

(١) إسماعيل، عز الدين، الشعر العربي قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، الطبعة الثالثة، دار الفكر العربي، ص٢٨٤.

(٢) الحديدي، عبداللطيف محمد السيد، فن الخطابة في المنظور النقدي، الطبعة الأولى، دار الشروق الجديد، بيروت، ١٩٦١، ص٩٤.

(٣) هلال، محمد غنيمي، النقد الأدبي الحديث، الطبعة الأولى، دار العودة، بيروت، ١٩٩٧، ص٩٧.

الأمثلة على هذه الخطب لا الحصر خطبة "المنصور بالله "القائم"[1] في عيد الفطر يقول: "بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلاّ الله، والله أكبر! والله أكبر! لا حكم إلاّ لله ولا طاعة لمن عصى الله ألا ﴿لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ [2]، والحمد لله الخلاق العليم، المدبر الحكيم، الذي له مقاليد السموات والأرض وهو على كل شيء قدير ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ [3]، أحاطت بهم قدرته وعلمه"[4].

يلاحظ طول المقدمة فلم يقتصر التحميد على جملة واحدة في بداية الخطبة بل يستطرد كاتب الخطبة بحمد الله على نعمائه التي لا تعدّ ولا تحصى، وإذا أُتي بالحمد أول الخطبة ناسب أن يؤدى بالصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام بعد ذكر الله تعالى.

ومن ذلك أيضاً على سبيل المثال خطبة المنصور يقول: "بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي أحسن إلينا في قضائه، وأصفى الجزيل من عطائه، أحمده حمد مَنْ شكر حُسناه، وآثر في الأمور كلها رضاه واستعينه استعانة مَنْ لا يرجو غيره ولا يثق بسواه ولا يتوكل إلاّ عليه في أولاه وأخراه، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله "واستغفروا

---

(1) المنصور، أبو الطاهر إسماعيل بن أبي القاسم ولد بالمهدية وتولى حكمها في سنة (٣٣٤هـ-٣٤١هـ) راجع المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الخلفاء، تحقيق جمال الدين الشيال، الجزء الأول، لجنة إحياء التراث، القاهرة، ١٩٩٦، ص٦٠.

(2) سورة الأعراف، آية رقم (٤٤-٤٥).

(3) سورة المجادلة، الآية رقم (٧).

(4) الداعي إدريس، عماد الدين، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب "عيون الأخبار"، تحقيق محمد اليعلاوي، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥، ص٢٧٠.

ربكم إنه كان غفاراً"[١]، اتقوا الله عباد الله! فبتقواه نجح الطالبون وفاز الفائزون"[٢] يلاحظ أنها اشتملت على ذات العناصر ويبدو أنها من آداب الخطاب في ذلك العهد.

ولكن وجدت الباحثة أنّ بعض الخطب قد خلت من المقدمة كما جاءت في المصادر التاريخية الخطب الاجتماعية من مثل خطبة المعز لدين الله في جماعة من كتامة قال في مقدمتها: "والله ما فوق محلكم عندي محل، وما أحد من ولدي بأحبّ منكم، وأن ذلك مما يوجبه ما جرى لكم معنا من صحبة الأجداد للأجداد"[٣].

وتراوحت خطبهم بين الطول والقصر فقد لاحظت الباحثة أنّ الخطب التي وجهت إلى العامة تميّزت بالإطالة "كخطبة القائم"[٤] في عيد الفطر، وأن الخطب التي وجهت إلى الخاصة تميّزت بالإيجاز والاختصار "كخطبة المعز في جماعة من كتامة"[٥].

وقد ذكرت المصادر التاريخية "إنه ينبغي الإيجاز في مخاطبة الخاصة وذوي الأفهام الثاقبة، لأن هؤلاء يكتفون باليسير من القول، أما الإطالة فتكون للعامة ولغير ذوي الأفهام وعندئذٍ لا بأس من تكرار المعاني وتوكيدها"[٦].

---

(١) سورة نوح، الآية رقم (١٠).

(٢) الداعي إدريس، عماد الدين، المصدر السابق، ص٣٤٠.

(٣) المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق جمال الدين الشيال، الجزء الأول، لجنة إحياء التراث، القاهرة، ١٩٩٦، ص٩٤.

(٤) الداعي إدريس، عماد الدين، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب "عيون الأخبار"، تحقيق محمد اليعلاوي، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥، ص٢٧٠.

(٥) المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، مصدر سابق، ص٩٤.

(٦) البغدادي، قدامة بن جعفر أبو الفرج، نقد النثر، تحقيق طه حسين وعبدالحميد العبادي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٣٨، ص٩٧.

ومن خلال رصد هذه الخطب وتحليلها لاحظت الباحثة أن مقدماتها مرتبطة ارتباطاً عضوياً ببقية أجزاء الخطبة، فهي ممهدة لموضوع الخطبة وخادمة له. أما العرض فيعدّ من العناصر الرئيسة في الخطبة لأنه يشتمل على القضية التي أنشئت من أجلها الخطبة، فيتسلسل كاتب الخطبة في عرض الموضوع إلى أن يصل إلى محور الموضوع، ويذكر المواقف والأحداث السابقة الداعمة لموضوع الخطبة، وكذلك الأدلة والنماذج المستمدة من واقع الحياة خلال عرضه الموضوع، ومن الأمثلة على ذلك خطبة المنصور بالله بمناسبة عيد الفطر فبعد المقدمة التي تضمنت البسملة ثم الحمد له والتشهد والصلاة على رسول الله وعلى الأئمة المستخلفين الهداة المهديين الأوصياء المنتخبين يتحدث عن عيد الفطر وفضل الصيام ووجوب التمسك بالطاعات والتحذير من تركها يقول: "عباد الله إنّ يومكم هذا عيد شرفه الله وعظّمه وفضله وكرمه، ختم به شهر رمضان وافتتح حج بيته الحرام فاخلصوا فيه نياتكم وارفعوا إلى الله تعالى فيه طلباتكم واستغفروا لسيئاتكم"[1].

أما الخاتمة فقد تميّزت في خطب الفاطميين بأنها تلخص القضايا التي تضمنتها الخطبة، وفي أغلب الأحيان يستخدم الاقتباس في الخاتمة (آية قرآنية أو حديث نبوي شريف) من مثل "كما نبذ رسول الله ﷺ إلى مشركي العرب عهدهم وأرسل علياً ببراءة"[2] ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾ [3].

ثانياً: الرسالة

---

(1) الداعي إدريس، عماد الدين، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب "عيون الأخبار"، تحقيق محمد اليعلاوي، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥، ص٣٠٠.

(2) المصدر السابق، الداعي إدريس، ص٦٥٠.

(3) سورة الأنفال، الآية رقم (٥٨).

اهتمّ الفاطميون في المغرب العربي بكتابة الرسائل وتميّز بناؤها الفني بالآتي:

المقدمة:

تعدّ مقدمة الرسالة عنصراً مهماً من عناصر الرسالة، واشتملت مقدمة الرسائل عند الفاطميين على البسملة بها يفتتح الكلام امتثالاً لقوله عليه السلام "كلّ أمرٍ ذي بال لا يبدأ فيه باسم الله أبتر أو أجذم"(١).

ومن خلال رصد الباحثة لعدد كبير من الرسائل على اختلاف أنواعها وجدت أن معظمها يبدأ بمقدمة أولها بسملة أما موقع البسملة في الرسالة فقد كانت ترد في البداية ولا يتقدمها كلام آخر وقد وردت في أغلب الأحيان في سطر واحد تعظيماً لله جلّ جلاله، أما اسم المرسل والمرسل إليه فيذكر في مقدمة الرسالة وفي بعض الرسائل يذكر في نصّ الرسالة، وكذلك تتضمن مقدمة الرسالة "الحمد لله" فيحمد الله عز وجل على نعمه التي توجب الحمد والشكر "إذا كان الابتداء حسناً بديعاً، وملمحاً رشيقاً، كان داعية إلى الاستماع لما يجيء بعده من الكلام، لهذا جعل أكثر الابتداءات "بحمد الله" لأنّ النفوس تتشوق للثناء على الله فهو داعية إلى الاستماع"(٢).

وكذلك تضمنت مقدمة الرسائل الصلاة على رسول الله وعترته الأطهار "فإذا أُتي بالحمد أول الكتاب، ناسب أن يؤتى بالصلاة على النبي- عليه السلام- في أوله إتياناً بذكره بعد ذكر الله"(٣).

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرناؤوط، وعادل مرشد، الطبعة الأولى، الجزء (٢٤)، مؤسسة الرسالة، ط١، بيروت، ١٩٩٧، ص٤٢٩.

(٢) العسكري، الصناعتين، تحقيق مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٤، ص١٣١.

(٣) القلقشندي، أبو العباس أحمد، صبح الأعشى في كتابة الإنشا، الجزء السادس، دار الكتب المصرية، مصر، ١٩٢٢، ص٢١٨.

ومن نماذج هذه الرسائل رسالة "الأمير إسماعيل" إلى "قدام الصقلبي"[١]: "بسم الله الرحمن الرحيم. وبه نستعين، من الأمير إسماعيل إلى ولي عهد وابن أمير المؤمنين إلى قدام" سلام عليك، فإنا نحمد إليك الله لا إله إلاّ هو، ونسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله وعلى عترته الأطهار، الطيبين الأخيار، الله أكبر! الله أكبر! لا إلاّ الله"[٢].

أما العرض فيأتي بعد المقدمة فتبدأ مرحلة التمهيد لموضوع الرسالة وهو صلب الرسالة ويقع بين المقدمة والخاتمة، وفيه يبدأ الكاتب ببسط أفكاره وسرد الموضوع الذي كتبت الرسالة من أجله، كما تتسم الرسائل في هذا العهد بوحدة الموضوع، حيث تسير معظمها حول موضوع واحد وغالباً تتميّز بالإطالة من مثل "لله الحمد والشكر لرب العالمين الذي نصر عبده وأنجز وعده وانفرد بالمنن على عبده. فأظهرني تبارك وتعالى، متوجاً بعزه، رافلاً في حلل كرامته، مبوءاً في الفخر، وجمع بي الأمة بعد الفرقة، وأمنهم بعد الخوف وأعزهم[٣]. ثم يبدأ بالموضوع "بدأناه بالزحف يوم الخميس لثمان بقين من المحرم منذ طلوع الشمس، فقاتلناه قتالاً شديداً إلى بعد العصر، ثم عاودناه القتال يوم الجمعة بأهول من القتال الأول وأصعب إلى بعد العصر أيضاً، فصابحناه يوم السبت، فأيقنوا بالهلاك، واستماتوا، واشتدّ القتال في وعر شديد، وانحجز اللعين "مخلد بن كداد" وولد وغزاته وأصحابه وثقاته في قصر في ذروة القلعة.. فأحاطت به الجيوش من كل ناحية رمياً بالرصاص فحمدت الله وشكرته وتوثقت من اللعين، وأمرت بمداواة جراحه والرفق

---

(١) قدام الصقلبي عامل إسماعيل بن أبي القاسم المنصور على المنصورية والقيروان راجع المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق جمال الدين الشيال، الجزء الأول، لجنة إحياء التراث، القاهرة، ١٩٩٦، ص٦٠-٦١.

(٢) الداعي إدريس، عماد الدين، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب "عيون الأخبار"، تحقيق محمد اليعلاوي، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥، ص١٥٧.

(٣) الداعي إدريس، عماد الدين، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب "عيون الأخبار"، تحقيق محمد اليعلاوي، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥، ص٢٦٤.

به إلى أن أصل به إلى المهدية إن شاء الله، وختم رسالته بذكر التاريخ وكتب "يوم الأحد لخمس بقين من المحرم سنة ست وثلاثين وثلاث مائة والحمد لله رب العالمين"[١].

نلاحظ أنّ موضوع الرسالة دار حول موضوع واحد هو الانتصار على "مخلد بن كداد" وذكر تاريخ الرسالة خلال عرض الموضوع وكذلك ذكر مكان المعركة ووصفها وصفاً دقيقاً وختم رسالته بذكر تاريخ الرسالة.

أما خاتمة الرسالة وهي آخر ما بقي في الأسماع، يجب أن يجتهد برشاقتها[٢] أما خواتيم الرسائل في العهد الفاطمي فغالباً يضمنوها زبدة الرأي الذي انتهوا إليه أو بالدعاء أو إقراء السلام أو التناص من مثل: "جدوا وخذوا في ذلك المجد وقوة العزم واحذروا أن يكون لكم تثبيط وتثاقل مبتغين لما يرضى الله، تستزيدون من النعمة عندكم لأولادكم وأخراكم إن شاء الله والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته"[٣]. فخاتمة هذه الرسالة انتهت بإقراء السلام.

ثالثاً: السيرة

---

(١) المصدر السابق، الداعي إدريس، ص٢٦٤.

(٢) ابن وهب، أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم، البرهان في وجه البيان، تحقيق حفني محمد شرف، القاهرة، مكتبة الشباب، ١٩٦٩، ص٢٩١.

(٣) الداعي إدريس، عماد الدين، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب "عيون الأخبار"، تحقيق محمد اليعلاوي، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥، ص٣٠٢.

إن العمل الأدبي لا يكتسب صفة السيرة "إلاّ إذا كان تفسيراً للحياة الشخصيّة في جوهرها التاريخي فهي ليست مجرد أخبار تاريخية ولا هي مجرد تحليلات نفسية أو اجتماعية، بل هي كل ذلك مسبوكاً في قالب فني ذي طلاوة ورواء[١].

وللسيرة نسق فني في الكتابة، وأخصّ ملامح السيرة "أن يكون لها بناء مرسوم واضح، يستطيع كاتبها من خلاله أن يرتب الأحداث والمواقف والشخصيات التي مرت به ويصوغها صياغة أدبية محكمة"[٢]. ومن نماذج السيرة في العهد الفاطمي في المغرب العربي "سيرة الأستاذ جوذر" التي كتبها منصور الجوذري وهي سيرة متكاملة ولعلّ ذلك بسبب قرب منصور الجوذري من الأستاذ جوذر وملازمته له "فقد كان كاتباً له بعد وفاة كاتبه، وجعله واسطة بينه وبين الخدام تحت يديه واستحفظه على ما كان يجري بينه وبين الخليفة المعز لدين الله من الأسرار مما تضمنته التوقيعات وجرت به المشافهات والكتب الواردات عليه من كل الجهات"[٣] وقد اعتمد كاتب هذه السيرة على النقل الصادق والوصف الصادق والتصوير الأمين.

والزمن في هذه السيرة يخضع لترتيب طبيعي، فحكاية الأحداث لم تخرق نظامها الزمني الذي حدثت فيه في الواقع، فلم يأتِ الخبر اللاحق قبل الخبر السابق، فتزدحم أحداث الماضي القريب مع أحداث الماضي البعيد، فالزمن في كتابة هذه السيرة متصاعد وكثيراً ما يذكر تاريخ وقوع الأحداث، أما تقنية الكاتب في سرد سيرته فلم يعتمد على عناوين داخلية ولا فواصل بين

---

(١) أنيس المقدسي، الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة، الطبعة السادسة، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٠، ص٥٥١.

(٢) يحيى عبدالدايم، الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٨٢، ص٤.

(٣) الجوذري، أبو علي منصور العزيزي، "سيرة الأستاذ جوذر"، تحقيق كامل حسين ومحمد عبدالهادي شعيره، دار الفكر العربي، مصر، ١٩٥٤، ص٣٣.

التوقيعات والرقاع وقد ناوب بين توقيعات نقلها وبين أخبار من عنده تنمّ عن معرفته الدقيقة بما كان يجري في ذلك العهد.

ولعلّ من أبرز ما يميز أسلوب الجوذري في كتابه هذه السيرة هو استخدام الحكاية والقص من مثل: "ولما مضت لنا أيام قلائل، أمر المهدي بالله صلوات الله عليه بأن يجمعنا بين يديه، وإحضار ثياب تفرق علينا كسوة لنا، وكانت الثياب مجنسة من ألوان شتى وأجناس مختلفة، فلما مثلنا بين يديه قال لنا: ليتخير كل واحد منكم ثوباً يلبسه لنفسه على حسب شهوته"[١].

وكاتب هذه السيرة هو السارد من بداية السيرة إلى نهايتها، وهو المنظم للأحداث، وقد غطى المساحة القولية الكبرى في المتن على شخصيات هذه السيرة. وتعتبر هذه السيرة من السير التي لها قيمة تاريخية، إذ تمثل ما احتوته هذه السيرة من معلومات مصدراً موثوقاً للمصادر التاريخية في ذلك العهد.

كما أنّ اختيار مؤلف السيرة اسم "سيرة الأستاذ جوذر" عنوان للكتاب فيه إشارة واضحة إلى أنّ الكتاب هو سيرة غيرية موضوعها حياة الأستاذ جوذر وفي مقدمة الكتاب دلّ الكاتب على أبعاد زمانية للدلالة على الفضاء الزماني الذي كتبت فيه هذه السيرة يقول: "إنه لما استخدمني مولاي الأستاذ جوذر ﷺ كاتباً بعد وفاة كاتبه وكان ذلك في سنة خمسين وثلاثمئة"[٢]، فالعنوان دلّ دلالة واضحة على ما سيقدمه المؤلف للقارئ وهو سيرة الأستاذ جوذر وأكّد ذلك مؤلف هذه

---

(١) المصدر السابق، الجوذري، أبو علي منصور العزيزي، ص٣٧.

(٢) الجوذري، أبو علي منصور العزيزي، "سيرة الأستاذ جوذر"، تحقيق كامل حسين ومحمد عبدالهادي شعيره، دار الفكر العربي، مصر، ١٩٥٤، ص٣٣.

السيرة في المقدمة على مقصده من تأليف هذا الكتاب وهو كتابة سيرة الأستاذ جوذر وهذه الأمور تعتبر من الخطوط العريضة التي تجمع بين مختلف أشكال السيرة.

وقد حرص مؤلف سيرة الجوذري على سرد الأحداث والوقائع التي تسلط الضوء على ملامح شخصيّة "الأستاذ جوذر"، والتي شكلت المادة الخام لكتابة هذه السيرة، وقد مزج كاتب السيرة بين الأحداث الخاصة في سيرة الأستاذ جوذر والأحداث التاريخية والسياسية التي حدثت في ذلك العهد، أما الشخصيّات في هذه السيرة، فتقسم إلى شخصيات رئيسة، وأخرى ثانوية، والتي كان لها الدور البارز في صنع الأحداث والأستاذ جوذر كان هو الشخصيّة الأساسية والرئيسة في هذه السيرة. وتعدّ "الأحداث ركناً من أركان السيرة، وتؤثر في بقية الأركان الأخرى، ولكل حدث تأثيره في الشخصية التي قامت به مثلما يؤثر في الشخصيات الأخرى"[١].

أما فضاء المكان في هذه السيرة فقد احتلّ مكاناً واسعاً، فقد انتقل من فضاء المغرب العربي إلى فضاء مصر وإلى فضاءات أخرى، والمكان عادة في بنية السيرة يكون واقعياً، ويحق لكاتب السيرة أن يذكر أماكن غير واقعية إذا كان ذلك في سياق توظيفها رمزياً أو في سياق سير حلم أو كابوس مرّ به[٢]. والأماكن الواقعية في هذه السيرة هي التي عاش فيها الأستاذ جوذر وانتقل إليها في سفره.

ويعدّ الصدق والصراحة من أهم مقومات السيرة الفنية الناجحة، وقد تميّزت بهما كتابة السيرة عن باقي الأجناس الأدبية الأخرى، فعلى كاتب السيرة أن يبني ما يكتبه على أساس متين من الصدق التاريخي "فالقاص حر في الخلق والبناء، أما كاتب السيرة فلا بدّ له من مذكرات

---

(١) شاكر، تهاني عبدالفتاح، السيرة الذاتية في الأدب العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٢، ص٩٦.

(٢) شاكر، تهاني عبدالفتاح، المرجع السابق، ص١٣٧.

ورسائل وشواهد يعتمد عليها في كل خطوة"[1]. وكاتب هذه السيرة التزم الصدق والصراحة في كتاباته فقد كان ملازماً للأستاذ جوذر وكاتباً له.

رابعاً: المذكرات

العهد الفاطمي شهد صدور العديد من المذكرات التي ارتبط أكثرها بالسياسيين ورجال الدولة، وهذه المذكرات تركز على رموز العهد الفاطمي والأحداث التي جرت في تلك الحقبة، ومن نماذج المذكرات في العهد الفاطمي "الحاجب جعفر" وهي مذكرات رجل مسن هو محمد بن محمد اليماني، وقد أوضح اليماني في مقدمة الكتاب بأنه كتب هذه المذكرات بناءً على رغبة الخليفة الفاطمي العزيز بالله.

أما عنوان هذه المذكرات فهو على المستوى التركيبي يتكون من عنوان رئيس هو "الحاجب جعفر بن علي" وعنوان فرعي هو "خروج المهدي من سلمية ووصوله إلى سجلماسة وخروجه منها إلى رقادة". فالقسم الأول من العنوان دلّ على صاحب هذه المذكرات والشخصيّة الرئيسة فيها، أما العنوان الفرعي فدلّ على أبعاد زمانية ومكانية جاءت للدلالة على طول المدة الزمنية التي استغرقها الفضاء الزماني، وكذلك الإشارة إلى الفضاء المكاني التي وقعت فيه أحداث هذه المذكرات، فيذكر اليماني في هذه المذكرات سرداً متصلاً للحوادث والوقائع التي جرت في حياة "الحاجب جعفر"، وكان لليماني حظ في مراقبتها وملاحظتها ومعايشتها عن كثب، "فقد كان خادماً في البلاط الفاطمي وعلى اتصال بالحاجب جعفر نفسه"[2]، مما أتاح له فرصة الكتابة عنه ومتابعة الأحداث والوقائع التي جرت في ذلك العهد.

---

(1) إحسان عباس، فن السيرة الذاتية، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٦، ص٧٤-٧٦.

(2) اليماني، محمد بن محمد، الحاجب جعفر بن علي "وخروج الإمام المهدي من سلمية ووصوله إلى سجلماسة وخروجه منها إلى رقادة"، دار الغدير للطباعة والنشر، ٢٠٠٩، ص٩٠.

وينحو كاتب هذه المذكرات إلى السرد والتوضيح والتعليل يقول: "كان المهدي بالله أكبر سناً مني بشهور يسيرة ووسمني الإمام بخدمته، فربيت معه أخدمه، فأدبني أحسن تأديب، وكان الإمام لا ينكر عليه ما يرى منه تقويمي وتأديبي حتى أخرجني كما يجب، وكنت لا أحوجه أن يأمرني بشيء وكان إذا نظر إليّ عرفت الذي في نفسه فأتيت بما يحب كما يحب"[١].

وركز كاتب المذكرات على تصوير الوقائع والأحداث يقول: "وكانت الأموال والذخائر تحمل على الجمال فيفتح لها باب السرداب في الليل، وتنزل فيه بأحمالها عليها حتى تحط في داخل الدار، وتخرج في الليل، ويغمى على باب السرداب بالتراب، فلا يدري به أحد، قال وكانت الأموال عظيمة حتى يقال أنه ما كسب المهدي قدس الله روحه بعد أن فتح الله له إلاّ نحواً مما خلف بسلميّة"[٢].

وكذلك استخدم في كتابة هذه السيرة السرد المفصل الموثق يقول: "فسقطت في تلك الليلة نجوم فخرج المهدي والقائم صلوات الله عليهما والعامل والجماعة إلى سطح دار العامل ينظرون إليها، وقد انقلبت المدينة بصراخ الناس والابتهال إلى الله عزّ وجل، قال وأحسبه كان سقوطها في تلك الليلة في سنة تسع وثمانين ومائتين وأظنه قال في شهر رجب"[٣].

وقد لجأ الكاتب أيضاً في هذه المذكرات إلى الإكثار من الوصف ليعمل على إبطاء السرد يقول: "وكان إلى جانب الدار بستان ملصق بها وفي الدار باب يفتح إليه، فلحق المهدي

---

(١) اليماني، محمد بن محمد، الحاجب جعفر بن علي "وخروج الإمام المهدي من سلمية ووصوله إلى سجلماسة وخروجه منها إلى رقادة"، دار الغدير للطباعة والنشر، ٢٠٠٩، ص١٠٨.

(٢) اليماني، محمد بن محمد، الحاجب جعفر بن علي "وخروج الإمام المهدي من سلمية ووصوله إلى سجلماسة وخروجه منها إلى رقادة"، دار الغدير للطباعة والنشر، ٢٠٠٩، ص١٠٨.

(٣) المصدر السابق، اليماني، محمد بن محمد، ص١١٢.

في يوم صائف مثل هذا اليوم حر عظيم، فتقدّم إلينا بأن نفتح باب البستان ففتحنا البستان ودرنا فيه فوجدنا شجرة كبيرة تحتها رواح عظيم، ففرشنا له تحتها وخرج القائم "فجلس تحت الشجرة"[1].

(1) المصدر السابق، اليماني، محمد بن محمد، ص١٢٠.

ثانياً: اللغة والأسلوب

تمهيد

تعتمد الكتابة على ثقافة الكاتب وبراعته وتمكنه من أدوات الكتابة وأهمها اللغة، وحسن توظيفها في كتاباته، وينبغي للكاتب أن يتخير الألفاظ التي يحسن استعمالها "فالألفاظ الجزلة تستعمل في صوف مواقف الحروب وفي التهديد والتخويف وما شابه ذلك، أما الألفاظ الرقيقة فتستخدم في وصف الأشواق، وذكر المودة، والاستعطاف"[١]. أما الفاطميون فقد سلكوا في التعبير عن معانيهم، أساليب مختلفة لمخاطبة عقل المخاطب، وإثارة عواطفه وتحريك مشاعره وستتناول الباحثة أهم سمات أسلوبهم في كتاباتهم.

تميل لغة الكتابة في العهد الفاطمي في المغرب العربي إلى البساطة والوضوح والابتعاد عن الحوشي والغريب من الكلام، فمن خلال رصد الباحثة لخطب الفاطميين وجدت ميل الخطباء إلى الألفاظ السهلة الواضحة: "وقد علمتم يا معشر كتامة ما مضى عليه آباؤكم، وقدم أسلافكم من لزوم الطاعة والاعتصام بحبلها، والتفيء بظلها، والمجاهدة في الله حقّ جهاده، وإنكم خبيئة الله لهذا الحق المحمدي حتى أظهره وأعلاه، وجعل لكم فخره وسناه"[٢] فالقارئ لا يجد صعوبة قراءاتها وفهم معناها، فالألفاظ تتسم بالسهولة والرقة والوضوح مع جزالة أحياناً تخدم الموضوع وذلك لأنّ هدف الفاطميين من خطبهم إيضاح المعنى وتوكيده في النفوس وترسيخ حقهم في الإمامة والدفاع عن الدعوة الإسماعيلية.

---

(١) ابن الأثير، ضياء الدين، نصر الله بن محمد، المثل السائر، تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانة، الجزء الأول، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ص١٨٠-١٨٥.

(٢) الداعي إدريس، عماد الدين، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب "عيون الأخبار"، تحقيق محمد اليعلاوي، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥، ص١٢٠.

وقد أكثر الفاطميون من استخدام الجمل الدعائية في خطبهم على اختلاف أنواعها وموضوعاتها وهذه الجمل غالباً تفيد الترحم والتعظيم من مثل: "فقاتلوا- رحمكم الله- أحزاب الضلال واطلبوا في نواحي الأرض وأقاصي البلدان، وجميع الآفاق حتى يحق الله الحق ويبطل الباطل ولو كره المشركون"[١]. ومن مثل: "معاشر الناس مولانا وسيدنا الأمير إسماعيل المنصور بالله- أطال الله بقاءه- يقرأ عليكم السلام"[٢] نلاحظ أنّ الجمل الدعائية وردت في صورة جمل اعتراضية ضمن الكتابات الفاطمية ويبدو أن هذا الدعاء الاعتراضي في العهد الفاطمي، إنما هو ضرب من ضروب المجاملة ورسم من رسوم المخاطبة سواء كان في صورة "رحمكم الله" أو "أطال الله بقاءه" أو أعزك الله، ....الخ" فكأن آداب التخاطب قد اقتضت مثل هذه العبارات.

ولم تكن كتابة الخطب في عهد الفاطميين تسير في اتجاه واحد من حيث الإيجاز والإطناب، فهي تطول وتقصر حسب الموضوع والجمهور المتلقي. والإيجاز "وضع المعاني الكثيرة في ألفاظ أقل منها وافية بالغرض المقصود مع الإبانة والإفصاح، والإطناب زيادة اللفظ على المعنى لفائدة تقويته وتوكيده"[٣]. ومن الكتابات التي تغلب عليها صفة الإطناب مقدّمات الخطب مثل: "الحمد لله المتوحد بربوبيته، المتفرد بوحدانيته، الأول القديم، الحي القيوم، أحمد بمحامده كلها على أصغر نعمة وأجلها، حمداً على حمد، للتوفيق منه والراشد أن لا إله إلا الله

---

(١) الداعي إدريس، عماد الدين، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب "عيون الأخبار"، تحقيق محمد اليعلاوي، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥، ص٢٦٩.

(٢) المصدر السابق، الداعي إدريس، ص٣٥٣.

(٣) القزويني، محمد بن عبدالرحمن جلال الدين، علوم البلاغة، تعليق محمد خفاجي، الطبعة الرابعة، الجزء الثاني، دار الكتاب، بيروت، ١٩٧٥، ص٢٨٧.

وحده لا شريك له، إخلاصاً لتوحيده واعترافاً بربوبيته"[١]. ومن أسباب الإطناب في العهد الفاطمي كثرة المدح أو الذم وكذلك الحرص على الإفهام وإقناع الناس بالدعوة الإسماعيلية، وأحقيتهم بالإمامة والإطناب يتولد عنه الترادف.

ومن خلال رصد الخطب في العهد الفاطمي، تبيّن أنهم أكثروا من "التناص" في كتاباتهم وهو "علاقة بين نصين أو أكثر، ووجود آثار نصوص أخرى على النص المتناص اي الذي اشتمل على تلك النصوص، أو هو استحضار نص ما لنص آخر ليدعم النص ويخرجه بشكل جديد ومتكامل"[٢] فقد أكثروا من الاستشهاد بالآيات القرآنية والأبيات الشعرية التي تشاكل المعنى وتناسب الحال من مثل "باسم تالله الرحمن الرحيم، وبه نستعين. الله أكبر! الله أكبر لا إله إلا الله، والله أكبر، لا حكم إلا لله ولا طاعة لمن عصى الله. ألا ﴿لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾[٣] ﴿وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ﴾[٤]، الحمد لله الخلاق العليم، المدبر الحكيم، الذي له مقاليد السموات والأرض وهو على كل شيء قدير ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾[٥]، أحاطت بهم قدرته وعلمه ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾[٦] ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾[٧]

---

(١) الداعي إدريس، عماد الدين، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب "عيون الأخبار"، تحقيق محمد اليعلاوي، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥، ص٤٣١.

(٢) حسام أحمد فرج، نظرية علم النص، تقديم سليمان العطار ومحمود حجازي، مكتبة الآداب بالقاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧، ص١٩٤.

(٣) سورة الأعراف، الآية (٤٥).

(٤) سورة آل عمران، الآية (٢١).

(٥) سورة المجادلة، الآية (٧).

(٦) سورة البقرة، الآية (٢٢٥).

ظُلْمًا﴾[1] هو الأول قبل كل أوان وزمان ومكان وغاية ونهاية، وهو اللطيف الخبير الذي ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾[2] فغلق مصابيحها وأضاء شمسها وأنا قمرها وفجر ينابيعها ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾[3] فسبحان الذي لا يدل عليه إلاّ بآياته، وما فطر من أرضه وسماواته، وبأن لخليفته من تدبيره وتكامل رسله إلى الأمم كافة من عباده إذ قال لهم: ﴿إِنَّ اللهَ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾[4] معاشر معاشر الناس! إني أصبت أمتكم هذه كما أصاب رسول الله ﷺ اليهود والنصارى"[5].فالتناص بالقرآن الكريم واضح وجلي وقد ساعد على إعطاء دلالات أعمق للنص وتوكيد للمعنى في نفوس المتلقين وهذا التناص يظهر الموروث الديني والثقافة الإسلامية الكبيرة عند الخلفاء الفاطميين.

أمّا في كتابة الرسائل فقد راوح الفاطميون في أساليبهم بين الخبر والإنشاء، ومن نماذج أساليبهم الخبرية رسالة المنصور إلى جوذر: "وردت كتبك فوقفت على ما فيها وفهمت ما ذكرته من جميعها، وتأخر الجواب لشغل مرة وعلل مرة، وضعف شامل للجسم كله، والحمد لله على كل الأحوال"[6].

فقد تميّز النص السابق باستعمال مكثف للجمل الفعلية والإسميّة ويلاحظ أيضاً أن ألفاظ هذه الجمل جاءت سهلة واتسمت بالوضوح والسهولة والبعد عن التعقيد والغموض ولا

---

(1) سورة طه، الآية (١١١).
(2) سورة لقمان، الآية (١٠).
(3) سورة النازعات، الآية (٣٠).
(4) سورة إبراهيم، الآية (١٠).
(5) الداعي إدريس، عماد الدين، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب "عيون الأخبار"، تحقيق محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥.
(6) الداعي إدريس، عماد الدين، المرجع السابق، ص٥٠٢.

يحتاج المتلقي إلى جهد في فهمها فقد استخدم كاتب هذه الرسالة الأفعال الماضية (وردت، فهمت، تأخر)، وذلك للإشارة إلى تأخره بالرّد بسبب مرضه ثم استخدم جمل إسميّة (ضعف شامل للجسم) (والحمد لله على كل الأحوال)، وذلك للدلالة على تأكيد مرضه. ومن نماذج أساليبهم الخبرية أيضاً الجمل الإسميّة المؤكدة بأن التوكيد من مثل رسالة المعز لأهل اقريطش: "إن الله- سبحانه- قد خولنا من فله وأمرنا من معونته وتأييده بما نرى أنا بحوله وقوته ونصره لنا وإظهارنا على عدونا نكف أيدي الكفرة"[١].

وكذلك: "إن الله وله الحمد خلق الخلق لإظهار جوده وفضله ورزقهم بمنّه وإحسانه"[٢]. أما أساليبهم الإنشائية فتارة تكون في صورة نهي وتارة في صورة أمر واستفهام وأما الاستفهام فهو "طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل وذلك بأداة من إحدى أدواته"[٣]. "وقد تخرج ألفاظ الاستفهام عن معناها الأصلي فيستفهم بها عن الشيء مع العلم به، لأغراض أخرى تفهم ومن سياق اللام ودلالته"[٤].

ومن نماذج الاستفهام على سبيل المثال لا الحصر رسالة المعز إلى جوذر: "فكيف بمن اجتمعت له الولاية مع القدم والرضى من جميع الأئمة المهديين الفاضلين صلوات الله عليهم أجمعين في الأولين والآخرين؟"[٥] فكاتب الرسالة المعز لدين الله لا ينتظر جواباً على سؤاله وإنما وإنما يضمنه لتأكيد حقّ الخليفة المنصور بالإمامة.

---

(١) الداعي إدريس، عماد الدين، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب "عيون الأخبار"، تحقيق محمد اليعلاوي، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥، ص٦٥٣.

(٢) المصدر نفسه، الداعي إدريس، ص٥١٣.

(٣) السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٣، ص٧٨.

(٤) المصدر نفسه، السيد أحمد الهاشمي، ص٨٣.

(٥) الداعي إدريس، عماد الدين، المرجع السابق، ص٥١٢.

وأما الأمر وهو "طلب الفعل على وجه التكليف والإلزام بشيء لم يكن حاصلاً قبل الطلب وفي وقته على جهة الحقيقة أو المجاز"[١] فله صيغ مختلفة في رسائل الفاطميين في العهد الفاطمي منها أفعال الأمر، والفعل المضارع المقترن بلام الأمر، واسم الفعل "ويأتي الأمر عادة إما بمعناه الأصلي، الذي يعني طلباً محدداً يوجه إلى المخاطب ويراد منه أن يقوم بأمر ما أو يؤدي مهمة معينة، وإما أن يتحول من أصل وظيفته هذه إلى معنى تعبيري بلاغي يخرج فيه الأمر إلى دلالات شتى يمكن التماسها في السياق الذي يرد فيه"[٢] ومن نماذجه في رسائل الفاطميين رسالة المعز إلى جوذر: "فعليك فيما قبلك بالاحتراز ما أمكنك والضبط ما استطعت، ومنع هؤلاء القردة من الوصول إلينا" وإن اتصل بهم شيء من ذلك فكذبه ما استعطت، وخوفهم ما قدرت ولا تحمل نفسك من الهم والغم ما لا تحمله واعمل أنه لو كان ذلك نافعاً لتقدمتك فيه أنا"[٣].

فقد أكثر كاتب الرسالة من صيغ الأمر وهي اسم فعل الأمر "فعليك" وأفعال الأمر "فكذبه، خوفهم، اعلم" وخروج النهي بمعنى الأمر مثل "لا تحمل" وكل هذه الصيغ يبدو أنّ غرضها هو النصح والإرشاد والتوجيه إلى الطريق الصحيح.

وكذلك أكثر كتاب الرسائل في العهد الفاطمي من استخدام الجمل الدعائية في رسائلهم بصورة عامة واستخدمت في الرسائل مع اختلاف أنواعها وموضوعاتها ومن نماذج هذه الرسائل على سبيل المثال لا الحصر رسالة المعز إلى جوذر: "يا جوذر صانك الله! والله ما وعدتك

---

(١) حسين جمعة، جمالية الخبر والإنشاء "دراسة جمالية بلاغية نقدية"، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٢، ص١٠٥.

(٢) أماني سليمان داود، الأسلوبية الصوفية، الطبعة الأولى، دار مجدلاوي، عمان، ٢٠٠٢، ص١٣٥.

(٣) الداعي إدريس، عماد الدين، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب "عيون الأخبار"، تحقيق محمد اليعلاوي، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥، ص٥١٤.

بشيء وأنا أرجع لك فيه"[١] وكذلك رسالة المنصور إلى قدام الصقلبي يشيد بولي عهده المعز لدين الله "فأنهض الأمير أبا تميم "المعز لدين الله" مدّ الله في عمره وأدام عزه لحربهم"[٢].

ومن السمات البارزة في رسائل العهد الفاطمي ظاهرة الإطناب، ومرد ذلك أن هذه السمة تتيح لمنشئ الرسالة تأكيد فكرته وتوضيحها فالإطناب يساعد على الإفهام ومن نماذج الإطناب في رسائل العهد الفاطمي رسالة المنصور إلى قدام "فصدقوهم المقارعة طعناً بالرماح وضرباً بالسيوف ورشقاً بالسهام ورمياً بالحجارة، حتى ساورهم بمعقلهم وأنزلوهم منه عنوة وقسراً وغلبة وقهراً وأدركوهم في كل مهرب وأخذوهم بكل نفق ومرقب وقتلوهم شرّ قتله وأنكاها، وأضرموا أعراش المدينة ناراً وألحقوا أعالي جدرانها بحضيضها"[٣].

ففي هذه الرسالة يظهر الإطناب من خلال الحديث عما أصاب العدو ووصف المعركة فأراد أن يظهر قوته وقوة جنوده وهزيمة العدو. وكثر الإطناب أيضاً في مقدمات الرسائل من مثل: "والله نحمد كثيراً، وإياه نشكر وإليه نصرف الرغبة في أن يصل لنا من به علينا من ذلك ببلوغ الأمل في صلاح بلاده وهداية عباده وأن يصلي على محمد سيد وخاتم أنبيائه وعلى عترته المهديين الأخيار الطيبين"[٤].

فالإطناب يظهر في حمد الله عز وجل على نعمه وفي الصلاة على النبي عليه السلام وعلى الأئمة المهديين. ولعلّ السمة الأسلوبية التي تظهر بشكل لافت للمتمعن في رسائل العهد الفاطمي هي أن أغلبها لا يخلو من آيات القرآن الكريم وأنّ الرسائل التي لم تذكر الآيات صراحة فإنها تتضمن معاني الآيات الكريمة فالتناص بالقرآن الكريم واضح جلي في كتاباتهم من مثل:

---

(١) الداعي إدريس، عماد الدين، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب "عيون الأخبار"، تحقيق محمد اليعلاوي، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥، ص٢٥١.

(٢) المصدر نفسه، الداعي إدريس، ص٤٧٨.

(٣) المصدر نفسه، الداعي إدريس، ص٤٧٨.

(٤) الداعي إدريس، عماد الدين، المصدر السابق، ص٦٦١.

"ولكن لا رادّ لأمر الله ولا دافع لقضائه ولا متوقّى دون أجله يقول الله جلَّ مَنْ قائل[1]: ﴿فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ﴾[2].

فقد وظف كاتب هذه الرسالة "التناص" بالقرآن الكريم ليؤكد الإيمان بقضاء الله وقدره وكذلك رسالة المعز إلى جوذر "فإن وصولنا من المهدية يبعد من الساعة إلى حين الربيع والموت بيد الله"[3]، وقد قال عز وجل: "وما تدري نفس بأي أرض تموت"[4]. ومن خلال تناص القرآن الكريم يظهر الموروث الديني والثقافة الإسلامية الموجودة عند كتاب الرسائل في العهد الفاطمي.

أما كتابة المذكرات فقد تميّزت بسردها للأحداث العامة والتاريخية التي جرت خلال حياة المؤلف والسرد في اللغة هو: "جودة سياق الحديث"[5]. فجودة عرض المذكرات تكسبها متعة وحلاوة تغري القارئ بالمتابعة، وعند حدوث خلل في السرد فإن القارئ ينأى بنفسه عنه، وقد نحا كتاب المذكرات في تلك الفترة إلى السرد والتعليل والتوضيح وتميّز السرد بالموضوعية وذلك؛ لأنّ كتاب هذه المذكرات كان لهم حظ في مراقبتها وملاحظتها ومعايشتها فضلاً عن ذلك فقد ركزت هذه المذكرات على بعض الجوانب الشخصية لحياة أصحاب المذكرات من مثل "ولد جعفر حوالي عام (٢٦٠هـ/٨٧٤م) وتوفي وقد أربى على الثمانين من عمره في أوائل حكم المعز أي

---

(١) الداعي إدريس، عماد الدين، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب "عيون الأخبار"، تحقيق محمد اليعلاوي، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥، ص٥١٤.

(٢) سورة الأعراف، الآية: رقم (٣٤).

(٣) المصدر السابق، الداعي إدريس، ص٢٥٠.

(٤) سورة لقمان، الآية رقم (٣٤).

(٥) الفيروز آبادي، مجد الدين، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٥، ص٢٦١.

بعد عام (٣٤١هـ/٩٥٣م) سمعت عبد موالينا قدس الله أرواحهم وصلى عليهم أجمعين "جعفر بن الحاجب" يقول كان المهدي بالله أكبر سناً مني بشعور يسيرة، وكنت قد رضعت معه ووسمني الإمام بخدمته فربيت معه أخدمه فأدبني أحسن أدب"[١]. واهتمّ كاتب المذكرات في العهد الفاطمي بترتيب الأحداث والمواقف والشخصيات وصياغتها صياغة أدبية، فالحقائق التي كانت سبباً في إبداع العمل الأدبي يصوغها الكاتب بشكل أدبي ويؤرخ لها لإثارة إحساس المتلقي.

ومن سمات كتابة المذكرات تركيز كاتب المذكرات على المكان فيوظفه كركيزة أساسية في كتابة المذكرات من مثل: "قال جعفر ولم نكن نشك أنا نريد الذهاب إلى اليمن، فلم يُظهر سيره إلى المغرب إلاّ تلك الليلة، قال جعفر فاشتد ذلك على كل مَنْ كان معه وشق علينا ذكر المغرب، قال فبكرت كما أمرني إلى سلمية، قال وكانت أول محنتي التي امتحنت بها بمصر وإن كانت لا تجري فيما جرى بسجلماسة"[٢].

يلاحظ أن كاتب المذكرات يركز على ذكر المكان خلال سرد الأحداث ليتعرف القارئ على هذه الأمكنة ويتخيلها أثناء قراءة الأحداث، وكذلك يعتمد كانت المذكرات في العهد الفاطمي في سرده على إعطاء تفاصيل دقيقة من مثل: "وأقمنا بها أياماً إلى أن عيدنا بها وخرجنا منها في يوم العيد إلى سجلماسة قال فأذكر أن المهدي قال لي ونحن مقيمون بها اخرج فاطلب لي خروفاً صغيراً سميناً فإن وجدته فاشتره وشوه وجئ به قال: فخرجت أطلبه فقال لي رجل من أهل البلد: عندي حاجتك فسر معي إلى منزلي، فسرت معه فأدخلني إلى بيت فيه كلب كثيف الشعر في عنقه سلسلة عظيمة وقد احمرت عيناه، فقال لي اليوم شهرين أطعمه التمر وهو في سلسلة لا

---

(١) اليماني، محمد بن محمد، الحاجب جعفر بن علي "وخروج الإمام المهدي من سلمية ووصوله إلى سجلماسة وخروجه منها إلى رقادة"، دار الغدير للطباعة والنشر، ٢٠٠٩، ص١٠٨.

(٢) اليماني، محمد بن محمد، المرجع السابق، ص٩٨.

يتحرك وقد ضاق به جلده من الشحم"[١]. نلاحظ أن كاتب المذكرات يعتمد في سرده السرد التصويري الوصفي فيعطي تفاصيل دقيقة وكأنه يرسم صورة في ذهن القارئ.

وكذلك وظف السارد في كتابه المذكرات "الحوار من مثل: "فقال له: لا والله يا مولاي ولقد قدرت أن أخبئكم في أحشائي وأطبق عليكم أجفاني لفعلت، ولكن يا مولاي أسألك في حاجة قال المهدي: وما هي، قال: هذا البستان كان لأبي وجدي يتوارثونه على أجدادنا"[٢]. فقد وظف الكاتب "الحوار" ويبدو أن ذلك لتطوير السرد ليفي بالغرض المطلوب. ومن أهم ميزات أسلوب كتابة المذكرات أيضاً التحليل والتعليل والتوضيح من مثل: "ليعرّف عبدالله الشيعي بالمهدي؛ لأن الشيعي الداعي ببلدة كتامة لم يكن رأى المهدي"[٣]. وكذلك "وتابع الإحسان إليه حتى استراب به التركي لجزيل ما كان يوليه ويسدي إليه"[٤].

ومن ذلك أيضاً: "وقال لأولئك الدعاة الذين بقوا معه إني أحببت أدخل الحمام بمدينة سلمية، ولم يكن دخل المدينة إلا ذلك اليوم، وإنما كان نازلاً بظاهرها وكان ذلك حيلة من لعنة الله لما مضى عنه أولئك المحبون وأيس أن المهدي لا يصل وخاف أن يفوته ما يريده"[٥] وكذلك "وكان ذلك مكيدة منه ليطمئن المهدي إليه حتى يرجع"[٦]. يلاحظ أن السرد يصاحبه تحليل وتوضيح وتعليل للأحداث للاتصاف بالموضوعية والمنطقية.

---

(١) اليماني، محمد بن محمد، "الحاجب جعفر بن علي " وخروج الإمام المهدي من سلمية ووصوله إلى سجلماسة وخروجه منها إلى رقادة"، الغدير للطباعة والنشر، ٢٠٠٩، ص١١٦.

(٢) المصدر نفسه، اليماني، محمد بن محمد ص١١٥.

(٣) المصدر نفسه، اليماني، محمد بن محمد، ص١١٧.

(٤) المصدر نفسه، اليماني، محمد بن محمد، ص١٠٩.

(٥) اليماني، محمد بن محمد، "الحاجب جعفر بن علي " وخروج الإمام المهدي من سلمية ووصوله إلى سجلماسة وخروجه منها إلى رقادة"، الغدير للطباعة والنشر، ٢٠٠٩، ص١٠٣.

(٦) المصدر نفسه، اليماني، محمد بن محمد، ص١٠٢.

وكذلك اعتمدت كتابة المذكرات في العهد الفاطمي على الوثائق والمشاهدات من مثل: "قال جعفر وفتح أبو عبدالله الشيعي إفريقية سنة ست وتسعين ومائتين، فأقام بها أشهر "وأمر الرعية ثم رحل عنها يريد سجلماسة في طلب المهدي"[١].

أما كتابة السيرة في العهد الفاطمي فقد اتسمت بالتماسك والتسلسل في سرد الأحداث وقد اشترط النقاد وجود ترابط واتساق في كتابتها "يصوغها صاحبها في صورة مترابطة على أساس من الوحدة والاتساق، وفي أسلوب قادر أن ينقل إلينا محتوى وافياً كاملاً"[٢].

وكذلك اعتمد كتاب السيرة في ذلك العهد على النقل المباشر وعلى الوثائق والمدونات والمشاهدات مما جعلهم موضوعيين في كتابة وإنجاز سيرهم، بالرغم من اقترابها في بعض الأحيان من التاريخ إلى درجة يعدها بعض الباحثين لوناً من ألوان التاريخ لاسيما السير الغيرية؛ لأنّ موادها مستمدة من الوثائق التاريخية بخلاف السير الذاتية التي تتجه إلى سبر أغوار النفس فالسير الذاتية تبتعد عن التاريخ؛ لأنّ الراوي يعتمد على الذاكرة لسرد الأحداث وإن عجز عن استرجاع الذكريات يلجأ إلى الخيال وكذلك عمدوا في كتابة السير إلى مراعاة الترتيب الزمني للأحداث؛ لأنّ كاتب السير "إذا أخلّ بالترتيب الزمني وأراد إعادة ترتيبها، كان لزاماً عليه أن يلجأ إلى فنية تسعى من أجل الموج بين الحدث عند حدوثه والحدث لحظة التذكر، وهذه الفنية يجب أن تلتزم بإثبات الحقيقة في نقل الحدث مع مراعاة كاتب السيرة في سرد سيرته، تسلسل الأحداث وانتظامها والمحافظة على روابط تصل الأحداث ببعضها، وهذه الروابط تتطلب قدرة عالية من

---

(١) المصدر نفسه، اليماني، محمد بن محمد، ص١٢٣.

(٢) يحيى إبراهيم عبدالدايم، الترجمة الذاتية في الأدب العربي، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ١٩٨٢، ص١٦.

الصياغة الفنية، والمقدرة على إيجاد روابط خارجية وأخرى داخلية"[١]. مما يضطر كاتب السيرة إلى توظيف تقنيات أخرى كالتفسير والتصوير والتحليل. أما لغة السرد في كتابة الأحداث في العهد الفاطمي فهي لغة السرد التقريرية الإخبارية التي تعبر عما يدور في ذهن كاتبها من مثل: "إن كلام الأئمة المهديين في جميع ما أشاروا به من رمز أو تصريح أو تعريضِ، إنّ القول منهم في جميع ذلك حكمة بالغة، وأدب وفائدة لمن اعتقد ولا يتهم، وأخلق لله في مودتهم بصدق طوية وخلوص نية"[٢].

ويلجأ كتاب السيرة إلى التحليل والتعليل وذلك من مثل: "جرى بين رجال من أوليائه الكتاميين مشاجرات وشرور وخصومات بسبب قسمة السواقي التي أقطعهم إياها، وترافعوا في الشكوى والتخاصم إليه، فلما وقف مَنْ تظلم بعضهم من بعض رأى إخراج أحد الثقاة في الكشف عن صورة ما جرى بينهم والعودة إليه بصحة ما يقف عليه"[٣]. فقد وقف الكاتب لتحليل وتفسير المواقف التي حدثت قديماً وكذلك أبدى كاتب السيرة رأيه عند لحظة السرد لا في لحظة حدوث الأحداث، وقد يعود ذلك إلى عدم مقدرة الكاتب على بثّ رأيه في المواقف القديمة وقت حدوثها.

وقد يوظف السارد الحوار من مثل: "فتبينت منه التضجر في خطابه، فقلت له: ما لي أراك خرجت متململاً وقد بارك الإمام فيك وصرفك شاكراً لسعيك فقال: كنت أنا أحبّ أن يجعل لي عوضاً من هذه البركة شيئاً انعم به نفسي عند عودتي إلى بيتي، فقلت له لا تفعل فإن بركة مولانا خير لك من الدنيا وما عليها لو دفعت إليك"[٤].

---

(١) عبدالمحسن بدر، تطوير الرواية العربية الحديثة في مصر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٣، ص٢٩٩.

(٢) الجوذري، أبو علي منصور العزيزي، "سيرة الأستاذ جوذر"، تحقيق كامل حسين ومحمد عبدالهادي شعيره، دار الفكر العربي، مصر، ١٩٥٤، ص٣٦.

(٣) المصدر نفسه، الجوذري، أبو علي منصور العزيزي، ص٣٦.

(٤) الجوذري، أبو علي منصور العزيزي، "سيرة الأستاذ جوذر"، تحقيق كامل حسين ومحمد عبدالهادي شعيره، دار الفكر العربي، مصر، ١٩٥٤، ص٣٧.

فقد وظف السارد الحوار وذلك لينوع في السرد، وكذلك لإبداء الرأي والرأي الآخر "ولكسر رتابة السرد ومنح الشخصية مجالاً للتعبير عن رؤيتها من خلال لغتها المباشرة فتعكس وجهة نظرها من خلال حوارها مع الآخرين ومع الذات"[١].

ويعتمد السارد أيضاً على الوثائق والرسائل والخطابات من مثل: "أمر الخليفة المنصور عبده بإنفاذ السجلات على البريد إلى جميع الآفاق بالفتح، وكتب إلى الأستاذ جوذر سجلاً عظيماً وفي داخله رقعة بخط المنصور بالله فيها: "يا جوذر، أسعدك الله بطاعته، وتولاك بكفايته، إنا قد أوجبنا على أنفسنا من العتق والصدق"[٢].

وتميزت هذه السير بتوظيف "التناص" من مثل: "فقد ألحد فيه الملحدون، وشك فيه المبطلون الضالون، وأنكر فضله المكذبون ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[٣]، وقال عز وجل ﴿كَفَرُوا وَتَوَلَّوا وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾[٤]، اللهم إنك تفعل ما تشاء وأنت على كل شيء قدير"[٥].

لاحظت الباحثة بعد رصد السير والمذكرات وتحليلها في العهد الفاطمي بأن لغة السرد اتسمت ببساطة التركيب والسهولة والمتانة.

ثالثاً: الصنعة

تمهيد

---

(١) عالية محمود صالح، البناء السردي، الطبعة الأولى، أزمنة للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٥، ص٤٥.
(٢) الجوذري، أبو علي منصور العزيزي، المرجع السابق، ص٥١.
(٣) سورة الحج، الآية رقم (٤٦).
(٤) سورة التغابن، الآية رقم (٦).
(٥) الجوذري، أبو علي منصور العزيزي، المرجع السابق، ص٣٦.

لقد اهتم كتاب النثر في العهد الفاطمي باستخدام صور البلاغة (التشبيه، الكناية، الاستعارة) وتوظيفها في كتاباتهم، وكذلك تنوعت المحسنات البديعية لديهم ما بين سجع، جناس، طباق، موازنة؛ لذا ستتبع الدراسة مواطن الجمال الفني في نصوص الفاطميين النثرية وتكشف قدرة أصحابها على توظيفها وتوسيع دلالتها وإيصالها للمتلقي.

أولاً: السجع

له دور مهم في إعطاء النثر (الرسائل، الخطب، المذكرات، السير) جرساً جميلاً، ويدفع المتلقي إلى استكمال الاستماع للنصّ والسجع هو "تواطؤ الفواصل في الكلام المنثور على حرف واحد"[١] واشترط ابن الأثير في السجع "أن تكون ألفاظه حلوة حارة طنانة رنانة لا غاثة ولا باردة"[٢]. وقد أشار إليه العسكري بأنه يجب أن يكون سهلاً منساباً غير متكلف يقول: "فكلّ هذا يؤذن بفضيلة السجع على شرط البراءة من التكلف والخلو من التعسف"[٣].

ولقد اهتم كتاب العهد الفاطمي في المغرب العربي بالسجع وزينوا به خطبهم ورسائلهم ومذكراتهم وسيرهم فالسجع مهم للنثر كأهمية القافية للشعر فهو يعطي جرساً موسيقياً جميلاً، وتلك الموسيقى تأتي من التوافق بين الألفاظ المسجوعة ومن أمثلة السجع في العهد الفاطمي

---

(١) القزويني، محمد جلال الدين، الإيضاح في علوم البلاغة، تعليق محمد خفاجي، الجزء الثاني، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧٥، ص٥٤٧.

(٢) ابن الأثير، ضياء الدين نصر الله بن محمد، المثل السائر، تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانة، الطبعة الثانية، الجزء الأول، دار النهضة، القاهرة، ص١٩٧.

(٣) أبو هلال، الصناعتين، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥١، ص٢٦٠.

خطبة الخليفة المنصور "وارفعوا إلى الله فيه طلباتكم، واستغفروا لسيئاتكم، فاخلصوا فيه نياتكم"[١].

فقد ظهر السجع في نص الخطبة السابقة في الكلمات "طلباتكم، لسيئاتكم، نياتكم" ما بين حروف الألف والتاء والكاف والميم" وقد أعطت تلك السجعات جرساً موسيقياً جميلاً. ومن ذلك أيضاً خطبة الخليفة القائم بأهل المهدية "إن هذا اللعين النكاري قد استشرى شره، وحملته الأماني الغرارة، والنفس التي هي بالسوء أماره". يظهر السجع في الفقرة السابقة في الكلمات (شره، الغرارة، أماره) ما بين حروف الألف والراء والهاء، وهو يعطي جرساً يجذب انتباه السامع[٢].

ومن ذلك أيضاً رسالة من الخليفة المنصور إلى فروع كتامة "وأعز أولياءنا، وأذل أعداءنا"[٣] يظهر السجع في الفقرة السابقة في الكلمات (أولياءنا، وأعداءنا) ما بين حروف الألف والهمزة والنون" وهذا التنوع في السجعات يحدث جرساً جميلاً ويجذب الانتباه.

وكذلك أيضاً رسالة "الخليفة المنصور" إلى "الأستاذ جوذر" "بيوم كان أعز نصراً، وتأييداً وظفراً وقهراً بعد أن عاند الفسقة الكفرة الفجرة" تنوعت السجعات في الفقرة السابقة ما بين الراء والألف، والهاء في الكلمات الآتية (نصراً، تأييداً، ظفراً، قهراً، الكفره، الفجره" وهذا التنوع يحدث

---

(١) الداعي إدريس، عماد الدين، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب "عيون الأخبار"، تحقيق محمد اليعلاوي، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥، ص٣٤٠.

(٢) المصدر نفسه، الداعي إدريس، عماد الدين، ص٣١١.

(٣) المصدر نفسه، الداعي إدريس، عماد الدين، ص١٢٠.

جرساً موسيقياً لطيفاً يجذب انتباه السامع[١]. ومن ذلك أيضاً "اليوم ازداد الحقّ ضياء وعلاء وسناء[٢]" لحرفي الألف والهمزة في الفقرة السابقة لمسة إيقاعيّة تطرب النفس.

ومن ذلك أيضاً "ووضعت الحرب بحمد الله أوزارها، وأطفأ الله نارها، وأهلك مَنْ أثارها وفرّق الله أنصارها"[٣]. لقد تنوعت سجعات الفقرة السابقة ما بين حرف الألف والراء والهاء في الكلمات أوزارها، نارها، أثارها، أنصارها وقد لوحظ أن السجعات ساعدت على إظهار الجرس الصوتي الجميل، بلا تكلف، وبأنها تجعل المتلقي أكثر قرباً وتأثراً. فضلاً عن ذلك ترسيخ الفكرة وهي انتهاء الحرب وهلاك مسببيها وتفرّقهم.

ثانياً: الجناس

يسهم الجناس في تشكيل الإيقاع، والانسجام الصوتي الذي ينبع من التوافق الموسيقي بين الكلمات وهو من أهم فنون البلاغة المستخدمة وهو "تشابه لفظين في النطق واختلافهما في المعنى"[٤]. وعرّفه ابن المعتز في كتابه البديع بقوله: هو أن تجيء الكلمة تجانس أخرى في بيت شعر وكلام، ومجانستها لها أن تشبهها في تأليف حروفها على السبيل الذي ألف الأصمعي

---

(١) الداعي إدريس، عماد الدين، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب "عيون الأخبار"، تحقيق محمد اليعلاوي، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥، ص٣٨٣.

(٢) الجوذري، أبو علي منصور العزيزي، "سيرة الأستاذ جوذر"، تحقيق كامل حسين ومحمد عبدالهادي شعيره، دار الفكر العربي، مصر، ١٩٥٤، ص١١٦؛ وراجع الداعي إدريس، عماد الدين، المصدر السابق، ص٣٨١.

(٣) اليماني، محمد بن محمد، الحاجب جعفر بن علي "وخروج الإمام المهدي من سلمية ووصوله إلى سجلماسة وخروجه منها إلى رقادة"، دار الغدير للطباعة والنشر، ٢٠٠٩، ص٩٨؛ وراجع الداعي إدريس، عماد الدين، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب "عيون الأخبار"، تحقيق محمد اليعلاوي، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥، ص١٢٠.

(٤) القزويني، محمد جلال الدين، الإيضاح في علوم البلاغة، تعليق محمد خفاجي، دار الكتاب اللبناني، الطبعة الرابعة، بيروت، ١٩٧٥، ص٥٣٥؛ وراجع أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، الطبعة (١٢)، دار إحياء التراث، بيروت، ص٣٩٦.

كتاب الأجناس عليها"[١]. أما عبدالقاهر الجرجاني فإنه ينظر إلى التجنيس من الناحية الجمالية التي يحققها في إطار النظم وتلاءم اللفظ والمعنى، حيث يظهر وجه الاستحسان فيه يقول: "أما التجنيس فإنك لا تستحسن تجانس اللفظتين إلاّ إذا كان موقع معنييهما من العقل موقعاً حميداً، ولم يكن مرمى الجامع بينهما مرمى بعيداً"[٢] وقد عرّفه أبو هلال العسكري بأنه "يورد المتكلّم كلمتين تجانس كل واحدة منها الأخرى"[٣]. ومن أقسام الجناس: الجناس التام "وهو ما اتفق فيه اللفظان المتجانسان في أربعة أشياء: نوع الحروف وعددها وهيئاتها وترتيبها مع اختلاف في المعنى"[٤]. أما الجناس غير التام فهو "ما اختلف فيه اللفظان في واحد من نوع الحروف أو عددها أو هيئتها أو ترتيبها"[٥] وقد أشار إليه أبو هلال العسكري حيث قال: "ومن التجنيس ضرب آخر وهو أن تأتي بكلمتين متجانستي الحروف، إلاّ أن في حروفها تقديماً وتأخيراً" وهذا ما يحقق الجمالية الفنية، إذا التكرار هنا في الكلمة يأخذ شكلاً مختلفاً من حيث بناء الكلمة والتلاعب في عدد وشكل حروفها تقديماً وتأخيراً. ومن أمثلته في العهد الفاطمي خطبة الخليفة القائم بأهل المهدية "فصرتم تَغْزون بعد أن كنتم تُغزون" فجانب الكاتب جناس تام بين كلمتي تَغْزون وتُغْزَون، وقصد بالأولى أنهم هم مَنْ يعزو على أعدائهم وقصد بالثانية أنّ أعداءهم كانت هي التي تغزوهم[٦].

---

(١) ابن المعتز، أبو العباس عبدالله بن محمد، البديع في البديع، الطبعة الثالثة، دار المسيرة، بيروت، ١٩٨٢، ص٢٥.

(٢) الجرجاني، عبدالقاهر، أسرار البلاغة، تقديم محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، د.ت، ص٧.

(٣) العسكري، أبو هلال، الصناعتين، تحقيق علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥١، ص٣٢١.

(٤) المصدر نفسه، أحمد الهاشمي، ص٣٩٦.

(٥) أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، الطبعة ١٢، دار إحياء التراث، بيروت، ص٣٩٧.

(٦) الداعي إدريس، عماد الدين، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب "عيون الأخبار"، تحقيق محمد اليعلاوي، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥، ص٣١١.

ومن ذلك أيضاً من سيرة "الأستاذ جوذر" "وأخفوا أسماءهم وأنسابهم لعظم المحنة والبلية، خيفة وخفية من عدوهم"[١]. فجانس الكاتب جناس غير تام بين كلمتي خيفة وخفية وقصد بالأولى الخوف وفي الثانية العمل بالخفاء وبالجناس يعطي الكلمات جرساً موسيقياً جميلاً يحفز المتلقي ليشغل ذهنه ليفرق بين كل من الكلمتين، وماذا قصد بهذه الكلمة وماذا قصد بالثانية[٢].

ومن ذلك أيضاً من خطبة الخليفة القائم "ومن يرجى صلاحه وقيامه إلى ما هو أعود نفعاً عليه في دينه ودنياه" فجانس الكاتب جناس غير تام بين كلمتي دينه ودنياه وقصد بالأولى العقيدة وفي الثانية الحياة الدنيا[٣].

وهكذا يتبين لنا أن الجناس أضفى انسجاماً وتناسباً وتآلفاً صوتياً على الكلمات وأثرى المعنى فضلاً عن الجرس الموسيقي الذي يطرب السامع.

---

(١) الجوذري، أبو علي منصور العزيزي، "سيرة الأستاذ جوذر"، تحقيق كامل حسين ومحمد عبدالهادي شعيره، دار الفكر العربي، مصر، ١٩٥٤، ص١١٧.

(٢) المصدر السابق، الداعي إدريس، عماد الدين، ص٢٤٧.

(٣) المصدر السابق، الداعي إدريس، عماد الدين، ص٢٥٠.

ثالثاً: الطباق

يولد الطباق جرساً موسيقياً لاسيما إذا كان قد ورد بشكل عفوي، والطباق هو "الجمع بين الشيء وضده"[١] أو "الجمع بين لفظين متقابلين في المعنى"[٢]، "ويكون ذلك في اسمين أو فعلين"[٣]. ويرى حازم القرطاجني أهمية كبيرة للتخالف في التشكيل الجمالي لما له من إضافات دلالية وشكلية مثله مثل التشابه والتماثل يقول: "وكلما كانت المتماثلات أو المتشابهات أو المتخالفات قليلاً وجودها وأمكن استيعابها مع ذلك أو استيعاب أشرفها وأشدها تقدماً في الغرض الذي ذكرت من أجله النفوس بذلك أشد إعجاباً وأكثر له تحركاً"[٤]. ويقول ابن رشيق القيرواني: "المطابقة عند جميع الناسك جمعك بين الضدين في الكلام أو بيت الشعر"[٥]. أما قدامة بن جعفر فيسميه التكافؤ ويعرفه "هو أن يصف الشاعر شيئاً أو يذمه ويتكلم فيه أي معنى كان فيأتي بمعنيين متكافئين"[٦].

والطباق يزيد الكلام رونقاً وجمالاً ويشدّ انتباه المتلقي فضلاً عن ذلك يوضّح المعنى ويؤكده، ومن أمثلة الطباق في كتابات الفاطميين خطبة الخليفة المنصور "اللهم انصر جيوشنا

---

(١) العسكري، أبو هلال، الصناعتين، تحقيق مفيد قميحة، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٤، ص٣٩٩.

(٢) أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، الطبعة ١٢، دار إحياء التراث، بيروت، ص٣٦٦.

(٣) القزويني، محمد بن عبدالرحمن جلال الدين، علوم البلاغة، تعليق محمد خفاجي، الطبعة الرابعة، الجزء الثاني، دار الكتاب، بيروت، ١٩٧٥، ص٤٧٧.

(٤) حازم القرطاجني، أبو الحسن بن محمد بن حسن، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب، دار الغرب الإسلامي، القاهرة، د.ت، ص٤٦.

(٥) ابن رشيق القيرواني، أبو علي الحسن القيرواني، العمدة في محاسن الشعر ونقده، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحمد، الجزء الثاني، دار الجيل، بيروت، د.ت، ص٥.

(٦) قدامة بن جعفر، أبو الفرج بن قدامة بن زياد البغدادي، نقد الشعر، تحقيق محمد عبدالمنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ص١٤٧.

وسرايانا في مشارق الأرض ومغاربها وبرها وبحرها، وسهلها وجبلها وأهل معاصيك من الأولين والآخرين"[١].

فقد طابق الكاتب بين (مشارق ومغاربها)، وبين (برها وبحرها) وبين (سهلها وجبلها) وبين (الأولين والآخرين)، وهذا الطباق يشد انتباه المتلقي فضلاً عن الموسيقى التي يحدثها وكذلك يساعد على إظهار الأحوال النفسية عند الكاتب.

ومن ذلك أيضاً خطبة المعز "وما أصبحتم فيه من العز بعد الذل، والأمن بعد الخوف والطمأنينة بعد الروع، والاجتماع بعد الفرقة والدعة بعد شدة المحنة"[٢]. فقد طابق الكاتب بين كلمتي (الذل والعز)، وبين (الأمن والخوف) وبين (الطمأنينة والروع) وبين (الاجتماع والفرقة) وبين (الدعة والشدة) وقد وضح الكاتب هذا المعنى وأكده في نفوس المتلقين فضلاً عن الموسيقى التي أحدثها هذا الطباق وأثرها في نفوس المتلقين. ومن ذلك أيضاً على سبيل المثال لا الحصر رسالة المنصور إلى فروع كتامة: "وأعزّ أولياءنا، وأذلَ أعداءنا"[٣] وهذا يظهر الطباق بين كلمتي (أعزّ أذلَ) وبين (أولياءنا وأعداءنا) وقد عمل الطباق في هذه الرسالة على توضيح المعنى وتأكيده وشد انتباه المتلقي.

ومن ذلك أيضاً من سيرة الأستاذ جوذر: "فما يحاول أمير المؤمنين عسيراً والحمد لله إلاّ يسره ولا صعباً إلاّ ذلله ولا وعراً إلاّ سهله خاصمهم بوجه الحق وسبيل العدل، فمالت إليه قلوب

---

(١) الداعي إدريس، عماد الدين، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب "عيون الأخبار"، تحقيق محمد اليعلاوي، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥، ص٢٠٢.

٣) الداعي إدريس، عماد الدين، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب "عيون الأخبار"، تحقيق محمد اليعلاوي، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥، ص٣٨٣.

الخاصة والعامة"[١] وغيرها الكثير فقد طابق الكاتب بين كلمتي (عسيراً، يسره) وبين (صعباً، ذلله) وبين (وعراً، سهله) وبين (الخاصة، العامة) وهذه المتناقضات منحت الكتابة جرساً موسيقياً جميلاً، ويؤدي إلى توضيح المعنى وتأكيده، ومما يساعد على إعطاء الجرس الموسيقي في الطباق وجود بعض الكلمات المتطابقة والتي تتفق فيما بينها في الوزن والقافية كالخاصة والعامة فهذا أيضاً يساعد على إظهار الجرس الموسيقي.

رابعاً: الموازنة

تعدّ من المحسنات اللفظية التي تستخدم لإعطاء الكلام رونقاً وجمالاً وهي: "تساوي الفاصلتين في الوزن"[٢] وعرّفها ابن الأثير بقوله: "أن تكون ألفاظ الفواصل من الكلام المنثور متساوية في الوزن، وأن يكون صور البيت الشعري وعجزه متساوي الألفاظ وزناً[٣] وقد اعتبرها العسكري من وجوه السجع يقول: "ومن وجوه السجع أن يكون الجزآن متوازيين متعادلين، لا يزيد أحدهما على الآخر، مع اتفاق الفواصل على حرف بعينه"[٤] ومن وجوه الموازنة أيضاً عند العسكري "أن تكون الأجزاء متعادلة، وتكون الفواصل على أحرف متقاربة المخارج إذا لم يمكن أن تكون من جنس واحد"[٥] والموازنة تعطي جرساً موسيقياً جميلاً وتجذب انتباه السامع وقد استخدمها كتاب العهد الفاطمي في نثرهم لما لها من إيجاد إيقاع موسيقي جميل وفضلاً عن ذلك توضّح المعنى وتشدّ انتباه القارئ وتبعد عنه الملل ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر من

---

(١) الجوذري، أبو علي منصور العزيزي، "سيرة الأستاذ جوذر"، تحقيق كامل حسين ومحمد عبدالهادي شعيره، دار الفكر العربي، مصر، ١٩٥٤، ص١١٨.

(٢) السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٣، ص٤٠٥.

(٣) ابن الأثير، علي بن محمد، المثل السائر، تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانة، الجزء الأول، دار نهضة مصر، القاهرة، د.ت، ص٢٥٨.

(٤) العسكري، أبو هلال، الصناعتين، تحقيق مفيد قميحة، الطبعة الثانية، دار الكتب، بيروت، ١٩٨٤، ص٢٦٢.

(٥) المصدر السابق، العسكري، ص٢٦٢.

"سيرة الأستاذ جوذر": "وجالت الخيل جولة وعادت كرة بعد كرة عليهم، طعناً بالرماح وضرباً بالسيوف ورشقاً بالسهام"[١]. والموازنة في النص السابق بين التراكيب (طعناً بالرماح) و(ضرباً بالسيوف) (ورشقاً بالسهام) ولم تكن متكلفة بل سهلة واضحة مساهمة في إبراز المعنى بصورة مؤثرة.

ومن ذلك أيضاً من "سيرة الحاجب جعفر" وطب نفساً وقر عيناً، فو الذي نفسي بيده لأملكن وليملك ولدي كثير من ممالك بني العباس"[٢]. الموازنة في الفقرة السابقة بين التراكيب "وطب نفساً وقر عيناً" وهذه الموازنة تجذب انتباه المتلقي وتعطي نغماً موسيقياً جميلاً.

ومن ذلك أيضاً ما ذكره الحاجب جعفر في مذاكرته: "فأمر لهم بالطعام فأطعموا، ووعظهم وأسمعهم ووعدهم بكل فائدة من عاجل الدنيا وآجل الآخرة"[٣]. الموازنة ظاهرة في (عاجل الدنيا، وآجل الآخرة) ولم تكن متكلفة وساهمت في إبراز المعنى بصورة جميلة ومؤثرة.

خامساً: التشبيه

التشبيه فن من فنون البلاغة ويدل على سعة الخيال وجمال التصوير وهو "عقد مماثلة بين أمرين أو أكثر، قصد اشتراكهما في صفة أو أكثر بأداة لغرض يقصده المتكلم"[٤]. وعرّفه القزويني بأنه "الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى"[٥] أما العسكري فيقول: "إن التشبيه يزيد يزيد المعنى وضوحاً ويكسبه تأكيداً، لهذا اتفق عليه جميع المتكلمين من العرب والعجم ولم

---

(١) الجوذري، أبو علي منصور العزيزي، "سيرة الأستاذ جوذر"، تحقيق كامل حسين ومحمد عبدالهادي شعيره، دار الفكر العربي، مصر، ١٩٥٤، ص١٣٨.

(٢) اليماني، محمد بن محمد، الحاجب جعفر بن علي "وخروج الإمام المهدي من سلمية ووصوله إلى سجلماسة وخروجه منها إلى رقادة"، دار الغدير للطباعة والنشر، ٢٠٠٩، ص١٤٨.

(٣) المصدر نفسه، اليماني، محمد بن محمد، ص١٥٨.

(٤) أحمد الهاشمي، جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، مؤسسة المعارف، بيروت، ص٢٤٧.

(٥) القزويني، محمد جلال الدين، الإيضاح في علوم البلاغة، تعليق محمد خفاجي، دار الكتاب اللبناني، الطبعة الرابعة، بيروت، ١٩٧٥، ص٣٢٨.

يستغن أحد منهم عنه"[١]. أما طباطبا فقد وضّح ضروب التشبيه يقول: والتشبيهات على ضروب مختلفة، فمنها تشبيه الشيء بالشيء صورة وهيئة، ومنها تشبيه به معنى، ومنها تشبيه به حركة وبطئاً وسرعة، ومنها تشبيه به لوناً، ومنها تشبيه به صوتاً"[٢] أما أبو هلال العسكري فقد عرّفه بأنه "الوصف بأن أحد الموصوفين ينوب مناب الآخر بأداة التشبيه"[٣] وقد استخدم الكتاب في العهد الفاطمي التشبيه لأهميته في إبراز المعنى وتوضيحه مع إعطائه نوعاً من التوكيد ومنه على سبيل المثال لا الحصر في كتب الحاجب جعفر في مذكراته: "ووقف القائم بالله عند يمينه متقلداً سيفاً ملتصقاً بالسرير كالبدر عند تمامه"[٤]. فقد شبه الكاتب في الفقرة السابقة القائم بالبدر عند تمامه من شدة جماله وبهائه.

ومن ذلك أيضاً: "خليفتك عبدالله أبي محمد الإمام المهدي بالله أمير المؤمنين شمس الورى وبدر الدجى وكاشف الضياء" فالكاتب يشبه الخليفة المهدي بالشمس التي تشرق على الناس وبالبدر الذي ينير الدجى وبالضياء الذي يعم الكون والتشبيه بليغ فقد حذف الكاتب أداة التشبيه لقوة الشبه من المشبه والمشبه به والكاتب في الفقرة السابقة راعى المكانة الاجتماعية التي يتمتع بها الممدوح وأحسن اختيار التشبيه. ومن ذلك أيضاً قال الأستاذ جوذر: "مولانا أمير المؤمنين القمر الزاهر والنور الباهر"[٥].

---

(١) العسكري، أبو هلال، الصناعتين، تحقيق علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥١، ص٢٦٥.

(٢) ابن طباطبا محمد أحمد العلوي، عيار الشعر، تحقيق عباس عبدالساتر، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥، ص٢٣.

(٣) مصدر سابق، العسكري، ص٢٣٩.

(٤) اليماني، محمد بن محمد، الحاجب جعفر بن علي "وخروج الإمام المهدي من سلمية ووصوله إلى سجلماسة وخروجه منها إلى رقادة"، دار الغدير للطباعة والنشر، ٢٠٠٩، ص١٣٠.

(٥) المصدر نفسه، اليماني، محمد بن محمد، ص١٦٠.

فقد شبه الكاتب الأمير بالقمر والنور تشبيهاً بليغاً على سبيل المدح والتعظيم ولم تكن هذه التشبيهات زركشة مزوقة للنص فحسب لكنها تعكس مشاعر كاتبها، ففي قلب الأستاذ جوذر حب كبير للأمير كما ذكرت المصادر التاريخية ومن ذلك أيضاً "فرمى أبا عبدالله الشيعي وكأنما كان سراجاً فانطفأ"[1] فقد شبه الكاتب مقتل أبي عبدالله الشيعي بالسراج الذي انطفأ وذلك لإيجاز المعنى وتوكيده وتوظيفه لخلق صورة في ذهن المتلقي والتأثير فيه وهكذا فإن التشبيهات كانت نتيجة لقناعات داخلية وقد تفاعلت كتاباتهم مع عواطفهم وأظهروها في صورهم الفنية.

(1) اليماني، محمد بن محمد، الحاجب جعفر بن علي "وخروج الإمام المهدي من سلمية ووصوله إلى سجلماسة وخروجه منها إلى رقادة"، دار الغدير للطباعة والنشر، ٢٠٠٩، ص١٦٢.

سادساً: الكناية

تعدّ الكناية مظهراً من مظاهر البلاغة ولا يدركها إلاّ صاحب الطبع اللطيف فهي تقدّم الحقيقة بصورة جديدة ولها وقع مميز في نفوس الملتقين وهي "إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، لكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود"[١] وهي من العناصر التي يلجأ إليها الكاتب لتشكيل صورته وتدل على ذكائه وفطنته وقد وظفها الفاطميون في نثرهم من مثل خطبة المنصور "فتربصتم وتثاقلتم إلى الأرض"[٢] كناية عن تخاذلهم في القتال. ومن ذلك أيضاً "ورضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة، وبالعاجلة من الآجلة". لأنهم لم يتلزموا بما أمر الله به وسوء أخلاقهم فلم يفصح الكاتب عما يجول في ذهنه وجعل المتلقي يقف على فهم المراد من العبارة[٣].

ومن ذلك أيضاً رسالة الخليفة القائم إلى جماعة "لهيصة"[٤] "فتثاقلتم عن القدوم، وتربصتم عما لكم في الحظ الجسيم لدينكم ودنياكم"[٥]. كناية عن تقصيرهم في أعمالهم وبعدهم عن حقوق الدين والدنيا وتعدّ الكناية أبلغ من الإفصاح "فالكناية أبلغ من الإفصاح[٦] "فهي تجعل

---

(١) الجرجاني، عبدالقاهر، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود شاكر، الطبعة الثالثة، مطبعة المدني، ١٩٩٢، ص٦٦.

(٢) الداعي إدريس، عماد الدين، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب "عيون الأخبار"، تحقيق محمد اليعلاوي، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥، ص٣٨٣.

(٣) المصدر نفسه، الداعي إدريس، عماد الدين، ص٣٨٣.

(٤) لهيصة بطن من بطون كتامة راجع الداعي إدريس، عماد الدين، المصدر نفسه، ص٣٠٣.

(٥) المصدر نفسه، الداعي إدريس، عماد الدين، ص٣٠٣.

(٦) القزويني، محمد بن عبدالرحمن جلال الدين، علوم البلاغة، تعليق محمد خفاجي، الطبعة الرابعة، الجزء الثاني، دار الكتاب، بيروت، ١٩٧٥، ص٤٦٨.

المتلقي يقف على فهم المراد مع جعل الباب مفتوحاً لاحتمالية معانٍ أخرى للعبارة ذاتها "ومن شروطها قرب فهم المعنى الثاني من أجل الحقيقة"[١]. ومن ذلك أيضاً "نحمد الله على النعم التي غمرت رعاياه"[٢] كناية عن كثرة النعم وهكذا فالكناية تتطلب الفطنة من الكاتب ليحسن الاستخدام ومن المتلقي ليحسن الفهم وقد لوحظ استخدامها في العهد الفاطمي استخداماً جيداً لتأكيد المعنى وإعمال العقل وتشغيل مداركه وعلى زيادة الصورة وضوحاً وجمالاً.

سابعاً: الاستعارة

تعدّ الاستعارة أهم فنون البلاغة وأحد أهم أركان التعبير عن المشاعر وهي "استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة بين المعنى المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه مع قرينة صارفة عن إرادة المعنى الأصلي"[٣]. وهي "نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض"[٤]. ويعرّفها عبدالقاهر الجرجاني بأنها "إنما الاستعارة ما اكتفي فيها بالاسم المستعار عن الأصل، ونقلت العبارة فجعلت في مكان غيرها، وملاكها تقريب الشبه ومناسبة المستعار له للمستعار منه وامتزج اللفظ بالمعنى حتى لا يوجد منافرة، ولا يتبين في أحدهما إعراض عن الآخر"[٥].

---

(١) القزويني، محمد بن عبدالرحمن جلال الدين، علوم البلاغة، تعليق محمد خفاجي، الطبعة الرابعة، الجزء الثاني، دار الكتاب، بيروت، ١٩٧٥، ص٤٥٦.

(٢) الداعي إدريس، عماد الدين، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب "عيون الأخبار"، تحقيق محمد اليعلاوي، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥، ص٢٥٤.

(٣) أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، الطبعة ١٢، دار إحياء التراث، بيروت، ص٣٠٣.

(٤) العسكري، أبو هلال، الصناعتين، تحقيق مفيد قميحة، الطبعة الثانية، دار الكتب، بيروت، ١٩٨٤، ص٢٩٥.

(٥) القاضي الجرجاني، أبو الحسن علي بن عبدالعزيز، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق محمد أبو الفضل وعلي محمد البجاوي، الطبعة الأولى، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٦، ص٤٥.

وتعمل الاستعارة على شرح المعنى وإبانته أو تأكيده والمبالغة فيه فهي "تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ حتى تخرج من الصدفة الواحدة، عدد من الدرر، وتجني من الغصن الواحد أنواع من الثمر"[١].

والاستعارة في نثر الفاطميين نوعان مكنية وتصريحيّة والاستعارة المكنية هي "ما اختفى فيها لفظ المشبه به واكتفى بذكر شيء من من لوازمه دليلاً عليه"[٢]، أما الاستعارة التصريحية فهي "ما صرح فيها بلفظ المشبه دون المشبه"[٣].

ومن نماذج الاستعارات في نثر الفاطميين في المغرب العربي بعضاً من رسالة الخليفة المنصور إلى جوذر "الدلالة على شرف أنفسنا وعلو همتنا وسخاء قلوبنا".

شبه الكاتب النفس بالإنسان الشريف وحذف الإنسان وأبقى شيء من لوازمه وكذلك شبه القلب بالإنسان السخي فحذف الإنسان وأبقى شيء من لوازمه على سبيل الاستعارة المكنيّة[٤].

ومن ذلك أيضاً فقرة من خطبة للخليفة المنصور: "وعاد الإسلام غضاً ناضراً والدين مضيئاً والحق مشرقاً زاهراً"[٥] وقد شبه الإسلام بالشجرة المثمرة وحذف الشجرة وأبقى شيء من

---

(١) الجرجاني، عبدالقاهر الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، تحقيق محمد الإسكندراني، الجزء الأول، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٦، ص٤١.

(٢) أحمد مطلوب، معجم مصطلحات البلاغة، مكتبة لبنان، لبنان، ٢٠٠٠، ص٨٨.

(٣) إنعام عكاوي، المعجم المفصل في علوم البلاغة، الطبعة الثالثة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦، ص١٠١.

(٤) الجوذري، أبو علي منصور العزيزي، "سيرة الأستاذ جوذر"، تحقيق كامل حسين ومحمد عبدالهادي شعيره، دار الفكر العربي، مصر، ١٩٥٤، ص٦١.

(٥) الداعي إدريس، عماد الدين، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب "عيون الأخبار"، تحقيق محمد اليعلاوي، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥، ص٤٣٠.

صفاتها وشبه الدين بالسراج المنير فحذف السراج وأبقى شيء من صفاته وشبه الحقّ بالشمس المشرقة فحذف الشمس وأبقى شيء من صفاتها على سبيل الاستعارة المكنيّة.

ومن ذلك أيضاً رسالة المعز: "فمنعت حرمته وصنتها وأسدلت ستر العافية عليها احتساباً بالثواب لله"[١] شبه العافية بالثوب فحذف المشبه به وأبقى شيء من لوازمه الستر على سبيل الاستعارة المكنية ومن ذلك أيضاً رسالة الخليفة المعز إلى الأستاذ جوذر "ولكننا لم نجد في باب العتق أزكى عملاً ولا أقرب قرباناً عند الله من عتق رقبة مؤمنة طاهرة زكية مثلك"[٢].

والمقصود بعتق رقبة تحرير العبد المملوك وهو على سبيل المجاز المرسل من باب إطلاق الجزء وإرادة الكل والسبب في ذلك أن العبد أذلت رقبته معنوياً بالرق ومادياً بكثرة العمل.

ومن ذلك أيضاً ما كتبه الخليفة المعز إلى الأستاذ جوذر: "ألم ينصر الحق على قلة أنصاره وخذل الباطل على كثرة أعوانه"[٣] فقد شبه المؤمنين بالحق والكافرين بالباطل فحذف المشبه وصرح بالمشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية من خلال الاستعارات السابقة وغيرها الكثير وجودت أنها أبلغ بكثير من الحقيقة وقد ظهرت في كتابات الفاطميين بشكل أدبي بعيد عن التكلف أو الإفراط فيه، ولم تستخدم للزركشة والتزويق بل عكست مشاعر كاتبها.

يتبيّن مما سبق اهتمام الفاطميين في المغرب العربي بتلك الفترة باستخدام صور البلاغة الاستعارة، التشبيه، الكناية وتوظيفها في كتاباتهم، وقد أضفت على كتاباتهم رونقاً وجمالاً وإيقاعاً

---

(١) الداعي إدريس، عماد الدين، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب "عيون الأخبار"، تحقيق محمد اليعلاوي، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥، ص١٦٥.

(٢) المصدر نفسه، الداعي إدريس، عماد الدين، ص٤٤٤.

(٣) الداعي إدريس، عماد الدين، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب "عيون الأخبار"، تحقيق محمد اليعلاوي، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥، ص٤٤٥.

يؤثر في المتلقي ويلاحظ أن الكثير من الصور الفنية عند الفاطميين مستوحاة من البيئة وما يراه الكتاب بالإضافة على امتلاكها للعاطفة القوية. وتنوعت كذلك المحسنات البديعية في كتاباتهم السجع، الجناس، الطباق وقد استخدمت بعيداً عن التكلف والتصنع وأحدثت وقعاً جمالياً في كتاباتهم وإيضاحاً في المعنى.

الخاتمة

بعد دراسة مستفيضة لحركة النثر العربي في العهد الفاطمي في المغرب العربي، فقد خلصت الباحثة إلى النتائج الآتية:

- ثمة مؤثرات سياسية واجتماعية وثقافية في النثر الفني الفاطمي في المغرب العربي فمن الناحية السياسية استطاع الفاطميون إحداث تغييرات سياسية في الفترة (٢٦٠هـ-٣٧٠هـ) فقد نجح الفاطميون في إقامة دولتهم في المغرب العربي ونشر الدعوة الإسماعيلية واتخاذ التشيع مذهباً رسمياً لهم.

- جعل الفاطميون الإقرار لمذهبهم والخضوع له جزءاً من الولاء وهكذا طبع الفاطميون الحياة بطابعهم؛ لتحقيق أهدافهم السياسية والمذهبية.

- أما من الناحية الاجتماعية استغلت الدولة الفاطمية التباين والتنوع والعصبيات في المجتمع المغربي؛ لتحقيق أهدافها السياسية والمذهبية.

- أفرزت الطبقية في المجتمع الفاطمي ظهور مستويين اجتماعيين فهناك فئة مرفهة من الخلفاء والأمراء والقضاة وكبار التجار وأحياناً الجند وهناك فئة مسحوقة تعاني الفقر والحرمان من الفلاحين والفقراء.

- كان للمذهب الفاطمي آثاره على الحياة العامة وعقائد الناس وعاداتهم فقد ظهرت بعض المظاهر الاجتماعية مثل الاعتقاد بفكرة ظهور المهدي المنتظر.

- أما من الناحية الثقافية فقد ازدهرت الثقافة العلمية والأدبية فضلاً عن الثقافة المذهبية التي تتصل بالدعوة الإسماعيلية كالفقه والتفسير.

- نشطت الثقافة في عهد الخليفة المعز لدين الله الفاطمي؛ وذلك لأنه كان يعتقد أن النهضة العلمية يجب أن تكون على أيدي بيت رسول الله.

- أنشأ الفاطميون المكتبات المفعمة بمئات الألوف من الكتب وبخطوط مؤلفيها.

- انتشرت في ذلك العهد حركة تحبيس الكتب ويدلنا على ذلك الكتب والمصاحف الكثيرة من مخطوطات ذلك العصر.

- أفسح الفاطميون صدورهم للعلماء المغاربة وسمحوا لهم بالتعليم في المساجد وأغدقوا عليهم الهبات.

- نشط التأليف في العهد الفاطمي نشاطاً كبيراً من خلال متابعة الخلفاء الفاطميين أنفسهم للتأليف، فألفت كتب في شتى فروع الآداب والعلوم المختلفة.

- واكب النثر الفني مختلف جوانب الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية وكشف عن صورة ذلك العصر في تلك الفترة في مختلف النواحي السياسية والاجتماعية والثقافية.

أما الفنون النثرية (الخطابة، الرسائل، السير، المذكرات) في العهد الفاطمي في المغرب العربي فيمكننا القول:

- إن الخطابة بأنواعها السياسية والدينية والاجتماعية قد تداخلت في بعضها وأن الفاطميين اتخذوا من الخطابة منبراً لدعايتهم المذهبية وإثبات أحقيتهم في الخلافة.

- أما الخطابة السياسية فقد كان لها نصيب الأسد وتليها الخطابة الدينية لأنها وظفت لخدمة أغراضهم السياسية والمذهبية أما الخطابة الاجتماعية فلم تخل أيضاً من الدعوة لأغراضهم السياسية وأحقيتهم في الخلافة.

- تضمنت الخطابة شتى الموضوعات والمضامين فمن ألوان الخطابة السياسية خطب الإصلاح والطاعة والتوجيه وخطب التحريض وخطب التقريع.

- أما الخطابة الدينية فمن ألوانها خطب العيدين وخطب الجمعة وخطب مواسم الحج أما خطب الوعظ والإرشاد فلم تجد لها الباحثة خطباً مستقلة وإنما جاءت في بوابة الخطب وخلالها غالباً وعلى اختلاف أنواع الخطب وموضوعاتها.

- أما الخطب الاجتماعية فمن ألوانها خطب التراحم والولاء والإصلاح بين الناس وخطب التهنئة والتكريم وخطب الشكر.

- اشتملت الخطابة على موضوعات شتى ومرد هذا التنوع إلى طبيعة الظروف التي أنشئت في ظلها هذه الخطب فلونت مضامينها وحددت أشكالها.

- حفلت جميع خطب الفاطميين بالمعاني والمضامين التي تؤكد على ضرورة موالاة الفاطميين فالإيمان لا يتم إلاّ بموالاتهم والإمام هو الوالي بعد رسول الله وهو حاكم معصوم عن الخطأ.

- صدرت معظم الخطب باختلاف أنواعها ومضامينها في ذلك العهد عن الخلفاء والولاة الفاطميين.

وأما الرسائل فقد خلصت الباحثة إلى النتائج الآتية:

- تعدد أشكال الرسائل ومضامينها في ذلك العهد وشملت نوعين: إخوانية وديوانية.
- أما الرسائل الديوانية فمن ألوانها رسائل الحض على الجهاد والدعوة إلى الطاعة ورسائل انتقال الخلافة ورسائل العهود المواثيق ورسائل أخبار الفتوح ووصف المعارك.
- أما الرسائل الإخوانية فقد تضمنت رسائل العتاب والشكوى ورسائل الشكر والمنح ورسائل التعزية.
- أما الرسائل الديوانية في العهد الفاطمي فهي وسيلة مهمة من وسائل الاتصال في ذلك العهد، واعتمدها الخلفاء لمعالجة شؤون الدولة والرعية والحياة العامة.
- تعنى الرسائل الديوانية برسم السياسة العامة التي يجب أن يسلكها الولاة في معاملاتهم للرعية وإدارة شؤونهم وتنظيم أمورهم المختلفة.
- جاءت بعض الرسائل الديوانية صدى للصراعات التي ألمت بالمجتمع الفاطمي في تلك الفترة، وقد أصبحت هذه الرسائل وثائق تاريخية سياسية لها أهميتها في تصوير الأحداث.

أما السيرة فقد خلصت الباحثة إلى النتائج الآتية:

- نشط التأليف فيها نشاطاً كبيراً من خلال متابعة الخلفاء الفاطميين أنفسهم للتأليف وكان لكتب السيرة (الذاتية والغيرية) أهمية كبيرة تحدّثت عنها المصادر التاريخية ومن أشهر كتب السيرة "سيرة الأستاذ جوذر" و"سيرة المعز لدين الله الفاطمي"، "وسيرة جوذر الصقلي".

أما المذكرات فقد خلصت الباحثة إلى النتائج الآتية:

- لم تصل المذكرات بأصلها وكمالها وذلك يعود كما ترى المصادر التاريخية لسببين أولاهما: يعود إلى ما آلت إليه المكتبات الفاطمية وثانيهما إلى ما تستدعيه كتابة المذكرات من اعترافات وكشف خفايا ومن أشهر كتب المذكرات "استتار الإمام"، "والحاجب جعفر بن علي".

أما الخصائص الفنية للفنون النثرية فقد خلصت الباحثة إلى النتائج الآتية:

- اشتملت الخطابة في العهد الفاطمي في المغرب العربي على ذات العناصر في مقدِّماتها فقد بدأت خطبهم لاسيما السياسية والدينية بالبسملة والتشهد والحمدلة والصلاة والسلام على سيدنا محمد وتوظيف التناص الديني.

- تميّزت مقدمات الخطب بطولها فلم تقتصر الحمدلة على جملة واحدة بل يستطرد بحمد الله على نعمائه التي لا تعدّ ولا تحصى.

- خلت بعض الخطب من المقدمة لاسيما الخطب الاجتماعيّة كما جاءت في المصادر التاريخية.

- ترتبط مقدمات الخطب ارتباطاً عضوياً ببقية أجزاء الخطبة فهي ممهدة للموضوع وخادمة له أما العرض فيعد من العناصر الرئيسة في الخطبة لأنه يشتمل على القضية التي أنشئت من أجلها الخطبة.

- أما الخاتمة فقد تميزت بأنها تذكر أهم الأفكار التي تضمنتها الخطبة وفي أغلب الأحيان يستخدم التناص الديني في نهاية الخطب الدينية.

- تراوحت خطب الفاطميين بين الطول والقصر فقد تبيّن من خلال البحث أن الخطب التي وجهت إلى العامة تميّزت بالإطالة، وأن الخطب التي وجهت إلى الخاصة تميزت بالإيجاز والاختصار.

- أما الرسائل في ذلك العهد فقد تميزت بالدقة في عرض الأفكار وتنظيمها واستيفاء المعاني لاسيما الرسائل الديوانية التي كانت تصدر باسم الخليفة.

- تميزت رسائل الفتوح ووصف المعارك بأنها رسائل طويلة أشبه بالخطب تتضمن مقدمة وعرض وخاتمة وتكثر فيها التحميدات وتطول لتغدو مجالاً للدعوة الإسماعيلية وتأكيد حقهم في الخلافة لمنزلتهم من الرسول عليه السلام فهم أمناء الله على خلقه والحاملون للحق ويجب على الرعية الإخلاص لهم.

- من السمات البارزة في رسائل ذلك العهد ظاهرة الإطناب ومرد ذلك أن هذه السمة تتيح لمنشئ الرسالة تأكيد فكرته وتوضيحها.

- أما كتابة السير فقد حرصوا على سرد الأحداث والوقائع التي تسلط الضوء على ملامح الشخصيّة وكذلك مزجوا في الكتابة بين الأحداث الخاصة والأحداث التاريخية والسياسية.

- تميزت لغة السرد ببساطة التركيب والسهولة والمتانة.

- اعتمد كتاب السيرة على النقل المباشر للأحداث وعلى الوثائق والمشاهدات مما جعلهم موضوعيين في كتابة وإنجاز سيرهم بالرغم من اقترابها في بعض الأحيان من التاريخ ولاسيما السير الغيرية.

- أما كتابة المذكرات في تلك الفترة فقد نحى كتابها إلى السرد والتعليل والتوضيح وتميّز السرد بالموضوعيّة؛ وذلك لأن كتاب المذكرات في ذلك العهد كان لهم حظ في مراقبتهاا وملاحظتها ومعايشتها.

- ركز كتاب المذكرات في ذلك العهد على تصوير الوقائع والسرد المفصل الموثق والإكثار من الوصف.

- تميل لغة الكتابة في العهد الفاطمي إلى البساطة والإفهام والوضوح والابتعاد عن الحوشي والغريب مع جزالة الألفاظ ومتانة التركيب.

- راوح الفاطميون في العهد الفاطمي في المغرب العربي في أساليبهم بين الخبر والإنشاء.

- اهتم كتاب النثر في ذلك العهد باستخدام صور البلاغة وتوظيفها في كتاباتهم؛ لأنها تضفي على الكتابة إيقاعاً يؤثر في المتلقي، ولم تستخدم للزركشة أو التزويق بل عكست مشاعر كاتبها.

- تنوعت المحسنات البديعية بين السجع والجناس والطباق واستخدمت بعيداً عن التكلف والتصنع.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

١- القرآن الكريم.

٢- ابن الآبار، عبدالله محمد بن عبدالله القضاعي، **الحلة السيراء**، تحقيق: حسين مؤنس، الجزء الأول، دار المعارف، مصر، ١٩٨٥.

٣- ابن الأثير، علي بن محمد (ت٦٣٧هـ)، **الكامل في التاريخ**، الطبعة الأولى، الجزء الثامن، دار صادر، ١٩٨٧.

، **المثل السائر**، تحقيق أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، الجزء الأول، دار نهضة مصر، القاهرة، د.ت.

٤- إدريس، الداعي (ت٨٧٢هـ)، **تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب** ، تحقيق محمد اليعلاوي، الطبعة الأولى، الجزء الخامس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، د.ت.

٥- الإدريسي، محمد بن محمد بن عبدالله (ت٥٦٠هـ)، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ٢٠٠٢.

٦- ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبدالملك، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس (وعلمائهم ومحدثيهم، وفقائهم وأدبائهم)، تحقيق بشار عواد، الطبعة الأولى، الجزء الأول، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠١٠.

٧- البكري، أبو عبيدالله بن عبدالعزيز (ت١٠٩٤هـ)، **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب**، الجزء الثاني، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ١٩٩٢.

٨- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت٤٥٦هـ)، **جمهرة أنساب العرب**، الطبعة الرابعة، المجلد الأول، دار المعارف، ١٩٧٧.

٩- الحصيري، أبو إسحاق إبراهيم بن علي (ت٤١٣هـ)، **زهر الآداب وثمر الألباب**، الطبعة الرابعة، الجزء الثالث، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٢.

١٠- ابن حماد، محمد بن علي (ت٣٥١هـ)، **أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم**، تحقيق التهامي نقرة، وعبدالحليم عويس، دار الصحوة، القاهرة، د.ت.

١١- الحميري، أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن عبدالمنعم (ت٩٠٠هـ)، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق إحساب عباس، الطبعة الثانية، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ١٩٨٠.

١٢- ابن حنبل، أحمد بن هلال بن أسد الشيباني (ت. ٢٤١هـ)، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تحقيق شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد، الطبعة الأولى، الجزء الرابع والعشرون، مؤسسة الرسالة، د.ت.

١٣- الحنبلي، عبدالحي بن أحمد بن محمد (ت١٠٨٩هـ)، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تحقيق: محمود الأرناؤط، الجزء الثالث، دار بن كثير، بيروت، ١٩٨٦.

١٤- ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي الموصلي (ت٣٦٧هـ)، **صورة الأرض**، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٢.

١٥- الجاحظ، أبو عثمان عمر بن بحر الكناني (ت٢٥٥هـ)، **البيان والتبيين**، تحقيق عبدالسلام هارون، الطبعة السابعة، الجزء الأول، مكتبة الخانجي، مصر، ١٩٩٨.

١٦- الجرجاني، عبدالقاهر (ت٤٧١هـ)، **دلائل الإعجاز**، تحقيق محمود شاكر، الطبعة الثالثة، مطبعة المدني، ١٩٩٢.

، **أسرار البلاغة في علم البيان**، تحقيق محمد الإسكندراني، الجزء الأول، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٦.

١٧- ابن جلجل، أبو أيوب سليمان بن حسان (ت٣٩٩هـ)، **طبقات الأطباء والحكماء**، تحقيق فؤاد السيد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥.

١٨- الجوذري، أبو علي منصور العزيزي (ت٣٩٠هـ)، "**سيرة الأستاذ جوذر**"، تحقيق كامل حسين ومحمد عبدالهادي شعيره، دار الفكر العربي، مصر، ١٩٥٤.

١٩- الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد (ت٣٩٣هـ)، **الصحاح في اللغة والعلوم**، المجلد الأول، إعداد وتصنيف: نديم مرعشلي وأسامة مرعشلي، دار الحضارة العربية، بيروت، ١٩٧٤.

٢٠- ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيدالله بن عبدالله (ت٢٨٠هـ)، **المسالك والممالك**، دار صادر، بيروت، ١٩٨٩.

٢١- ابن الخطيب، لسان الدين (ت٦٨٣هـ)، **تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط**، دار الكتاب، تونس، ١٩٦٤.

٢٢- ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد (ت٨٠٨هـ)، **العبر وديوان المبتدأ أو الخبر**، الجزء الرابع، دار الكتاب العلمية، بيروت، د.ت.

، **مقدمة ابن خلدون**، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠١.

٢٣- ابن خلكان، شمس الدين أبو العباس (ت٦٨١هـ)، **وفيات الأعيان وأنباء وأبناء الزمان**، الجزء الأول، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧.

٢٤- ابن الدباغ، أبو زيد عبدالرحمن التنوخي (ت٦٩٦هـ)، **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، تعليق أبو القاسم بن عيسى، الجزء الثالث، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٥.

٢٥- الدرجيني، أبي العباس أحمد بن سعيد (ت٦٥٠هـ)، **طبقات المشايخ بالمغرب**، تحقيق إبراهيم طلاي، الجزء الأول، الجزائر، ١٩٧٤.

٢٦- الدشراوي، فرحات، **الخلافة الفاطمية بالمغرب**، ترجمة حمادي الساحلي، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٤.

٢٧- ابن أبي دينار، محمد بن أبي القاسم الرعيني، **المؤنس في أخبار تونس**، المكتبة العتيقة، تونس، ١٩٦٧.

٢٨- الذهبي، شمس الدين بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ)، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق شعيب الأرناؤوط، الجزء الثامن عشر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٢.

، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٧.

٢٩- الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر (ت٦٦٦هـ)، **مختار الصحاح**، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٦.

٣٠- ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد (ت٥٩٥هـ)، **تلخيص الخطابة**، تحقيق محمد سليم سالم، لجنة إحياء التراث، القاهرة، د.ت.

٣١- ابن رشيق، أبو علي الحسن القيرواني (ت٦٤٣هـ)، **العمدة في صناعة الشعر ونقده**، تحقيق محمد محيي الدين، الطبعة الخامسة، الجزء الأول، دار الجيل، بيروت، ١٩٨١.

٣٢- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد (ت٥٣٨هـ)، **أساس البلاغة**، تحقيق محمد باسل، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت، ١٩٩٨.

٣٣- السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ)، **تاريخ الخلفاء**، تحقيق حمدي الدمرداش، الطبعة الأولى، دار ابن حزم، بيروت، ٢٠٠٣.

، **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الجزء الأول، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٨.

، **الجامع الصغير**، الجزء الأول، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٢.

٣٤- الشهرستاني، أبو الفتح بن عبدالكريم (ت٥٤٨هـ)، **الملل والنحل**، تحقيق محمد الكيلاني، الجزء الأول، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٠.

٣٥- الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين، الطبعة الأولى، دار لأميرة، ٢٠١١.

٣٦- ابن أبي الضياف، أحمد (ت١٢٩١١هـ)، **إتحاف أهل الزمان في أخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، وزارة الثقافة، تونس، ١٩٩٩.

٣٧- طاليس، ارسطو (ت٣٢٢ ق.م)، **فن الشعر**، ترجمة إبراهيم حماد، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، د.ت.

، **الخطابة "الترجمة العربية القديمة"**، الطبعة الأولى، المجلد الأول، دار صادر، بيروت، ١٩٧٩.

٣٨- ابن طباطبا، محمد احمد العلوي (ت٣٢٢هـ)، **عيار الشعر**، تحقيق عباس عبدالسائر، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥.

٣٩- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الطبري، الجزء الثالث، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٧.

٤٠- ابن عبدربه، أحمد بن حبيب الأندلسي (ت٣٢٨هـ)، **العقد الفريد**، تحقيق مفيد محمد قميحة، الطبعة الأولى، الجزء السادس، دار صادر، بيروت، ١٩٨٣.

٤١- ابن عذاري، أبو العباس بن أحمد بن محمد (ت٦٩٥هـ)، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، الجزء الأول، دار الثقافة، ١٩٨٠.

٤٢- العسكري، أبو هلال (ت٣٩٥هـ)، **الصناعتين**، تحقيق مفيد قميحة، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٤.

٤٣- ابن فرحون، إبراهيم بن علي بن محمد (ت٦٦٧هـ)، **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، القاهرة، د.ت.

٤٤- الفيروزأبادي، أبو طاهر مجيد الدين محمد بن يعقوب (ت٨١٧هـ)، **القاموس المحيط**، دار بيت الأفكار، بيروت، ٢٠٠٤.

٤٥- القاضي الجرجاني، أبو الحسن علي بن عبدالعزيز، **الوساطة بين المتنبي وخصومه**، تحقيق محمد أبو الفضل وعلي محمد البجاوي، الطبعة الأولى، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٦.

٤٦- القاضي عياض، أبو الفضل بن موسى اليحصبي (ت٥٤٤هـ)، **ترتيب المدارك وتقريب المسالك**، تحقيق عبدالقادر الصحراوي، الطبعة الأولى، الجزء الثاني، مطبعة فضالة، المغرب، ١٩٦٦.

٤٧- القاضي النعمان، أبو حنيفة بن محمد بن حيون (ت٣٨٩هـ)، **المجالس والمسايرات**، تحقيق: الحبيب الفقي، الجامعة التونسية، تونس، ١٩٧٨.

، **دعائم الإسلام**، الطبعة الأولى، الجزء الثاني، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٠.

، **رسالة افتتاح الدعوة**، تحقيق فرحات الدشرواي، الشركة التونسية، تونس، د.ت.

٤٨- قدامة بن جعفر، أبو الفرج بن قدامة بن زياد البغدادي (ت٣٢٨هـ)، **نقد الشعر**، تحقيق محمد عبدالمنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

٤٩- القرطاجني حازم ، أبو الحسن حازم بن محمد بن حسن (ت٦٨٤هـ)، **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**، تحقيق محمد الحبيب، دار الغرب الإسلامي، القاهرة، د.ت.

٥٠- القزويني، محمد بن عبدالرحمن جلال الدين (ت٧٣٩هـ)، **الإيضاح في علوم البلاغة**، تعليق محمد خفاجي، الطبعة الرابعة، الجزء الثاني، دار الكتاب، بيروت، ١٩٧٥.

٥١- القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (ت٨٢١هـ)، **قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب زمان**، تحقيق إبراهيم الأبياري، الطبعة الثانية، الجزء الأول، ١٩٨٢.

، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، الجزء الثالث، دار الكتب المصرية، القاهرة، د.ت.

٥٢- ابن المعتز، أبو العباس عبدالله بن محمد، **البديع في البديع**، الطبعة الثالثة، دار المسيرة، بيروت، ١٩٨٢.

٥٣- المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت٨٤٥هـ)، **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، الطبعة الأولى، الجزء الثاني، مكتبة إحياء العلوم، ١٩٩٧، د.ت.

، **اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء**، الطبعة الثانية، الجزء الأول، لجنة إحياء التراث، القاهرة، ١٩٩٦.

٥٤- ابن منظور، أبو الفضل الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، الجزء الأول، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٣، انظر مادة رسل "من الألف إلى الراء".

٥٥- ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق (ت٤٣٨هـ)، **الفهرست**، تحقيق إبراهيم رمضان، الطبعة الثانية، دار المعرفة، لبنان، ١٩٩٧.

٥٦- النويري، شهاب الدين بن عبدالوهاب (ت٧٧٩هـ)، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، الطبعة الأولى، الجزء الرابع والعشرين، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٤.

٥٧- ابن وهب، أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم (ت٣٣٥هـ)، **البرهان في وجوه البيان**، تحقيق حنفي محمد شرف، القاهرة، مكتبة الشباب، ١٩٦٩.

٥٨- ياقوت الحموي، أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله، **معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**، تحقيق إحسان عباس، الطبعة الأولى، الجزء الثاني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٣.

، **معجم البلدان**، تحقيق فريد عبدالعزيز، الجزء الثامن، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠.

٥٩- اليماني، محمد بن محمد، "الحاجب جعفر بن علي" وخروج الإمام المهدي من سلمية ووصوله إلى سجلماسة وخروجه منها إلى رقادة"، دار الغدير للطباعة والنشر، ٢٠٠٩.

ثانياً: المراجع

١. إبراهيم، حسن؛ وشرف، طه، **عبيدالله المهدي**، الطبعة الأولى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٤٧.

٢. أحمد، حسين الصاحبي في **فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها**، تحقيق مصطفى الشويمي، لبنان، د.ت.

٣. الأعظمي، محمد حسن، **عبقرية الفاطميين**، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٠.

٤. أمين، أحمد، **فجر الإسلام**، الجزء الأول، القاهرة، د.ت.

٥. ايفانوف، "**استتار الإمام وسيرة جعفر الحاجب**"، ترجمة محمد كامل حسين، مجلة كلية الآداب، الجامعة المصرية، المجلد الرابع، الجزء الثاني، ١٩٣٦.

٦. بدر، عبدالمحسن، تطوير الرواية العربية الحديثة في مصر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٣.

٧. بنين، أحمد شوقي، "**ظاهرة وقف الكتب في تاريخ الخزانة المغربية**"، **دعوة الحق المغربية**، العدد (٤٠٤)، ٢٠١٣.

٨. التازي، عبدالهادي، **التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم**، الجزء الرابع، مطبعة فضالة، الرباط، ١٩٨٧.

٩. التورزي، إبراهيم العبيدي، **تاريخ التربية بتونس**، الجزء الأول، الشركة التونسية، تونس، د.ت.

١٠. التونجي، محمد، **المعجم المفصل في علوم اللغة**، الجزء الثاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١.

١١. الحديدي، عبداللطيف محمد السيد، **فن الخطابة في المنظور النقدي**، الطبعة الأولى، دار الشروق الجديد، بيروت، ١٩٦١.

١٢. حسن، حسن إبراهيم، **تاريخ الدولة الفاطمية**، الطبعة الثالثة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٤.

١٣. حسن، حسن علي، **الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس**، مكتبة الخانجي، مصر، ١٩٨٠.

١٤. حسن، علي بن إبراهيم، **تاريخ جوهر الصقلي**، الطبعة الأولى، المجلد الأول، مكتبة النهضة المصرية، مصر، ١٩٩٨.

١٥. حسين، محمد كامل، "**فن الكتابة في العصر الفاطمي**"، المجلة الثقافية المصرية، العدد الثامن، ١٩٣٩.

١٦. الحوفي، أحمد، **فن الخطابة**، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٩٨.

١٧. جمعة، حسين، **جمالية الخبر والإنشاء** "**دراسة جمالية بلاغية نقدية**"، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٢.

١٨. الجهني، مانع بن حماد، **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة**، الطبعة الرابعة، الجزء الثاني، دار الندوة العالمية، الرياض، ١٩٧١.

١٩. الجوذري، أبو علي منصور العزيزي، سيرة الأستاذ جوذر، تحقيق محمد كامل حسين ومحمد عبد الهادي شعيره، دار الفكر العربي، مصر.

٢٠. داود، أماني سليمان، **الأسلوبية الصوفية**، الطبعة الأولى، دار مجدلاوي، عمان، ٢٠٠٢.

٢١. دراجة، أبو القاسم، العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط والأندلس، **مجلة البحوث، الجزائر**، ١٩٩٤.

٢٢. رولان، رومان وطاغور، وغاندي وآخرين، **مراسلات أوراق**، تحقيق وترجمة: سليم الصويص، وعبدالأمير الأعسم، بيت الحكمة، بغداد، ٢٠٠١.

٢٣. زيادة، نقولا، **الرحالة العرب**، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ١٩٧٩.

٢٤. زيدان، جرجي، **تاريخ آداب اللغة العربية**، مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٨٣.

٢٥. سرور، محمد جمال الدين، **الدولة الفاطمية في مصر**، الطبعة الأولى، المجلد الأول، دار الفكر العربي، مصر، د.ت.

٢٦. السعافين، إبراهيم وآخرون، **أساليب التعبير الأدبي**، الطبعة الأولى، دار الشروق، عمان، ١٩٩٧.

٢٧. سلام، محمد زغلول، **الأدب في العصر الفاطمي**، منشأة المعارف بالإسكندرية، القاهرة، د.ت.

٢٨. شاكر، تهاني عبدالفتاح، **السيرة الذاتية في الأدب العربي**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٢.

٢٩. الشعار، فواز، **الأدب العربي**، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٩.

٣٠. الصالح، صبحي، **النظم الإسلامية**، الطبعة الأولى، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٥.

٣١. صالح، عالية محمود، **البناء السردي**، الطبعة الأولى، أزمنة للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٥.

٣٢. طه حسين (وآخرون)، **التوجيه الأدبي**، لجنة التأليف والنشر، مصر، د.ت.

٣٣. الطهراني، آغابزرك ، **الذريعة إلى تصانيف الشيعة**، الجزء الثالث، دار الأضواء، بيروت، د.ت.

٣٤. ابن عامر، أحمد **الدولة الصنهاجية**، الدار التونسية، تونس، ١٩٧٢.

٣٥. عباس، إحسان، **فن السيرة**، الطبعة الخامسة، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٨٨.

٣٦. عبدالحميد، سعد زغلول، فترة حاسمة من تاريخ المغرب، **مجلة كلية الآداب والتربية**، المجلد الأول، بنغازي، ١٩٥٨.

٣٧. عبدالدايم، يحيى إبراهيم، **الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٨٢.

٣٨. عبدالعال، محمد يونس، **في النثر العربي "قضايا وفنون ونصوص"**، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩٦.

٣٩. عبدالوهاب، حسن حسني، **ورقات من الحضارة العربية بإفريقية التونسية**، تحقيق محمد العروسي، وبشير العكوش، الجزء الثالث، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٠.

٤٠. عتيق، عبدالعزيز، **في النقد الأدبي**، الطبعة الثانية، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٢.

٤١. العقاد، عباس محمود، **الأدب والنقد**، الطبعة الأولى، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٤.

٤٢. أبو علي، نبيل خالد رباح، **نقد النثر في تراث العرب النقدي حتى نهاية العصر العباسي**، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، ١٩٩٣.

٤٣. عكاوي، إنعام، **المعجم المفصل في علوم البلاغة**، الطبعة الثالثة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦.

٤٤. عيسى، فوزي سعد، **الترسل في القرن الثالث الهجري**، دار المعرفة الجامعية، مصر، ١٩٩١.

٤٥. غالب، حسين، **بيان العرب الجديد**، العالمية للكتاب، بيروت، ١٩٨٠.

٤٦. فرج، حسام أحمد، **نظرية علم النص**، تقديم سليمان العطار ومحمود حجازي، مكتبة الآداب بالقاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧.

٤٧. فضل، صلاح، **النظرية البنائية في النقد الأدبي**، الطبعة الأولى، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٨.

٤٨. فؤاد، سيد، أحمد، **تاريخ مصر الإسلاميّة زمن سلاطين بني أيوب**، الطبعة الأولى، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٢.

٤٩. أبو القاسم، عبدالرحمن بن عبدالله، عبدالحكم، **فتوح مصر وأخبارها**، تحقيق محمد الحجيري، الطبعة الأولى، الجزء الأول، دار الفكر، بيروت.

٥٠. الكعبي، المنجي، **القزاز القيرواني**، الدار التونسية، تونس، ١٩٦٨.

٥١. ماجد، عبدالمنعم، **تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ٢٠١٠.

٥٢. متز، آدم، **الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري**، ترجمة: محمد عبدالهادي، أبو ريدة، الطبعة الرابعة، الجزء الثاني، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٧.

٥٣. محفوظ، علي، **فن الخطابة وإعداد الخطيب**، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٨٤.

٥٤. المجدوب، عبدالعزيز، **الصراع المذهبي بإفريقية إلى قيام الدولة الزيرية**، الطبعة الأولى، دار سحنون، تونس، ٢٠٠٨.

٥٥. مرتاض، عبدالمالك، **الأدب الجزائري القديم**، دار هومة للطباعة والنشر، ٢٠٠٥.

٥٦. مرعي، محمد محمد، **النظم المالية والاقتصادية في الدولة الإسلامية**، دار الثقافة، الدوحة، ١٩٨٧.

٥٧. مطلوب، أحمد، **معجم مصطلحات البلاغة**، مكتبة لبنان، لبنان، ٢٠٠٠.

٥٨. المظفر، محمد الحسين، **جعفر بن محمد الصادق**، الجزء الأول، مؤسسة النشر الإسلامي، النجف، د.ت.

٥٩. المقدسي، أنيس، **الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة**، الطبعة السادسة، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٠.د

٦٠. مؤنس، حسين، **تاريخ المغرب وحضارته**، الطبعة الأولى، العصر الحديث للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٢.

٦١. مهنا، علي جميل، **الأدب في ظلال الخلافة العباسية**، الطبعة الأولى، مطبعة النجاح، تونس، ١٩٨١.

٦٢. ناصيف، مصطفى، **دراسة الأدب العربي**، الطبعة الثالثة، دار الأندلس، بيروت، ١٩٨٣.

نبيل خالد، رباح أبو علي، **نقد النثر في تراث العرب النقدي في نهاية العصر العباسي**، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، ١٩٩٣.

٦٣. نصار، حسين، **نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي**، الطبعة الثانية، مكتبة النهضة المصرية، الإسكندرية، ١٩٦٦.

٦٤. نعمة، عبدالله، **فلاسفة الشيعة حياتهم وآراؤهم**، الطبعة الأولى، دار الفكر اللبناني، لبنان، ١٩٨٧.

٦٥. النوبختي، الحسن بن موسى، **فرق الشيعة**، الجزء الأول، دار الأضواء، بيروت، د.ت.

٦٦. الهاشمي، أحمد، **جواهر البلاغة**، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٣.

٦٧. هلال، محمد غنيمي، **النقد الأدبي الحديث**، الطبعة الأولى، دار العودة، بيروت، ١٩٩٧.

٦٨. يحياوي، رشيد، **مقدمات في نظرية الأنواع الأدبية**، الطبعة الثانية، إفريقية الشرق، ١٩٩٤.

Abstract

Arabic Prose Movement in the Fatimid Period at Maghreb

260- 370 Hijri (873-980 AD)

Prepared by

Safaa' Farhan Saeed Al Sarhan

Supervisor

Dr. Abdel Rahman Al Huwaidi

The study examined Arabic prose movement in the Fatimid period at Maghreb between 260 and 370 Hijri. The study was divided into a preface, there chapters and a conclusion. In the preface, the researchers talked about the foundation of the Fatimid state at Maghreb and the Shiite movement and the beginnings of this state. The first chapter discussed the general affecting variables on the Fatimid artistic prose at Maghreb, and to how extent their artistic prose was affected by the historical events in that period starting from the political, social and cultural variables. In this respect, the researcher clarified the effect of such variables on prose at that period.

The second chapter included a discussion of the Arabic prose genres in the Fatimid period at Maghreb such as rhetoric, letters narratives and memoirs. The topics and contents addressed by the prose arts in the Fatimid period varied according to the Fatimid life requirements at that period. As for the third chapter, it discussed the

artistic attributes of Arabic prose in the Fatimid period at Maghreb: artistic structure, language, style and artifacts. The researcher identified the most distinguished traits in their prose genre, their mastery of different writing tools, how they used figures of speech, aesthetics of the language, and then study them from an artistic aspect to identify the aesthetics in the prose at that time.